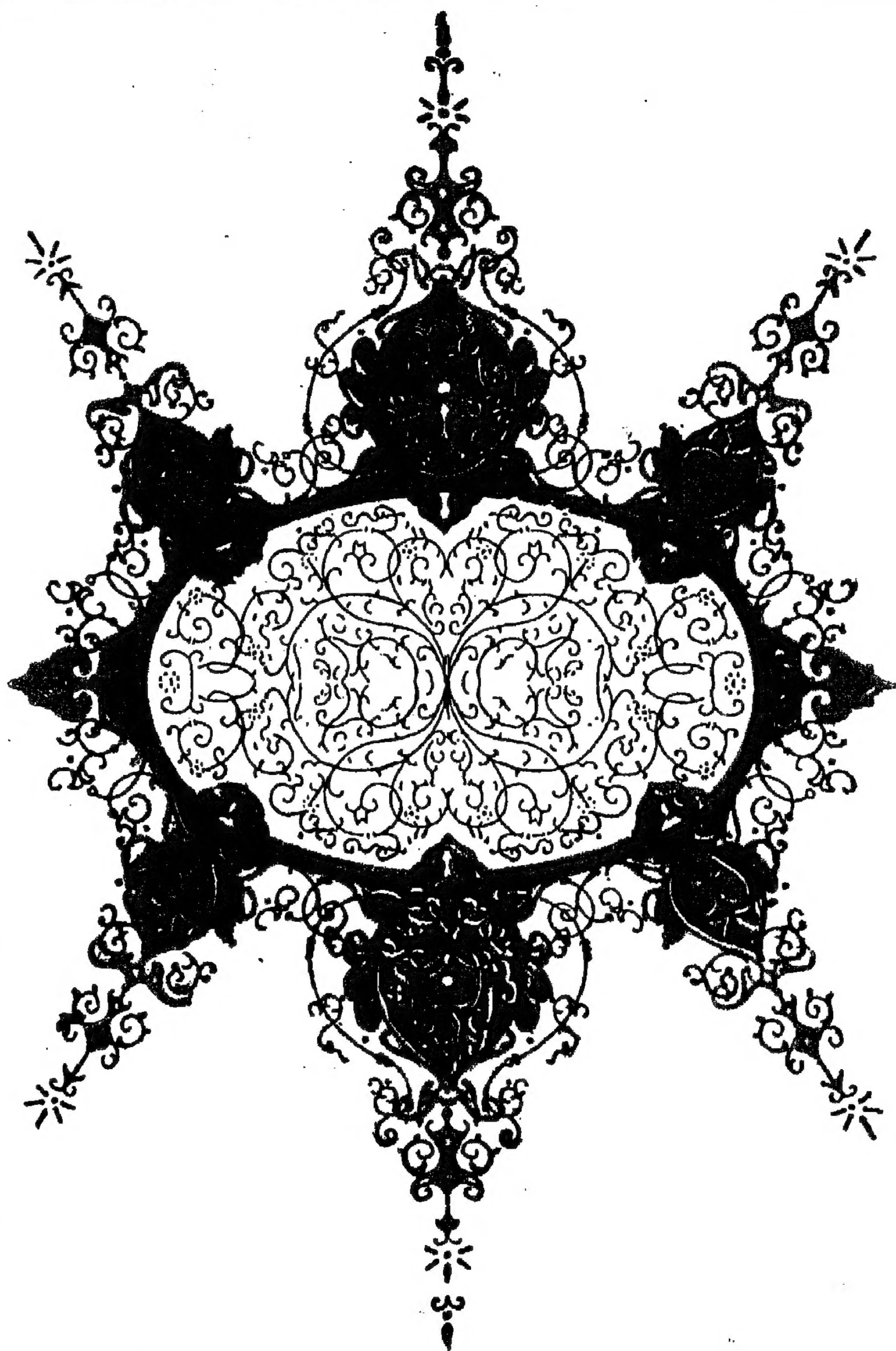


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء التاسع والستون

ربيع الآخر ١٤١٢ هـ

نوفمبر ١٩٩١ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة

١٥ ش عزيز أباظة بالزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء التاسع والستون

ربيع الآخر ١٤١٢ هـ - نوفمبر ١٩٩١ م

المشرف على المجلة

الدكتور مهدى علام

رئيس التحرير

إبراهيم الترسى

أمين التحرير

سعد توفيق

الفهرس

-
- مع معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب
للدكتور إبراهيم السامرائى ص ٥
 - المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد
للدكتور عبد العزيز مطر ص ٩٣
 - بين الأصول والفروع فى التغيير الصرفى
للدكتور أحمد علم الدين الجندى ص ٢٤
 - الأثر الإسلامى فى شعر دراسة لمطلع القصيدة
للدكتور مصطفى السيد حجازى ص ١٢٤
 - قراءة حرة فى نص تنويرى طه حسين و "مستقبل
الثقافة فى مصر"
للدكتور محمود الربيعى ص ٤٩
 - دعوة السلم فى معلقة الحارث بن حلزة البشكرى
للدكتور فضل بن عمار العمارى ص ١٥٧
 - من وجوه استعمال الهمزة فى الشعر وموقف
النحويين منه
للدكتور محمد حماسه عبد اللطيف ص ٧١
 - من أنباء المجمع
ص ٢٢٠

شخصيات مجتمعية

● الاستقبال :

استقبال العضوين الجديدين :

الاستاذ إبراهيم التريزى والاستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد

● كلمة الاستاذ الدكتور شوقى ضيف فى إستقبال الاستاذ إبراهيم التريزى

● كلمة الاستاذ إبراهيم التريزى

● كلمة الاستاذ الدكتور أمين السيد فى إستقبال الاستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد

● كلمة الاستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد

● التأبين :

تأبين المرحوم الاستاذ عبد السلام هارون

● كلمة الاستاذ الدكتور شوقى ضيف فى تأبينه

● مرثيه شعرية للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن

● كلمة الأسرة للأستاذ الدكتور نبيل عبد السلام هارون

● من أنباء المجمع

مع معجم المصطلحات العربية

في اللغة والأدب (*)

للدكتور إبراهيم السامرائي

بمواد معجم انصرف إلى المصطلح الأدبي
واللغوي .

ويندرج في هذا من غير شك « الإباضية
الحشوية » .

ومثل هذا أيضا إدراج مادة « الأزارقة »
في مواد المعجم ، و « الأزارقة » أيضا في
فرق الخوارج ، فأنتى لها أن تكون من
مصطلحات الأدب واللغة ؟!

أقول : لو كان للإباضية والأزارقة مصطلح
خاص في الأدب واللغة لكان للمؤلفين
الفاضلين أن يدرجوا في موضعه في « المعجم »
مع الإشارة إلى خصوصيته في كل من
الإباضية أو الأزارقة .

وقد يكون شبيهاً بهذا إدراج « الأفلاطونية »
و « الأفلاطونية الجديدة » في صلب المعجم ،
وهما مصطلحان فلسفيان ، ولهما مكان أي
مكان في كل معجم فلسفي .

ومثل هذه المواد التي حقها أن تندرج في
غير هذا « المعجم » مسائل أخرى سأشير
إليها وأنا استقرى « وقفاتي » هذه .

ولا بد لي أن أعود إلى المعجم مستقرياً
المواد التي استوقفتني فأقول :

أتيح لي أن أرى هذا العلق النفيس في
طبعتيه الثانية الأنيقة فأقبلت عليه
إقبال المستفيد .

وإنني لوائق كل الثقة أن « المعجم » موطن
فوائد سنية عكف عليها عالمان جليلان .
وأشهد أنتى وقفت فيه على علم جم اجتهد فيه
العالمان الجليلان فكان لهما ما أرادا .

ومن الخير أن يكون هذا المعجم شغل المعنيين ،
وكنت أحد هؤلاء الذين استوقفتهم هذه الفوائد
فكان لي فيه وقفات أبسطها بين يدي القارئ
لا تخلو من فوائد ، بل قل : هي بعض إضاءة
تزيد ما في المعجم على حسنه وكما له .

وقبل أن أقف على ما أريد بسطه أود أن
أقول : كأن العالمين الجليلين قد استقلا مواد
المعجم فراحا يلحقان بها ما ليس منها إلا في
صلة بعيدة يبعدها التقيد الدقيق بالاختصاص ،
كما تبعدها حقيقة « المصطلح » في
خصوصيته وإحكامه .

ومن هذا لا أرى وجهاً في إدراج « الإباضية » ،
وهي من فرق الخوارج ، في مواد المعجم .

وحق « الإباضية » أن تكون في كتب الفرق .
وإذا كان للإباضية وسائر فرق الخوارج أدب
خاص ، فليس هذا بمسوغ لنا أن نلحقها

(*) مع « معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب » لمجدي وهبة وكامل المهندس (مكتبة لبنان ١٩٨٤) .

١ - الابتكار (invention)

أقول : إن « الابتكار » قد اكتسب في
عربيتنا المعاصرة شيئاً في هذا المعنى، وشاع .
والأصل فيه البكور ، وابتكر بمعنى خرج في
البكور ، وهو أكثر من المضاعف « بكر »
الذي شاع في عصرنا .

ولم يستعمل أهل العربية فيما خلا عصرنا ،
الفعل « ابتكر » بالمعنى الذي أشار إليه
المؤلفان الفاضلان .

لقد كان « المثل السائر » من مصادر
المؤلفين ، وقد أشارا إليه غير مرة ، ومؤلفه
ضياء الدين بن الأثير قد استعمل الفعل
« اخترع » ، وقال غير مرة : وهذا المعنى
« مخترع » لى .

وربما جاء في كلامه « مبتدع » .

وعندى أن « الاختراع » أولى بأن يكون
مقابلاً للمصطلح الأجنبى .

وما كان لنا أن نترك المصطلح القديم الذى
يقابل المصطلح الأجنبى الذى نواجهه فى هذا
« المعجم » ، ونلتزم بكلمة أشاعها المعاصرون ،
وذهبوا بها إلى هذا المعنى .

ولست بالقائل إن استعمال المعاصرين
للابتكار هذا الاستعمال من الخطأ ، ولكنى

أشير إلى هذا الاستحداث من الناحية
التاريخية .

وأنا استظهر بسند لى مما أثبتته المؤلفان ،
فقد جعلاً مقابلاً لـ : poetic invention
مصطلح « الإبداع » ، فأين كانا عن هذا حين
أثبتنا « الابتكار » ؟

٢ - ابن قيس الرقيات

وهو شهرة ، ولأقول « لقب » كما أثبت
المؤلفان ، عرف بها الشاعر عبد الله بن قيس
..... (نحو ٨٥ هـ) ، شاعر الزبيريين .

قال المؤلفان : وإنما « لقب » بذلك لأنه كان
يشبّب بأكثر من فتاة تسمى « رقية » .
انتهى كلام الاستاذين الجليلين .

أقول : إذا كانت هذه « الشهرة » أو قل
هذه « الخصوصية » قد سوغت للمؤلفين أن
يُدرجاها في باب « المصطلح الأدبى » ، فأين
هما عن الكثير مما اشتهر شهرة للشعراء
والأدباء واللغويين .

إذا كانت هذه « الشهرة » قد سوغت هذا ،
أفلا يكون لهما أن يدرجا سلامة القس ،
ومجنون بنى عامر وغير هذا فى هذا الباب ؟

٣ - أبو الشيص

هو « لقب » للشاعر العباسى محمد بن

عبد الله بن رزّين .

أقول : ليت صاحبى المؤلفين قد أبعدا كلمة « لقب » واستبدلا بها كلمة « شهرة » ، ذلك أن اللقب مدح أو ذمّ ، وانصرافها إلى الذم أشيع ، وهى هنا غير الكنية التى تنصرف إلى المدح ، قال :

أكنيه حين أناديه لأكرمه

ولا ألقبه ، والسواة اللقب

هذه زيادة لا أطلب من المؤلفين أن يقفوا عندها كثيراً ، ولكنى أسألهم لم ذكرا « أبا الشيص » فى « معجم المصطلحات » ، ولم يذكر : « أبو نواس » و « أبو الشمقمق » و « أبو دلامة » وغيرهم ! وإذا كان هذا ، فإن « معجم المصطلحات » سيغدو معجماً للشهرة والكنية واللقب .

٤ - أبو العتاهية :

هو « لقب » لإسماعيل بن القاسم . وقد ذكر المؤلفان سبب هذا « اللقب » وهو معروف أقول : وليس هذا السبب مسوغاً لنا أن نجعل من « أبى العتاهية » مصطلحاً فى الأدب .

ولا بد لى أن أثبت أننى جريت مع المؤلفين الفاضلين وأغضيت عن مصطلحات الفن الروائى والمسرحى وما يتصل بالسينما والرسم ،

وقلت : لا بدلى أن أقبل ما قبله المؤلف على السعة .

٥ - الإجماعية unanimism

أقول : لقد جاء فى شرح المصطلح الفوائد المطلوبة ، وليس لى أن أقول فيها شيئاً ، ولكنى أتردد فى هذا المصدر الصناعى « الإجماعية » الذى صنّع ليكون وافياً بالمصطلح الأعجمى unanimism ، ذلك أن أهل ، العلوم الإنسانية عامة لا يستعملون « الإجماعية » ، بل يقولون : نحن إجماع ، أو إن أهل الرأى مجمعون ، مثلاً .

٦ - اختزال صورة الكلمة haplology

قال المؤلفان : هو حذف بعض الأصوات من الكلمة اختصاراً لبنيتها وتسييراً (كذا ، ولعلها تيسيراً) للنطق بها ، ومثال ذلك قولهم فى المصرية العامية « سيما » بدلاً من « سينما » .

(الدكتور إبراهيم أنيس : « من أسرار اللغة ») .

انتهى كلام المؤلفين .

أقول : رحم الله الدكتور إبراهيم أنيس ، لقد كان فى طوقه أن يأتى بشئ من فصيح العربية للتمثيل « الاختزال » . ألا ترى أن

« النموذج » من « الأنموذج » ومثل هذا كثير.

٧ - الأخطل

هو لقب لأحد شعراء النقائض المشهورين . .
أقول : الأخطل صفة تتصل بعيوب الكلام
والرأي ، فقالوا خطل الرأي مثلاً ، أو صفة
تتصل بـ « خلق الأذن » وأذن خطلاء ، ومن
هنا وصفت العترة بخطلاء بسبب صفة أذنيها .

ولكنى أتساءل : إن كانت هذه الصفة هي
التي استحققت أن تكون مصطلحاً لاتصالها
بالشاعر الأموى المعروف ، فلم ترك المؤلفان
صفات أخرى اشتهر بها رجال من أهل العلم
كالأعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز من أوائل
النحويين ، والأعمش وهو سليمان بن مهران ،
من أهل القراءات .

وأين « المتلمس » من شعراء الجاهلية وهو
جرير بن عبد العزى ، وأين المتنبي وأين المعري
وأين جمهرة أخرى ممن اشتهر بشهرة غطت على
اسمه كابى نواس مثلاً .

٨ - الأخلاط Humours

لنظرية الأخلاط أصل في علوم الطب . . .
كما قال المؤلفان الفاضلان .

أقول : كيف لى أن أدرج « الأخلاط » هذه
ويدخل فيها الدم والبلغم والصفراء والسوداء ،

فى باب « المصطلحات الأدبية واللغوية » ؟

٩ - الأدب

أقول : ذكر المؤلفان معانى « الأدب » وقد
أدرجا ثمانية مداخل .

وأضيف أن « الأدب » قد عنى « العقوبة »
فى كتب التعليم القديمة كما فى كتاب
« سياسة الصبيان » وغيره وهى العقوبة التى
يُنزلها المعلم « المؤدب » بالولد إذا قصر فى
شئ .

١٠ - الأدب التافه أو الرخيص

Literary trash

أقول : وصف « الأدب » بـ « التافه » أو
« الرخيص » مأخوذ من العربية المعاصرة
التي تأثرت باللغات الأجنبية ولاسيما
الفرنسية والإنجليزية ونقلت طائفة من
المجازات فى هاتين اللغتين إلى العربية .

إن « التافه » فى العربية لايتجاوز الطعوم ،
و « الرخيص » لصيق بالأسعار ، وليس من
خير أن نتوسع قليلاً فنفيد من هذا النقل .

غير أن المؤلفين الفاضلين قد عرفوا هذا
« الأدب التافه أو الرخيص » بقولهما : هو ما
كان بذيثاً .

أقول : ليس شرطاً أن يكون هذا الأدب

« بذيئاً » ، ذلك أن كثيراً مما ينشر في صحف عصرنا هو « تافه » وهو « رخيص » ولكنه ليس « بذيئاً » .

١١ - الأدب المكشوف erotic literature

أقول : إن مصطلح « المكشوف » في وصف الأدب معروف لما هو مجونى أو قريب منه . و « المكشوف » مصطلح جديد قد وُقِيَ بالغرض .

غير أنى لا أستطيع أن أقصر المصطلح " erotic " على المجون فأجعلها تقابل في العربية « المكشوف » . إن هذه الكلمة الأجنبية تفيد ما هو « شهوانى » من الأدب كما تفيد ما يتصل بالعشق .

١٢ - أدب الهروب

أقول : مصدر الفعل « هَرَبَ » في معجمات العربية هو « الهَرَب » ، وهو الشائع في الاستعمال في كتب الأدب ، ولم يذكر « الهروب » من أصحاب المعجمات إلا الفيومى في « المصباح المنير » ، وكان الصيغة جذت في القرن الثامن الهجرى ، وربما ارتضاها « مجمع اللغة العربية » .

١٣ - الأرتقيات :

قال المؤلفان : هي تسع وعشرون قصيدة

نظمها صفى الدين الحلنى فى مدح آل أرتق فى ماردين بالجزيرة . . . وكل قصيدة تسعة وعشرون بيتاً . ويبدأ كل بيت بحرف من حروف الهجاء ويختم به .

أقول : إن هذه القصائد على خصوصيتها ، وما ميّزت به من خصائص لا يمكن أن تكون « مصطلحاً » .

وإذا كان لنا أن نتوسع فى حدّ المصطلح ليشملها ، كان علينا أن نضع فى « المعجم » . « سيفيات » المتنبى التى خصّها الشاعر بمدح سيف الدولة بن حمدان ؛ وقد أطلق عليها « السيفيات » . كما نضع فى « المعجم » المسائل التى وسمها أبو على الفارسي بـ « الشيرازيات » وهى مسائل فى النحو واللغة ، وكذلك « البصريّات » و « الحلبيات » من مسائل أبى على .

١٤ - الإرداف parataxis

وقد استشهد للإرداف يقول عمر بن أبى ربيعة :

بعيدة مهوى القرط إمّا لنوفل

أبوها إمّا عبد شمس وهاشم

وعده ابن الأثير من الكناية .

أقول : وكان يحسن أن يحال على « الإرداف »

فى مادة « الكناية » .

١٥ - الازدواج الصوتى Diaeresis

فصل الصوتين المكونين صوتاً واحداً بعضهما عن بعض . مثال ذلك : ردّ « آمن » إلى أصلها « أامن » .

أقول : ولا ترد « آمن » إلى « أامن » إلا فى ضرورة شعرية ، وتعد من الضرورات القبيحة كفك الإدغام فى بيت المتنبى :

فلا يُبرم الأمر الذى هو حَالِلُ

١٦ - الاستنطاء

هو قلب العين نوناً عند قبائل هذيل وقيس والأزد والأنصار فى يشرب مثل : (أعطى وأنطى) .

أقول : وقد احتفل اللغويون الأوائل بهذه المسألة ، وجاء المعاصرون ، وأدخلوها فى باب اللهجات . والغريب أن أولئك وهؤلاء لم يستشهدوا على هذه « اللهجة المزعومة » إلا بالفعل (أعطى) الذى يتحول إلى (أنطى) .

ولو كان للمسألة أساس أو علة صوتية ، وهى مجىء العين ساكناً سابقاً للطاء ، لكان لنا أن نرى فى هذه المسألة ظاهرة مستكررة فى « أعطِبَ » و « أعطشَ » و « أعطَلَ » وغيرها ، ولكننا لم نجد فيما أثر أن هذه

الأفعال قد أبدلت فيها العين نوناً فتكون بذلك ظاهرة لغوية .

١٧ - الأسطورة Legend ; myth

لقد أورد المؤلفان فوائد جميلة فى الأسطورة ولا سيما عند اليونان ، ثم ذيّلا هذه المادة بقولهما :

والأسطورة عند العرب سرد قصصى لا يمكن إسناذه إلى مؤلف معين يتضمن بعض المواد التاريخية إلى جانب مواد خرافية شعبية مثال ذلك قصص الزير سالم وعنترة .

أقول : هذا صحيح ، ولكن هذه النماذج « الأسطورية » بعيدة عن مفهوم الأسطورة عند اليونان والرومان ، بل هى حكايات صنعها القصاص فى أزمنة متأخرة .

وكان « الأسطورة » قد اشتقها اللغويون من الجمع « أساطير » ، و « الأساطير » كما فى الآيات الكثيرة « أساطير الأولين » تعنى كتابات الأولين التى ليس فيها دين حق ، بل هى أكاذيب .

و « الأساطير » هنا كأنها جمع الجمع لـ « سطر » ، وجمعه سطور وأسطار وجمع هذا « أساطير » .

وكثير من جمع الجمع على « أفاعيل » قد

اتجه فيه المعربون فأخذوا منه مفرداً على « أفعولة » ، فمن « أناشيد » أخذوا « أنشودة » ، ومن « أماديح » « أمدوحة » ولم يرد في استعمال العرب « أنشودة » مفرداً ، ولا « أمدوحة » .

وربما كان في هذا « أقصوصة » و « أسطورة » ، وإن وردت « الأسطورة » في معاجم اللغة غير بعيدة عن مفهوم ما يكتب من الأسطار .

١٨ - الاسم المستعار

nom - de - plume ; pseudonym .

لقد مثل المؤلفان للإسم المستعار بـ « أدونيس » الذي اتخذه الشاعر السوري وليس اللبناني كما أثبتته المؤلفان وهو على أحمد سعيد .

وكذلك « بنت الشاطئ » الذي التزمت به الدكتورة عائشة عبد الرحمن المصرية .

أقول : اين هما من « باحثة البادية » وهو ما التزمت به ملك حفنى ناصف ، وهذا أسبق من الاسم الأول والاسم الثانى .

١٩ - الإسماعيلية

أقول : كان حقها ومكانها في كتب الفرق ، وليس من علاقة ولو ضئيلة بالمعجم اللغوى .

٢٠ - أصل المشتقات :

هو المصدر عند البصريين أما الكوفيون فيقولون بأن أصل المشتقات الفعل .

أقول : هذا من « مسائل الخلاف » بين الفريقين . والذي أراه أن هذا ليس من مواد الخلاف ذات القيمة اللغوية التاريخية ، ذلك أن المصدر والفعل مادتان متشابهتان يحل أحدهما محل الآخر ، ولا سيما في « العمل » ومن أجل ذلك عبّر أصحاب المعاجم عن « المصدر » بمصطلح « الفعل » كثيراً .

والذى أراه أيضاً أن أصل الاشتقاق هو المواد الحسية ، ولكن المشقة أننا لا نستطيع الوصول إلى كثير من الأصول الحسية للكلمات ذات الدلالة المعنوية .

قد نستطيع مثلاً أن نرد طائفة من الدلالات المعنوية إلى أصول حسية كما هي واضحة في ألفاظ « خلق الإنسان » نحو : الرأس والعين والأذن واليد والرجل ونحو ذلك فنقول أن الأيد والتأييد والفعل أيد من « اليد » ، وأن الفعل عاين وعيّن من « العين » ، والفعل أذن وتأذن من الأذن ، ورأس يرأس من « الرأس » وهكذا في سائر المواد .

٢١ - أصلى وأصيل

وكلُّ منهما كان مقابلاً لـ original

أقول : وقد فرّق القرنسيون في هذا فكان لما

هو « أصلى » , originel

وما هو « أصيل » من « الأصالة » original

٢٢ - الاطراد regular sequence

وهو أن تذكر أسماء الممدوح أو غيره

وأسماء أبائه مرتبة حسب الولادة من غير

تكلف ، ومثال ذلك قول الشاعر :

إن يقتلوك فقد ثلّثت عروشهم

بعتيبة بن الحارث بن شهاب

أقول : هذا صحيح كما قالوا ، ولكن

« الاطراد » اللغوي هو مجيء المسألة اللغوية

من غير شذوذ ولا استثناء فيها ، مثال ذلك :

ضم أول المضارع الرباعي نحو : يُدحرج

ويُكرّم (*) ...

٢٣ - الأعشى :

لأعشى قيس أبي بصير الشاعر المعروف .

أقول : إذا جاز أن يدرج اللقب أو الشهرة في

حيّز المصطلح الأدبي واللغوي ، فكان الأولى

أن يشار إلى سائر «الأعشيين» هنا ، وهم :

أعشى همدان ، وهو عبد الرحمن بن عبد الله

وأعشى باهلة ، وهو عامر بن الحارث

وأعشى تغلب ، وهو ربيعة بن يحيى .

٢٤ - إفراد الفعل :

متى كان الفاعل أو نائبه اسماً ظاهراً وجب

أن يبقى الفعل مفرداً .

أقول : ان هذا المعجم « خاص بالمصطلح » ،

وليس في « المصطلح » النحوي « إفراد

الفعل » ولا « الفعل المفرد » ، بل إن الفعل لا

تلققه الإشارات أو الضمائر إن كان الفاعل أو

نائبه اسماً ظاهراً جمعاً أو مثني كما مثل

المؤلفان نحو : قام المسلمون للصلاة ، وسيق

اللصان إلى مركز الشرطة .

٢٥ - التقاء الساكنين :

نعم يلتقي الساكنان في فعل الأمر من

المضعف « مدّ » فيقال (امدد أو مدّ) وفي

هذا تخلص من التقاء الساكنين ، وذلك

بتحريك الأول بحركة من جنس حركة المضارع

منه ، وإضافة همزة وصل في أول الفعل ، أو

بتحريك ثانى الساكنين بالفتح من غير إضافة شيء .

ومواضع أخرى ذكرها المؤلفان ، ولكنهما

جعلاً في هذه المواضع أحرف المد ساكنة ، وهذا

هو قول الأقدمين الذي مازلنا عليه ، ومنه عندهم

ماورد في قوله تعالى « مدها مّتان » ، وقوله تعالى

أيضاً : « فإذا جاءت الطامة الكبرى » .

(*) يقصد الذي عدد حروف ماضيه أربعة (أصلية أو ثلاثية مزيدة) المحرر .

أقول : والذي يقرره علم الأصوات في عصرنا أن ألف المد وواوه وياءه من الأصوات المصوتة ، وكأنه « مظل للحركات » ، وكأن ابن جنى من القدماء أدرك هذه الحقيقة وإن لم ينص على حركة أحرف المد .

والذي جعله القدماء من التقاء الساكنين في « عامة » و « طامة » و « مُدهامتان » ونحو ذلك هو في الحقيقة أن هذه الكلمات العربية قد احتوت على مقطع طويل تجاوز حدّ الطول المعتاد في سائر الكلمات الأخرى .

٢٦ - ألف النسب

وهي الألف التي تكون في « بنهساوى » المنسوب إلى « بنها » ، وفيه يقال أيضاً : بنهى وبنهوى .

أقول : لا نعرف في المصطلح النحوى « ألف النسب » وذلك لأن النسب فيما آخره ألف ينظر إلى ألفه إن كانت ثالثة فتد إلى أصلها ، وإن كانت رابعة فأكثر فتقلب ياء . هذه هي القاعدة ، غير أن في العربية ما يشذ عن القاعدة المطردة ، فقد نسبوا إلى « طنطا » فقالوا : طنطاوى ، وحققها أن تكون « طنطى » ولكن هذا لم يجسر به استعمال ، وغلب الشذوذ .

وقالوا في النسب إلى « يافا » يافاوى ، على أن القاعدة سمعت أيضاً في هذه النسبة التي جاء منها « يافى » .

وقد يكون الشاذ هو الأصل ليس غير وذلك كالنسب إلى صنعاء وبهراء فقالوا : صنعانى وبهرانى ، كلاهما بالنون ولم يقولوا : صنعاوى وبهراوى مع أن الهمزة للتأنيث وحققها أن تقلب واواً كما في صحراء وصحراوى .

٢٧ - الألفاظ العامية

ومثّل المؤلفان بشواهد من كلام العامة في مصر وبغداد ، وقالوا منها : « اتنمرّد » وجعلا الفعل هذا من الفصيح « تمرّد » .

والذى أراه أن الفعل العامى قد أخذ من « نمرود » ، و « النمرود » في كثير من الألسن الدارجة هو المحتال البغيض .

٢٨ - الألمعية

هو الذكاء المتوقد . . .

أقول : وهو أيضاً « اليلمعية » ، وقد بني هذا المصطلح من الفعل « يلمع » ، ثم حوّل إلى « الألمعية » ، وهما بمعنى .

وحق هذا أن يشار إليه في « اليلمعية » في حرف الياء إلى « الألمعية » .

٢٩ - الأمالي

وقد عرف المؤلفان « الأمالي » فقالا :
« في الأدب العربي : حقائق يلقيها الشيخ
على طلابه بإعداد سابق ، أو من غير إعداد
فيقيدها الطلاب في دفاترهم . . . »

مثال ذلك : أمالي أبي على القسالي
ومجالس ثعلب .

وأضيف فأقول : وأمالي اليزيدي ، وأمالي
الزجاجي ، وأمالي ابن الشجري ، وأمالي
الخالدين وغيرهما .

٣٠ - الإمامية

قال المؤلفان : انظر (الإثنا عشرية) .

أقول : وليس الإمامية (الإثنا عشرية) من
مصطلح هذا « المعجم » ، فهي فرقة شيعية كبيرة .

٣١ - الأمدوحة panegyric

أقول : « الأمدوحة » من صنع المؤلفين
الفاضلين ، وقد أخذها من الجمع « أماديح »
فقالوا : أمدوحة نظير ألعيب ، ومفردها
العربة . وليس لنا في العربية « أمدوحة » .

جاء في كتب اللغة : مدحة ومدح ، ومديح ،
والجمع المدائح ، والأماديح ، والأخيرة على
غير قياس . ومن هنا كانت « الأمدوحة »
مما ولده المؤلفان .

٣٢ - امرؤ القيس

وهو لقب الشاعر المعروف . . .
وجاء فيه : ويلقب أيضاً بذي القروح والملك
الضليل .

أقول : ولم يورد المؤلفان « ذو القروح » في
باب الذال ولا « الملك الضليل » في الميم .
٣٣ - أم الرجز :

هي لامية أبي النجم العجلي (من أشهر
رُجَّاز الدولة الأموية) . . .

أقول : إذا جاز أن تذكر « أم الرجز » فلم
لم تذكر « لامية العرب » وهي قصيدة
الشنفرى المشهورة التي شرحت غير مرة ،
وترجمت إلى لغات عدة بما فيها اللاتينية ،
ولم تذكر « لامية العجم » وهي قصيدة
الطغراني المشهورة وغير هذا مما يدخل في هذا
الباب . كما لم يذكر « الطغراني » في باب
الطاء بعد مادة « الطغراء » .

٣٤ - البشريّة

هي شعبة من شعب الاعتزال منسوبة إلى
بشر بن المعتز . . .

أقول : كان الأولى أن تبعد « البشريّة »
من « المعجم » ومكانها كتب الفرق .

وربما فات المؤلفين صاحب « المعجم » أن

يفسحها مكاناً لـ « البَشَرِيَّة » وهو مصطلح
على طريقة المصدر الصناعي . و « البَشَرِيَّة »
نظير « الإنسانية » و « الأنوية » وغيرها .

٣٥ - ويبدأ باب التاء في المادة الأولى
«التابع» .

أقول : ولم أجد في هذا الباب «تأبط شراً»
وهو اللقب الذي غلب على الشاعر الجاهلي
- ثابت بن جابر .

وذكر هذا الشاعر ملزم ذلك أن طريقة
صاحب المعجم تشتمل على ذكر الألقاب التي
اشتهرت بخصوصية خاصة . وتأبط شراً من
الصعاليك ، وحكاية لقبه مشهورة .

٣٦ - تأنيث الفعل

مع الفاعل أو نائب الفاعل إذا كانا اسمين
ظاهرين حقيقى التأنيث . . .

أقول : ربما كان « تأنيث الفعل » من باب
التساهل والتوسع ، إذ ليس الفعل مؤنثاً أو
مذكراً ، بل تلحقه تاء التأنيث للفعل أونائبه
المؤنث في الشروط المعروفة .

٣٧ - التدهور

مصطلح يطلق على أى عصر في تاريخ
الأدب ينحط الأدب فيه بعد أن ازدهر في
العصر السابق له . مثال ذلك تدهور الأدب

العربي بعد سقوط بغداد . . .

أقول : لم يرد « التدهور » وصفاً أو

مصطلحاً للأدب العربي بعد سقوط بغداد .

لقد كان الأولى أن يذكر الأستاذان الفاضلان
مصطلح « الفترة المظلمة » في باب الفاء

لتشمل « التدهور » ، وقد غاب هذا عنهما .

٣٨ - الترجمة

لقد أفاد المؤلفان في هذه المادة ، وعرضاً
لجملة فوائد ، ولكن فاتهما أن يشير إلى
الأصل التاريخي لهذه المادة وهي « الترجوم »
التي تعنى « المِشْنَا » و « الجَمَارَا » ، وهما
شروح بالآرامية لنصوص العهد القديم في
الحقبة التي كانت فيها اللغة العبرانية لغة
منسية ، فاضطر أحنبار اليهود إلى تعليم اللغة
الآرامية التي هي لغة « الترجوم » ، وكان
ذلك في عصر السيد المسيح ونقلوا إلى تلك
الآرامية نصوص العهد القديم التي كانت في
العبرانية .

٣٩ - الترجمة الذاتية autobiography

أقول : وقد عرف عند العرب « فن السيرة »
وتدخل فيه « السيرة الذاتية » .

ومن هذا : « السيرة النبوية » ، و « سير
أعلام النبلاء » وغير ذلك .

٤ - التصويب

ورقة مطبوعة مستقلة تبين صواب الأخطاء الموجودة في النص والتي لم تلاحظ أثناء الطبع .
أقول : والذي أعرفه أن « التصويب » هو الحكم أو الإقرار بالصواب ، تقول : يرى فلان أن تأويل البيت هو كذا وكذا ، « فسوّه » أهل العلم مثلاً .

وقد نشر الأستاذ صبحى البصام فى « مجلة مجمع اللغة العربية » منذ سنوات مقالاً صحح فيه المعنى الشائع للتصويب مستدلاً بأقوال أهل العلم فى ترسلهم وكتاباتهم .

٤١ - التثنية

هى كسر حرف المضارعة عند قضاة وبهاء فيقولون تكتبون فى تكتبون .
أقول : إن « التثنية » مصطلح يخص تاء المضارعة كما فى الشاهد ، وأما كسر أحرف المضارعة الأخرى فقد عرفت فى قبائل هذيل وقيس وأسد وقيم .

٤٢ - وقد بدأ باب الجيم بمادة « جامعي »
أقول : وقد فات صاحبى المعجم أن يبدأ الباب بـ « الجاحظ » .

٤٣ - جزم المضارع

أقول : مثل صاحب « المعجم » للمضارع

الناقص المجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة بقول « الشاعر » عبد الحميد الديب فى نقد مشروع « الحفاء » أيام الملك فاروق :

الشعب جوعان لم يشك الحفاً أبداً
ولم يد لك رجلاً لإنصاف
وكأن جزم المعتل الناقص محتاج إلى دليل
شاهد ، والكلام كثير فى الآيات والأبيات والترسل ، ولكن لم يجد المؤلفان حاجتهم فى هذا الكثير ، ووجداها فى البيت الضعيف الكسيح لعبد الحميد الديب .

وكأنهما لم يفتننا إلى موطن الخطأ فيه ، بل سوء تأليفه . والخطأ هو استعمال « أبداً » للزمان الماضى والصواب أنه للمستقبل ، قال تعالى : « ولن يتمنوه أبداً » ، وقال تعالى أيضاً : « خالدين فيها أبداً » .

٤٤ - حاضري ، راهني ، جارٍ Topical

أقول : كأن المؤلفين قد وجدا أن « حاضر » و « راهن » من غير نسبة لا يكفى فى الوفاء بمعنى الكلمة الأعجمية فأضافا الياء على طريق النسب إلى « الحاضر » و « الراهن » ، فإذا كان هذا فلم أبقيا « جارٍ » عارياً عن الياء ، وحقها حق « حاضر » و « راهن » !

٤٥- الحبكة intrigue

ضبطت « الحاء » بالضم وحققها الفتح ، وقد وردت مفتوحة الحاء فى مصطلح « العقدة » المرادف للحبكة فقال المؤلفان : « حبكة » معقدة المسرحية . . .

وكان عليهما أن يشيرا فى « العقدة » إلى « الحبكة » فيثبتا : انظر « الحبكة » .

٤٦- الحرورية

أقول : هى فرقة خرجت على الإمام على - رضى الله عنه - . . .

وليس موضعها هذا « المعجم » كما أشرنا إلى مواد مشابهة لها .

٤٧- الحماسة

لقد عرف المؤلفان بـ « الحماسة » على أنها من أبواب الشعر . . .

وكان جديراً بهما أن يذكر « كتاب الحماسة » لأبى تمام ، من كتب الأدب المشهورة .

ومن المعلوم أن ذكر مصادر الأدب يدخل فى طريقة صاحبى « المعجم » فقد ذكر « الأمالى » و « الأغانى » و « المفضليات » وغيرها .

ومن كتب الحماسة « حماسة البحتري » و « الحماسة البصرية » و « الحماسة الصغرى » ، و « حماسة الظرفاء » وغيرها ، وكل هذا

لا بد أن يذكر مع مادة « الحماسة » .

٤٨- الخطاطة palaeography

وهى الدراسة العلمية لكتابة قديمة يحقق فيها تاريخ كتابة المخطوط بوساطة فحص الأسلوب

أقول : وهذا مصدر جديد لا أدري أولده المؤلفان الفاضلان أم صَنَعَهُ « مجمع » من المجامع ؟ .

وكان عليهما أن يشيرا إلى شىء من هذا .

٤٩- الخط المسند

أقول : ويرى أهل العلم بالخطوط القديمة أن الصواب هو « المسند » لا « الخط المسند » .

٥٠- ذو الرمة

شاعر أموى معروف . . .

أقول : إذا حق للمؤلفين إيراد « ذو الرمة » فلم لم يذكر « ذو الإصبع العدوانى » من الشعراء ولا « الذوين » الآخرين ، وهم كثر ؟

٥١- الرسالة

وهي مادة وافية جاءت فى « المعجم » مع سواد أخرى صدرت بـ « الرسالة » نحو : « الرسالة الإنجيلية » و « رسالة الخط والقلم » و « رسالة الخميس » وغيرها .

أقول : إذا كان هذا فلم أغفلا « الرسالة »

من كتب الإمام الشافعي المشهورة وقد طبعت
غير مرة ؟

٥٢ - رُعائى ، رَعَوَى

أقول : « رَعَوَى » منسوب إلى المصدر
« الرُعَى » . وكأنَّ « رُعائى » بضم الراء
منسوب إلى « الرُعَاة » . وكأنهما أبدلا التاء
بالهمزة استحساناً منهما .

ولكنهما لو قالوا « رُعائى » بكسر الراء
لأصابا الغرض ، ذلك أن هذه النسبة إلى
« الرُعَاء » بكسر الراء وهو جمع « راع »
كالرُعَاة . قال تعالى : « حتى يصدُرَ الرعاء »
٥٣ - الشكل Form; Figure

فى المنطق الصورى ، « الشكل » هو
الصورة التى يمكن أن يأخذها القياس . . .
و « الشكل » فى الأدب هو طريقة الأديب
فى التعبير . . .

أقول : و « الشكل » فى الأدب يرد مع
مصطلح آخر هو « المضمون » contene فى
النقد الحديث ، ولكن صاحبي « المعجم » لم
يشيرا إلى « المضمون » عند الكلام على
الشكل ، ولم يفردا له مادة خاصة .

٥٤ - كنت أتوقع بعد ذكر « الشنشنة » فى
باب الشين أن يأتى « الشنقرى » صاحب

اللامية المشهورة التى شرحت غير مرة ،
وترجمت إلى لغات عدة بما فيها اللاتينية منذ
عدة قرون ، وهو من أشهر الصعاليك .

٥٥ - الشويعر ، والشعرور ، والمتشاعر .
لقد عرف المؤلفان بهذه الألفاظ ، ولو أنهما
أوردا قول المتنبي :

« أفى كل يوم تحت ضيبي شويعر »

وقوله : « أرى المتشاعرين غروا بذي »

أقول : لو أنهما أوردا هذا لأثما المادة .

٥٦ - الشيطان

لقد تحدث المؤلفان عن « الشيطان » فى
الأدب القديم ، ولم يشيرا إلى ما ورد عنه فى
لغة التنزيل العزيز ، وهو كثير جداً ، وما قال
المفسرون للآيات التى جاء فيها « الشيطان »
وما قال أهل الرأى لدى المسلمين .

وقد فاتهما « شيطان الشعراء » وأن
الشاعر القديم كان له شيطان يلهمه الشعر
كمسحعل شيطان الأعشى ، وأبو هدرش
وغيرهما ، قال الراجز :

إنى وكل شاعرٍ من البشرِ

شيطانه أنشئ وشيطانى ذكرُ

٥٧ - وفي مادة « الصحيفة » لم يذكر
المؤلفان « صحيفة أبى الأسود الدؤلى » التى

قال عنها أصحاب طبقات النحويين أنها
اشتملت على ما أخذه أبو الأسود من الإمام
علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - .

٥٨ - وقد جاء فى « المعجم » مادة
« الطبعة » فتكلما عليها ، ثم أردفاها بـ
« الطبعة الأصلية » و « الطبعة المحققة »
و « الطبعة الموسعة » وغيرها .

أقول : ولدى الفرنسيين « الطبعة النقدية »
edition critique

٥٩ - الطرفة

بفتح الطاء ، والصواب : الضم ، وقد
وردت مضمومة الطاء فى مادة « مُلحة » .

٦٠ - العجرفية

هي التقعر وطلب الغريب الوحش . . .

أقول : وقد نُسبت « العجرفية » إلى ضبة
من القبائل ، كذا ورد فى « المزهرة »
للسيوطى ، وفي غيره من مصادر اللغة .

٦١ - وقد جاء « العكوك » فى باب
العين ، وهو لقب على بن جبلة الشاعر
العباسي . . .

أقول : وقد فاتهما ذكر « غريب المغنية
الجارية » . ثم إنهما لم يذكر « علقمة الفحل »

من شعراء الجاهلية المشهورين . (١)

٦٢ - علم الأساطير

أقول : كان يمكن أن يشار إلى هذا عند
الكلام على الأسطورة مثلاً .

٦٣ - الفاتحة

قال المؤلفان : هي ذلك الكلام الذى تُستهل
به قراءة القرآن الكريم والأثر الأدبى وخاصة
الخطب .

أقول : ان هذا الكلام معوز ، وكان خليقاً
بهما أن يشيرا بادئ ذى بدء إلى سورة
الفاتحة ، وهى أم الكتاب كما جاء فى الأثر .

٦٤ - الفترة ، الزمان

أقول : وكان أولى بالمؤلفين أن يشيرا إلى
« الفترة المظلمة » بعد سقوط الخلافة فى
بغداد ، وهى من العصور التاريخية فى الأدب .

٦٥ - الفحفة

هى ، فى لهجة هذيل : جعل الحاء عيناً
كقولهم :

« أَعَلَّ الله العلال » أى « أحلَّ الله
الحلال » .

أقول : ١ - صواب « لهجة هذيل » هو
« لغة هذيل » ، ولم تعرف « اللهجة »

(١) فات صاحبى « المعجم » ذكر « أمير الشعراء » شوقى فى باب الهمزة ، كما فاتهما ذكر حافظ إبراهيم ، و خليل مطران ، وآخرين
من شعراء البلاد العربية الأخرى المشاهير . كالزهاوى والرصاوى والكاظمى وشارة الخورى (الأخطل الصغير) .

مصطلحاً في العصور المتقدمة عند الكلام على
« لغات » القبائل .

٢ - إن العبارة التي استشهد بها عبارة
مصنوعة ، وليست نصاً لغوياً منسوباً في
مصدر .

٣ - نسبت هذه « الفحفحة » إلى هذيل ،
وجاء في كتب القراءات أن عبد الله بن مسعود
قد قرأ بها في سورة يوسف قوله تعالى :
« لَيْسَ جُنَّتُهُ عَتَى حِينَ » بدلاً من « حتى حين »
وجاء في خبر هذه القراء أن عمر بن الخطاب
قد سمع أعرابياً يقرأها فزجره ونهاه وكتب
إلى عامله بالكوفة أن يمنع عبد الله بن
مسعود أن يقرأ بلغة هذيل لأن القرآن قد نزل
بلغة قريش .

أقول : كأنى غير حفي بهذا الخبر ، ذلك أن
القرآن قد اشتمل على غير لغة قريش والأمر
مبسوط في المصادر اللغوية (انظر الإتيان
للسيوطي) .

ثم ان عبد الله بن مسعود من كتاب
الوحي ، وقراءته عالية .

ثم إذا جاز أن يكون عبد الله بن مسعود قد
أبدل الحاء عينا في هذه الآية على لغة هذيل
فلم لم يبدل الحاء في « حين » في الآية نفسها ؟

٦٦ - وردت مادة « الفساد » وهي في
البلاغة وتعني فساد التشبيه . . .

أقول : وكان مناسباً أن يأتي بعدها مادة
« فساد التأليف » وهو مما ورد في كتب النقد
عند الكلام على بيت من الشعر .

٦٧ - وردت مادة « الفلسفة » وأعقبها
مواد أخرى هي « الفلسفة الإسلامية »
و « فلسفة الجمال » و « فلسفة اللغة »
و « الفلسفة المدرسية » .

أقول : ولم أجد « الفلسفة المسيحية » .
٦٨ - القوافي المسبقة bouts - rimes
مجموعة من الكلمات المقفاه تقدم للشاعر
لينظم قصيدة على حسبها .

أقول : ومن هو هذا الشاعر الذي تقدم له
الكلمات حتى يقمش منها قصيدة ؟
ثم إن « المسبقة » كلمة عامية ، إذ لم يرد
في مادة « س ب ق » هذه الصيغة الفعل
المضعف .

٦٩ - كاتب المقال

من تخصص في كتابة المقالات النثرية على
اختلاف أنواعها ، مثال ذلك : الدكتور حسين
فوزي والدكتور لويس عوض . . .

أقول : غفر الله لكما صاحبي المؤلفين ، ألم

تفكرًا قبل أن تكتشفنا حسين فوزى ولويس عوض ، فى الدكتور طه حسين وعباس محمود العقاد ، والمازنى والزيات والبشرى وغيرهم وغيرهم .

٧٠ - وردت مادة « الكشف » وهو قائمة هجائية تظهر عادة فى آخر الكتاب المطبوع ، وبها أسماء اشخاص (أرادوا أعلام الرجال) أو أماكن أو موضوعات . . .

ثم أردناها بمادة « كشف الألفاظ ، المعجم المفهرس » ومادة « الكشف الخاص » .

وفاتهما أن يذكر « الكشف » للزمخشري وهو من كتب التفسير المشهورة ، كما فاتهما أن يذكر « كشف اصطلاحات الفنون » للتهانوى ، وهو شئ من المعجم الفلسفى ، وطبع غير مرة .

٧١ - الكلمة (المفردة)

قال المؤلفان : وهى فى علم اللغات التقليدى صوت أو مجموعة أصوات متصلة . . . أقول : كان ينبغى أن يبدأ بـ « الكلمة » وهى « كلمة الله » عيسى بن مريم .

٧٢ - اللحن

تكلم المؤلفان على « اللحن » وذكرنا فرائد عدة .

أقول : وكان مفيداً لو أشاروا « اللحن » بالتحريك وهو الفطنة .

٧٣ - اللطف (النعمة)

وتكلم المؤلفان على « النعم » فى المعنى والمصطلح الفلسفى .

أقول : وكان يحسن أن يذكر « اللطف » بفتحيتين ، وهو الخفة والحذف ، قال ابو نواس : ما زلت أستلّ روح الدنّ فى لطفٍ

وأستقى دمه من جوف مجروح

٧٤ - اللفظة Leyicology

قال المؤلفان : علم دلالة المفردات . . .

أقول : « اللفظة » كلمة جديدة مولدة ، لعلها مجمعية ، كان ينبغى أن ينص على مصدرها .

٧٥ - لم أجد فى باب الميم « المتنبي » ولا « المعرى » . (١)

٧٦ - المذهب البغدادى

هو فى النحو العربى خليط من مذهبى البصريين والكوفيين .

أقول : هذا غير صحيح ذلك أن صفة البغداديين قد أطلقت كثيراً على الكوفيين لسكناهم فى بغداد ومن هؤلاء أبو العباس

(١) ولم أجد فى باب الشين الشريف الرضى ، ولا فى باب الباء « البحتري » ولولا أن ذكر الأعلام كان من طريقة صاحبى « المعجم » ما كان لي أن أطالبهما بذلك .

ثعلب الذى نعت أحياناً من البغداديين .

وكانوا لا يصفون من خلط بين المذهبين بـ « البغدادى » ، بل قالوا عن ابن كيسان : إنه كان يخلط بين المذهبين ، وكذلك ابن شقير (أبو بكر) .

٧٧ - مذهب الشيعة

قال المؤلفان : الشيعة فرقة كبيرة من المسلمين نعتقد أن الخلافة حق شرعى لأبناء على بن أبى طالب وأحفاده من بعده ، وأن الأمويين اغتصبوها منهم بعد مقتل على . . .
أقول : ينبغى أن أصحح فأقول : إن الخلافة حق شرعى بحسب رأى الشيعة لعلى بن أبى طالب ، وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد خوله الوصاية بعده فى خطبته فى حجة الوداع ، ثم لأبنائه من بعده .

٧٨ - المصدر

وقد تكلم المؤلفان على « المصدر » فى العربية فى السماع والقياس ، ثم تكلموا على « المصدر الميمى » وجعلاه « مادة من المواد » ، وقد فاتهما المصدر الصناعى نحو الكيفية والتنوعية والمثالية والمادية .

وذكر هذا المصدر مهم ، ذلك أنه يدخل فى مادة مصطلحات العلم فى عصرنا .

٧٩ - المقتضب

هو احد البحور فى الشعر العربى . . .

أقول : وكان ينبغى أن يذكر « المقتضب » من كتب المبرد الكبيرة فى النحو .^(١)

٨٠ - مدمن القراءة « الأُرْضة » Bookworm

قال المؤلفان : هو من يغالى فى قراءة الكتب دون أن يمارس أى نشاط آخر .
أقول : لم أجد هذا النعت بحسب ما أفاد المؤلفان من استعماله ، وكأنهما ولداه دون أن يكون له فى الاستعمال أثر ، وذلك ليقابلا به المصطلح الأعجمى المثبت .

على أن من المفيد أن أشير إلى أن كلمة « المدمن » غلبت فى العريضة المعاصرة على « مدمن » الخمر والتدخين والمخدرات ونحو ذلك .

٨١ - النظامية :

قال المؤلفان : هى شعبة من شعب الاعتزال تنسب إلى النظام . . .

أقول : كان ينبغى أن تسبق هذه المادة بـ « النظامية » وهى مدرسة شهيرة أسسها نظام الملك الوزير السلجوقى فى بغداد ، كما كان « نظاميات » أخرى فى حواضر أخرى .

(١) كان على صاحبى « المعجم » أن يذكر فى باب الميم « مقدمة ابن خلدون » الشهيرة ، وكتاب الكامل للمبرد ، والكامل فى التاريخ لعز الدين ابن الأثير فى باب الكاف .

٨٢ - وجهة نظر الراوى

يراد بها أحياناً الموقف الفلسفى الذى يتخذه
مؤلف أثر أدبى . . .

هذا ما قاله المؤلفان ، وهو جيد ، إلا أنى
أود أن أقف على « وجهة نظر » التى نقلها
العرب فى عصرنا من الفرنسية le point de vue ،
وما أظننا محتاجين إلى هذا النقل ذلك أنها
ليست مصطلحاً ولا قريباً منه .

٨٣ - يوم حليلة

يوم من أيام العرب . . .

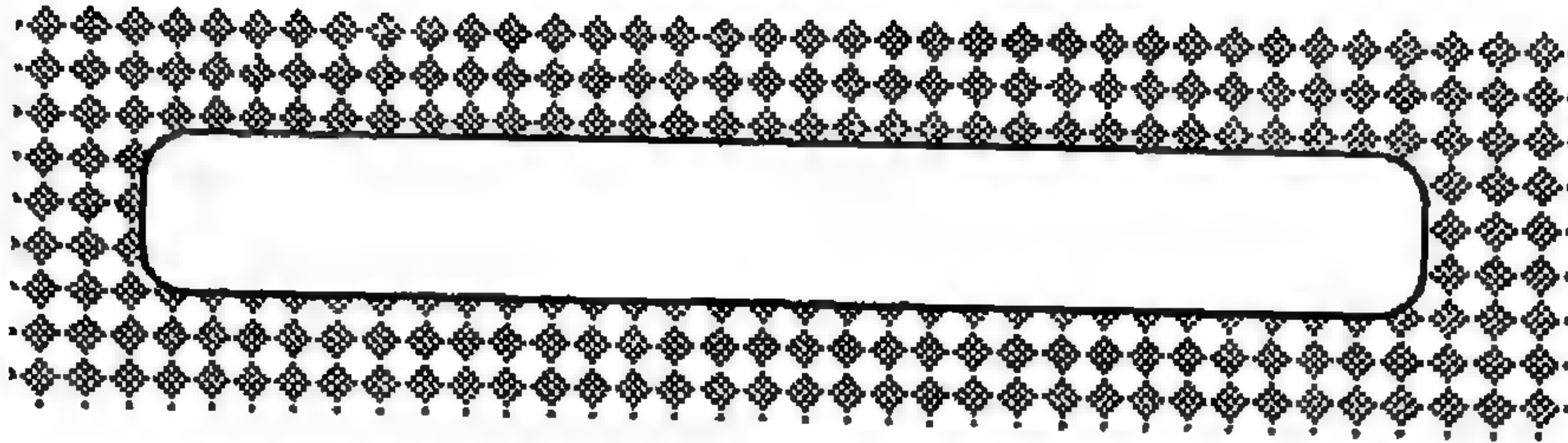
أقول : و « أيام العرب » كثيرة فلم يقتصر
المؤلفان على « يوم حليلة » .

لقد كان أجدر بهما أن يجعللا المادة « أيام
العرب » ، ويشار بها إلى « يوم حليلة » .
خاتمة :

هذه جملة ما وقفت عليه مما بدا لى أن
أقول فيه شيئاً ، و « المعجم » مع كل هذا
عمل يستحق الإعجاب والتنويه به ، وبما بذله
المؤلفان الفاضلان من عمل مشكور .

إبراهيم السامرائى

عضو المجمع من العراق



بين الأصول والفروع
فى التغيير الصوتى الصرفى
(٢)

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

٦ - ظاهرة الإبدال بين الأصل والفرع

أما الأصل فى باب (الإبدال) فيبنى على :
 شيوع الاستعمال ، وكثرة التصرف ، مع
 وجود نصوص قديمة مشتملة على الصور
 الشائعة مثل : هتلت السماء ، وهمتنت .
 وهما أصلان ، ألا تراهما متساويين فى
 التصرف يقولون : هتنت السماء تهتن تهتاناً ،
 وهتلت السماء تهتل . كما ورد شاهد
 لامرئ القيس به (تهتان) وشاهد للعجاج به
 (تهتال ^(١)) فكل من الصيغتين أصل قائم
 بذاته لأنهما متساويان فى التصرف ، وفى
 شيوع الاستعمال ، كما يميل ابن جنى إلى أن
 الثاء هى الأصل فى (الجذث) بمعنى القبر .
 يؤكد ابن جنى رأيه فى أصالة (الجذث)
 بقوله : ألا ترى الثاء أذهب فى التصريف من ^(٢)
 الغاء ، كما ورد لها نص من القرآن (فإذا هم
 من الأجداث) فالثاء أصل ، ثم تحولت بعد
 ذلك إلى الفاء فى بيئة أخرى تنزع
 إلى قلة الوضوح السمعى . وكما كانت الثاء
 أصلاً فى الآية السابقة - نراها أصلاً كذلك
 فى قوله تعالى : (من بقلها وقثائها وثومها
 وعدسها وبصلها - البقرة ٦١)
 الأصل ثومها - بالثاء ، وأرجح هذا
 لأسباب منها : أن الثوم فى الأكديّة s û m
 u (ثوم) وفى العبريّة s û m (شوم بالشين
) وبالأرامية t û m â (توما o h حد) بالثاء
 وهما يناظران الثاء ^(٣) فى العربية كما أنها فى
 مصحف ابن مسعود (وثومها) بالثاء ،
 وقرأها بالثاء علقمة وابن عباس ^(٤) ، وأخيراً
 إذا كانت بالثاء فقد وافقت العدس والبصل
 كما ورد فى اللسان ^(٥) قول الشاعر :
 (تحسبه بين الأكام شيرة) يريدون شجرة ،
 فلما قلبوا الجيم ياء كسروا أولها لثلاً ينقلب ألفاً
 فتصير شارة - ويظهر أن ابن جنى يخالف فى
 كون الياء بدلاً من الجيم فى (شجرة) بل
 الياء كما يرى أصلاً وليست بمبدلة ، واحتج
 بإثبات الياء فى تصغيرها فى قولهم : شيرة ^(٦) ،
 ولو كانت بدلاً من الجيم لكانوا خلقاء إذا
 حقروا الاسم أن يردوها إلى الجيم ليدلوا على
 الأصل . وأرى أن ابن جنى وأهم فى ذلك
 - لأننا نرى أن كلمة شجرة - بالجيم أكثر من

(١) الخصائص ٨٢/٢ فما بعدها . (٢) المحتسب لابن جنى ١٠٠/٢ مخطوط بمكتبة تيمور بدار الكتب المصرية رقم ٢٧٩ تفسير .

(٣) التطور النحوى ٢٣ برجتراسر . ط السماع ١٩٢٩ م . (٤) الكشف ١٠٨/١ ، مصحف ابن مسعود ٢٦ تحقيق أثر جفرى .

(٥) ٦١/١ .

الياء ، ثم إننا نجد أن الجيم ملتزمة في قولهم :
أشجار ، ولم نسمعهم يقولون : أشيار ، أو
على الأقل نجد (أشجار) أكثر من أشيار ،
وهذه الغلبة أو الكثرة تدل على أن الحرف
الذي كثر أصل ، وأن مقابلة فرع عنه .

وقد نجد الخلاف قائماً في تحديد الأصل
والفرع يعرضه عليك ابن جنى عرضاً وثيداً
يأخذ بعضه بحجز بعض : " وإذا ورد في بعض
حروف الكلمة لفظان مستعملان ، فالوجه
وصحيح القضاء أن نحكم بأنهما كليهما
أصلان منفردان ، ليس واحد منهما أولى
بالأصلية من صاحبه ، فلا تزال على هذا
معتقداً له حتى تقوم الدلالة على إبدال أحد
الحرفين من صاحبه ^(٢) . وهذا عيار في جميع
ما يرد عليك من هذا ، فاعرفه وقسّه تصب إن
شاء الله . ألا تراهم قالوا : أنى له أن يفعل
كذا ، وأن له أن يفعله ، قال تعالى : (ألم
يأن للذين آمنوا ...) فهذا من أنى . وقال
الشاعر :

ألمّا يثنى لى أن تُجلى عمايتى

وأقصرَ عن ليلى ؟ بلى قد أنى ليا

فجمع بين اللفتين . وذهب الأصمعى إلى

أن : أن مقلوب عن : أنى . وأن : أنى هو

الأصل . واستدل على ذلك بوجود مصدر :
أنى في الكلام ، لقوله تعالى : (إلى طعام
غير ناظرين إناه) أى بلوغه وإدراكه ، ولم
يجد لآن - مصدراً ، فلما وجد - لآنى أصلاً
وهو المصدر ، وجده أعم تصرفاً . ولم يجد لآن
مصدراً فقلّ بذلك تصرفه ، قضى - لأنى بأنه
أصل - لآن .

وقد كان ابن جنى موفقاً إلى حد كبير في
صوغ قانونه الآتى في باب عنوانه (باب في
الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم
والتأخير) حيث يقول : " إعلم أن كل لفظين
وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا
جميعاً أصلين ، ليس أحدهما مقلوباً عن
صاحبه فهو القياس الذى لا يجوز غيره ، وإن
لم يمكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب
عن صاحبه ، ثم أريت أيهما الأصل
وأيهما الفرع ^(٣) .

وأما أبو زيد فقال : هما أصلان ، وأثبت
لآن - مصدراً - وقال : يقال : آن الشيء أيناً ،
فكل واحد منهما اتبع ما سمع ، وقضى لنفسه
بما صحّ عنده .

ولا يمكن أن نقول بالإبدال : أى بأن إحدى
الصيغ أصل والأخرى فرع - إلا إذا كانت هناك

(٢) سر صناعة الإعراب ٢١٩ ج ١ . ط الطبى ١٩٥٤ تحقيق لجنة من الأساتذة .

(١) اللسان (شجرة) .
(٢) الخصائص ٦٩/٢ ط دار الكتب ، تحقيق الأستاذ محمد النجار .

علاقة مخرجية ووصفية بين البديل والمبدل منه ،
إلا أن بعض القدماء لم يفتنوا إلى ذلك ، من
ذلك ما جاء في إبدال أبي الطيب ^(١) : تركته
متفكنا متفكها : أى متندماً ، وفي التنزيل :
فظلتم تفكهون : الواقعة ٦٥) أى : تندمون ،
ويستفاد مما سبق أن الصيغتين تتعاقبان على
البديل . ولكنى لا أرى ذلك ، لأن معنى كل
صيغة يختلف عن الأخرى بدليل ما جاء في
الجمهرة ^(٢) : تفكّن القوم : تندموا ، فأما
تفكهوا : تعجبوا : . ثم إن العلاقة علاقة
تباعد بين النون والهاء ، ولهذا رجحت أن كل
صيغة منهما أصل مستقل .

٧ - بين الأصل والفرع في القلب المكانى

وما قيل في الإبدال يمكن أن يقال في
القلب المكانى . ففكرة الأصل فيه تبنى على
شروع الاستعمال ، وكثرة التصرف ، ولهذا
يرى ابن جنى أن القلب يكون إذا لم تتساو
الكلمتان تصرفاً واستعمالاً ، لإمكان أن تكون
واحدة أصلاً والأخرى فرعاً . من ذلك ما جاء
في اللسان من قولهم (اضمحل السحاب :
تقشع وأضمحل الشيء ذهب ، وفي لغة
الكلايين : اضمحل ، حكاها أبو زيد ^(٣) ،

وجاء في البلغة في شذور اللغة ^(٤) :
كساع إلى ظل الغياة يبتغى

مَقِيلاً فلماً أن أتاها اضمحلت
ومن لغة الكلايين : اضمحلت . فالأصل :
اضمحل وهى لغة الجمهور بدليل وجود شواهد
لها ، وبدليل وجود المصدر منها حيث يقال :
(الاضمحلال) ولم نسمع (اضمحلال)
فقصور تصاريه (اضمحل) دليل على
فرعيتها ، فإذا تساوت الكلمتان تصرفاً
واستعمالاً فهو من قبيل اختلاف اللهجات ،
وإذا وجد المصدران حكم بأن كل واحد من
الفعالين أصل وليس بمقلوب ، كما رأى ابن
جنى في (جذب وجبذ) تقول : جذب يجذب
جذباً فهو جاذب . والمفعول مجذوب ، وجبذ
يجبذ جبذاً فهو جابذ والمفعول مجبوذ . فهما
يتصرفان جميعاً ، وقد صرح ابن منظور ^(٥)
مرة أخرى بأن صيغة (جبذه) على القلب .
كما رأى الجوهري ^(٦) مثل ذلك ، وأحياناً يقع
الخلافاً بين الأئمة في ذلك مثل : صاعقة
وصواعق ، وصاعقة وصواقع ، وقرأ الحسن (من
الصواقع حذر الموت) ^(٧) وعلق أبو حيان على ذلك
فقال : وقد تقدم أنها لغة تميم ، وأخبرنا أنها ليست
من المقلوب ^(٨) ، ولعل أبا حيان رأى أن

(٢) ٤٧٤/٣ ط أولى . حيد راباه الدكن .

(٤) من ١١١ ط بيروت ١٩٠٨ .

(٦) الجاسوس على القاموس ٤٤ .

(٨) البحر المحيط ٨٦/١ لى حيان .

(١) ٤٥٩/٢ . دمشق تحقيق : عز الدين الترخي .

(٢) اللسان ٤١٤/١٣ .

(٥) اللسان ٢٥١/١ .

(٧) مختصر شواهد القرآن ٣ لابن خالويه ، نشره : برجشتراسر .

صاعقة وصاعقة قد تساوتا فى التصرف والاستعمال فهو من " قبيل اختلاف اللهجات لا من قبيل القلب ، ومع ذلك فقد نقل القلب أيضاً فى هذا عند جمهور أهل اللغة ^(١) ، وكان رأى هؤلاء أن أوسعهما تصرفاً هو الأصل ولكن مثل هذا غير متفق عليه ،

ومن ذلك قول الحارث بن خالد المخزومى وهو من قريش :

بأن الحمول فما شأونك نكرة

ولقد أراك تُشاء بالأظعان ^(٢)

يقال : شأوت القوم شأوا - أى سبقتهم - عن أبى زيد ، فجمع فى هذا البيت بين الأصل والمقلوب وفى النوادر ^(٣) : وقال أبو الحسن أما قول أبى حاتم الرياشى : إن (يُشاء) مقلوب فليس عندى بشيء ، لأن شَاءَ : سبقه وليس هذا موضعه .

والذى صح عندى أخبر فيه أبو العباس أحمد بن يحيى عن الأصمعى ، وهو أنه قال : تُشاءُ : تُعجب . يقال : شؤيت بكذا كذا : أى أعجبتُ به ، والسبق لامعنى له هاهنا ^(٤)

ويذهب ابن الأعرابى على أنهما لغتنا ،

وعلق ابن سيده على هذا بقوله : لأنه لم يكن نحويًا فيضبط مثل هذا ^(٥) . وقد أورد أبو زيد فى نوادره (٥) قول الرياشى فى الرد على مَنْ قال : إن (رىء) فى قول بعض بنى أسد : ما ذاك مِنْ أَلَّا تكونى حبيبةً

وإن (رىء) بالأخلاق منك صدور - فيه قلب . إذا أراد الشاعر (رُؤى) فقلبه . قال الرياشى عن هذا القول : ليس هذا القول بشيء ، والقول هو الأول . وقال : وقوم من العرب يؤخرون الهمزة فى رأى ونأى فيقولون : راء وناء ياهذا فجاءت (رأى) على تلك اللغة ، وأورد البيت ^(٦) .

كما ذكر الصغانى فى العباب : التأشير والتأويش على القلب ^(٧) ، فكلتا الصيغتين جاء منهما المصدر ، مع أن المفروض أن يكون المصدر لصيغة واحدة فقط وهى الصيغة الأصلية ، والحقيقة أن الكلمات التى حدث فيها القلب متى كانت من لغة واحدة يجب أن ينظر إليها على أن بعضها أصل ، والبعض الآخر مقلوب عنه ، كما يرى بعض المحدثين أن الفرع هذا كان نتيجة إما : لأخطاء الأطفال

(١) المرجع السابق ٨٤/١ .

(٢) والمعنى : مرات الحمل وهى الإبل عليها النساء فما هيجن شرقك ، وكنت قبل ذلك يهيج وجدك بهن .

(٣) لآبى زيد ٤٩/١ .

(٤) وأنظر المزهر ٤٧٩/١ حيث قال : شاء فى الأمر وشانى : إذا حزنتى .

(٥) اللسان (شأى) ١٠ ض ٤٠ .

(٦) وأنظر : منير الدياجى فى تفسير الأحاجى ٢٨٢/٢ علم الدين السخاوى . رسالة دكتوراه مخطوطة بجامعة أم القرى - بإشرافى . وتحقيق سلامة المرافى .

(٧) الجاسوس ٤٥ .

حيث لم يجسدوا عناية من ذويهم فى تصحيح تلك الأخطاء ، فتصبح الكلمة ذات صورة جديدة فى لهجته ، ويجد فى لغة الجيل الناشئ أموراً لم تكن موجودة فى لغة آبائهم ، بل أصبح ما كان يعدّ خطأ فى لغة الأجداد ، أمراً معترفاً به فى لغة الأحفاد ^(١) . أو نتيجة للتخفيف اللفظى أو يرجع إلى التوهم السمعى ، فقد تسمع : حفر ، فتتوهم أنك سمعت : فحر ، ومن التوهم السمعى وضعف الإصغاء جاء البلاء ، كما يمكن أن يكون مرجعه إلى اختلاف اللهجات العربية ، وفى الهمع ^(٢) رده إلى التوسع فى الكلام لضرورة من سجع أو قافية ، كما يمكن أن يرجع إلى غلط الرواة وتحريفهم ، كما يذهب نفر من الدارسين إلى أنه نوع من الميل إلى التخفيف ورغبة فى التفنن ، وذهب بعضهم إلى أن القلب يرد للتخصيص كما فى قولهم : فحّت الحية وحفت ، فالأول على أن صوتها كان من فمها ، والثانى على أنه كان من جلودها ساعة مشيها ، ولا مانع من أنه ممكن أن يفسر بهذه الأشياء كلها ، ومن المهم أن نشير إلى أن بعض العلماء لا يرى هذه الظاهرة فى العربية ، ولهذا ألف كتاباً فى إبطال القلب ^(٣) ، على

أن الأقوام الذين تكثر عندهم ظاهرة القلب يمكن تعليلها صوتياً بأنهم يعاملون الصيغة ككتلة واحدة مترابطة ، فتحتك فيها الأصوات فيحدث القلب للخفة أو السرعة .

وأخيراً : تنشط الدراسات اللغوية الحديثة المعتمدة على أحدث الأجهزة العالمية الحاسوبية (الكمبيوتر) حيث نتائجه أدق ، وحسابه أعدل ، وطرقه فى الاستقراء والإحصاء أشمل وأمن ، وبذلك أراحت من الطرق التقليدية التى تجهد الفكر . وترهق الذهن ، وتكد خاطر ، وتبدد الجهد والزمن ، وأخيراً توقع الباحث فى الزلل والخطل .

وإذا كانت كثرة الاستعمال وشيوع التصرف قد اقترنت بالإصالة والفرعية كما سبق ، وبها ارتبطت ظاهرة القلب المكاني وتفسيرها عند القدماء ، إلا أنهم لم يوضحوا لنا حدود نسبة ما سموه بكثرة الاستعمال وشيوعه ، وحسبهم فى النهاية أن يقولوا عن القلب المكاني (إنه من سنن العرب ^(٤)) !

وتؤكد هذه الدراسات الحديثة القائمة على الأجهزة الحاسوبية أن السر الحقيقى فى معظم أمثله القلب المكاني يرجع إلى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية فى الكلمات ، وأن هذه

(١) من أسرار اللغة ٣٢ ط أولى . دكتور إبراهيم أنيس .

(٢) المزهر ٤٨١/١ ط دار إحياء الكتب العربية . والذى أنكر القلب هو : ابن درستوى .

(٣) ٢٢٥/٢ .

(٤) المزهر ٤٧٦/١ .

السلاسل الصوتية تختلف في نسبة شيوعها في الكلام العربي ، فمنها الكثير الشيوع ، والمتوسط الشيوع ، والقليل والنادر ، فإذا خطرت في ذهن إحدى تلك السلاسل الصوتية القليلة الشيوع فقد تستدعي إلى الشعور سلسلة أخرى تشبهها ، كما يلاحظ أن السلاسل الصوتية الأكثر شيوعاً من الناحية الإحصائية هي السلاسل وأسرعها . في الإستجابة للخاطر من غيرها .

فحلول سلسلة صوتية محل أخرى ، سره الحقيقي أن السلسلة الجديدة الطارئة أكثر شيوعاً ودوراناً في الكلام من الأخرى - وتلك ظاهرة القلب المكاني .

فالتفسير العلمي للفعل (يئس) مع مقلوبه (أيس)^(١) أن الجذر الثلاثي الذي يبدأ بالياء ، وبعدها الهمزة أقل شيوعاً من الذي يبدأ بالهمزة وبعدها الياء فعلى حين يرد الأول مرة واحدة يرد الثاني عشر مرات .

كذلك نجد أن الجذر الثلاثي الذي ينتهي بالهمزة وبعدها السين أقل شيوعاً من الذي ينتهي بالياء وبعدها السين فعلى حين يرد الأول مرتين يرد الآخر ثمانى مرات^(٢) .

وقد ضرب الدكتور أنيس كذلك عدة أمثلة لجموع في اللغة أصابها القلب المكاني أكد

أخيراً أن السرفى وقوع القلب المكاني بها هو إختلاف نسبة الشيوع بين السلاسل الصوتية التى تتألف منها تلك الجموع^(٣) حسب ما جاء فى إحصاءات جذور اللغة العربية .

لكن يظهر أن علماء العربية القدامى قد جانبهم الصواب أو جانبوه فيما يتصل بموضوعنا (الأصل والفرع) فى ظاهرة القلب المكاني - حيث أجمعوا على أن (ملأك) أصلها (مأك) ثم حدث فيها القلب المكاني بتقديم اللام ، فالقدماء يرون أن (ألك) أصل - و (لأك) فرع . وربما دفعهم إلى ذلك أن المادة : لأك لم ترد فى أكثر شواهد اللغة ، وأن الشواهد المروية تتضمن الأسماء الآتية :

الألوك ، المألكة ، المأك - وجميعها من مادة : ألك .

وتذهب الدراسات القائمة على الحاسب الإلكتروني لجذور العربية إلى أن المادة الأصلية هي (لأك) . وأن (ألك) هي الفرع وهى المقلوب ، على عكس ما رأى القدماء يؤكد ذلك أن ألك - لا نظير لها فى الساميات ، وإنما التى لها نظير فى الساميات (الحبشية والعبرية والسريانية)

(١) أنظر حدثاً قيميا لابن جنى فى تعليقه للقلب فى تلك الصيغة فى الخصائص ٧٠/٢ فما بعدها .

(٢) مسطرة اللغوى د . إبراهيم أنيس . مجلة مجمع اللغة العربية ج ٢٩ .

(٣) روى الجموع : آراء . آبار . آراس - آرام (مجلة مجمع اللغة العربية ٢٤ من ٨) .

هى المادة (لأك) لا غير . ثم إن جداول الإحصاء أثبتت أن الأكثر شيوعاً تعدُّ الصورة الحديثة أو الفرع ، وأن الأقل شيوعاً تعدُّ الأصل ، فالصورة لأك - أقل شيوعاً وهى الأصل ، (ألك) أكثر شيوعاً وهى الفرع . والدليل الإحصائى يؤكد ذلك ، فالجذر الثلاثى الذى يبدأ باللام بعدها بهمزة يرد مرتين فقط ، على حين أن الذى يبدأ بهمزة وبعدها اللام يرد إحدى عشرة مرة ، كما تدل على أن الجذر الثلاثى الذى ينتهى بهمزة يليها الكاف نسبة شيوعه مرة واحدة فقط ، على حين أن الذى ينتهى باللام تليها الكاف ثمانى مرات (١) .

وفى النهاية نؤكد أن علماءنا الأقدمين تنبهوا إلى ما تنبه إليه علماء القرن العشرين فجهودهم مشكورة تستحق الثناء والإكبار ، ولكن غام عليهم تفسير ظاهرة القلب المكانى ولا أقول غاب عنهم ، فهم قد أثاروا حديثاً حول كثرة الاستعمال والشيوع ومدى دورانه فى الصيغة كما سبق ، ولكن لم يحددوا إحصائياً كما فعل المحدثون - نسب الكثرة أو الندور والقلّة .

وعلى سبيل المثال فصيغة (صق) يتتابع

(١) مجلة المجمع بالقاهرة ج ٣١ ص ٧ بحث الدكتور إبراهيم أنيس .

فيها الصوتان فى الموقعين الأول والثانى ،
الثالث على النمط الآتى :
أ - صق :

ص ع فى الأول = ٨ مرات

ع ق فى الآخر = ٨ مرات

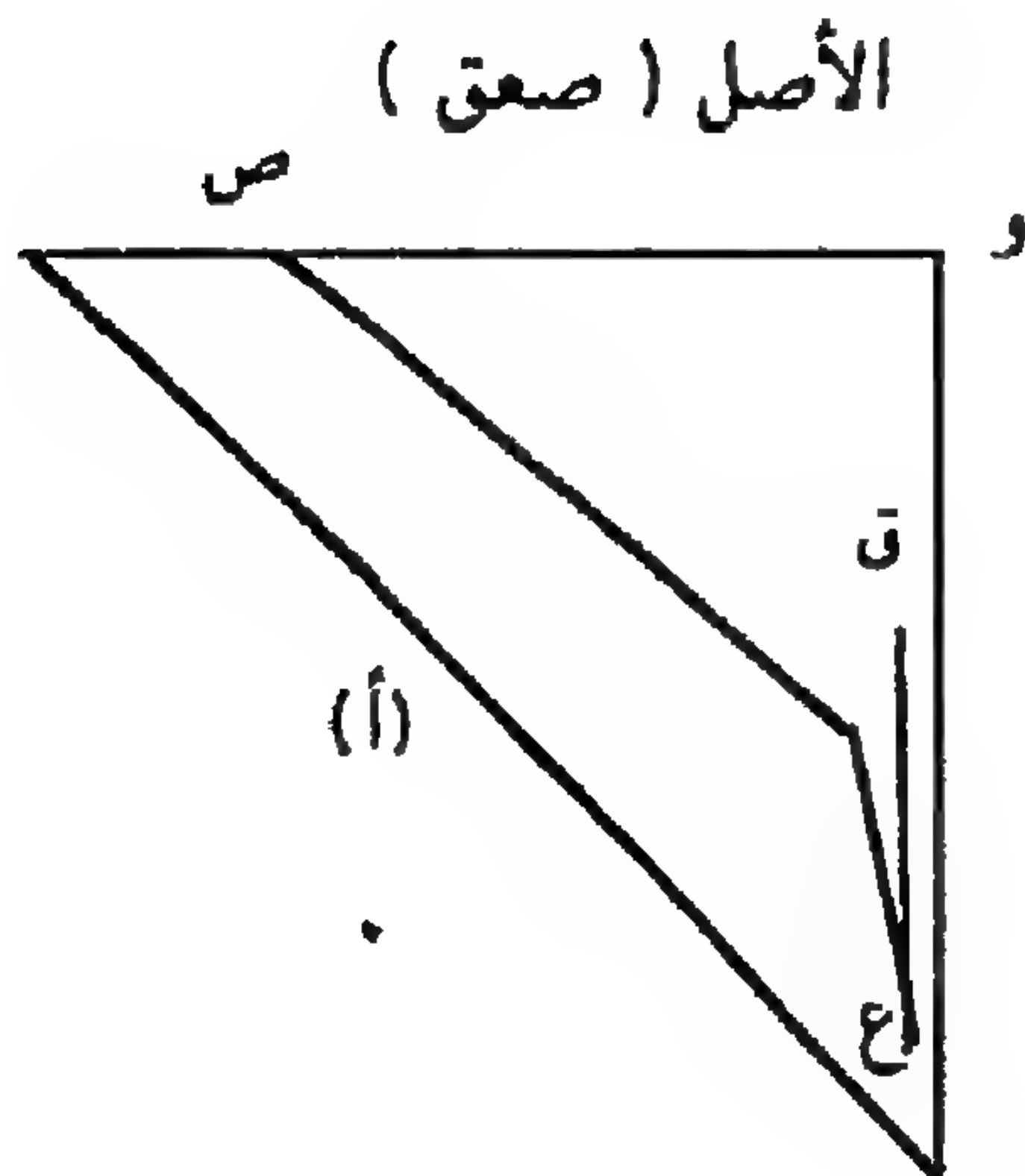
ب - صقع : التسمية :

ص ق فى الأول = ١٣ مرة .

ق ع فى الآخر = ١٢ مرة .

وإذا مثلنا النطق الصوتى السابق بالرسم

يظهر كالاتى :



(أ) المسافة أطول .

- اتجاه الخط عكسى .

- الزاوية حادة .

والخط فى الصيغة المقلوبة أيسر من الخط الذى يمثل الصيغة قبل القلب ، ويُسرّه يتجلى فى قصره أحياناً ، نظام وفى اتجاهه أحياناً أخرى (١) .

وفى الوقت الذى نشط فيه عمل (الكومبيوتر) ودوره فى عمليات الإنتاج والإحصاء والتحليل كان لنا دور متواضع - حسب طاقتنا - على هذا الدرب (٢) .

٨ - بين الأصل والفرع فى المتعدى واللازم .

يرى بعض علمائنا (٣) أن الأصل فى الأفعال القصور على النفس واللزم لها . والتعدية فرع وعارض ، فالأفعال فى نظر هؤلاء تبدأ لازمة ، ثم تتعدى إلى عملها بعدة وسائل منها : الحرف والهمزة والتضعيف ، كقولك : ذهبت بمحمد ، وكقوله تعالى " ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين " وكقوله جل شأنه " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض " . وفى هذا شاهد على تأثر الأصل بالحالة التى يكون عليها الفرع . فاللازم أولاً (الأصل) ثم يعدى بالحرف أو بالهمزة أو بالتضعيف . ومن عوامل التعدية خلاف ما ذكر ما يمثلون له بقول ساعدة بن جؤبة يصف رمحا :

لدى بهز الكفّ يعسل متنه
فيه كما عسل الطريق الثعلب
أى : فى الطريق . فسقط حرف الجر توسعاً ، وعن مثل هذا التوسع - تطور اللازم إلى المتعدى إلى مفعوله من غير حرف جر ، وطلب التوسع فى هذا للخفة والإيجاز . وهما أساسان من أسس العربية ودعامتان من دعائم البلاغة حين قالوا : البلاغة الإيجاز ، على حين يرى نفر من الباحثين عكس هذا الرأى وهو : الدكتور مصطفى جواد ، فيرى أن التعدى فى الأفعال - أى وقوعها من فاعلها على غيره - هو الأصل ، واللزم حال عارضة لها . ذلك لأن الفاعل إنما يصدر عنه الفعل ليوقعه على غيره لا ليستقر فيه ، فالحياة مبنية على إصابة الفاعل لغيره كالأكل والشرب والضرب ثم ينتهى الباحث إلى أن : أكثر الأفعال الثلاثية فى العربية متعدية لذلك السبب الطبيعى ، وما ورد منها لازماً فهو محدود ، ولذلك ابتدعت العربية فعل يفعل - بالضم - للزوم ، لأن أفعال الغرائز وأشباهاها تحتاج إلى اللزوم ، فهذا الوزن يحدث بالنسبة إلى الأوزان الأخرى .. فأخذت العرب تشتق من الأفعال المتعدية أفعالا لازمة ،

(١) انظر : لغة تميم ٣٦٣ د . ضاحى عبد الباقي . ودراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح . د . على حلمى موسى ٦٥ فما بعدها .

وخصائص لغة تميم ١٤٠ د . محمد العمري رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة أم القرى مكة المكرمة .

(٢) انظر مقالنا : فى الجانب الإحصائى اللغوى ، ونشر بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء ٢٨ ص ١٨٠ .

(٣) الفعل زمانه وأبنيته ٨٤ دكتور إبراهيم السامرائى ط بغداد ١٩٦٦ .

وذلك بنقلها من الأوزان القديمة المتعدية إلى الأوزان المحدثة اللازمة ، وفى نهاية حديثه ساق شواهد نكتفى منها بمثال واحد فقد قالوا ، بلغ فلان الموضع المراد - ثم قالوا : بلغ مراده بخطبته أو وعظه أو كلامه ، ثم اشتقوا فعلاً لازماً من هذا المتعدى على وزن (فعل يفعل) أبدعوه للزوم فقالوا : بلغ فلان يبلغ بلاغة - أى صار بليغاً وقد كرر الدكتور رأيه هذا فى أماكن عدة (١) .

ويورد بعض الباحثين تعليقاً على قول الدكتور جواد بقوله " ولست أدري ما المقصود بالحياة على اختلاف أنواعها وتباين طرائقها ؟ ثم ما علاقة اختلاف الحياة وتباين طرائقها بمسألة لغوية تاريخية ؟ ثم ما المقصود بالحياة القائمة على التعدى ؟ وما التعدى هذا وما طبيعته وحقيقته ؟ ثم يخلص صاحب التعليق إلى قوله : ومثل هذه العبارات الغامضة لا تصلح أن تكون دليلاً على إثبات حقيقة لغوية تاريخية والحقائق اللغوية التاريخية لا يستدل عليها إلا بالدليل المادى (٢) .

على أن تقرير الأصل والفرع بين المتعدى واللازم عملية لا يصلح لها الكلام والمعارضة وإنما يجب إتباع منهج إحصائى فيها لجميع

الأفعال اللازمة ، وحصر ما تعدى منها بواسطة حروف الجر ، وإستقصاء ما سقط منه حرف الجر توسعاً ، وما تعدى من الأفعال بواسطة التضمين ، وملاحظة سلوك الفعل اللازم وميله نحو التعدى وتطوره إليه ، ويورد بعض الدارسين (٣) ملاحظة تتضمن معارضة من قالوا بأصالة اللازم وفرعية المتعدى مؤداها : أن أصالة اللازم وفرعية المتعدى لا تنسجم مع ما نلاحظه فى العربية من كثرة المتعدى وانحصار اللازم فى أبنية بعينها - إذا كيف يجىء أكثر اللغة متعدياً وهو متطور إليه ، ويجىء أقلها لازماً وهو أصل متفرع عنه مع أن الطبيعى أن يجىء الأكثر على الأصل وهو اللازم لا على الفرع وهو المتعدى . وأرى أن القسمة الطبيعية التى مال إليها الدارس ربما يخالفها ما نراه من كلمة أو كلمتين وردت فى اللغة وصفتا بأنهما جاءتتا منبهة على الأصل (٤) ، فلا يلزم من أصالة الصيغة كثرة ورودها ، وأرى أن مسائل اللغة لا تعالج بمثل هذا المنطق . ومسائلها أولاً وأخيراً مرنة طيعة ، لا تعرف الحزم والحسم فهى معطية ولاقفة مؤثرة ومتأثرة .

والحقيقة أن بيان الأصالة والفرعية فى هذا

(١) دراسات فى فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم ص ٢٤ ، ٢٧ ، ٤٤ ، ٤٧ .

(٢) الفعل زمانه وأبنيته ٨٢ دكتور السامرائى .

(٣) الوحدات الصرفية ٧٣ ماچستير بمكتبة دار العلوم .

(٤) الأشمونى ١٨٦/٤ والتصريح ٢٣٠/٢ ، ٤٠٣ .

الباب تحتاج إلى جهد وعناء ، لأن التعدى وال لزوم ظاهرة من ظواهر قلق العربية ، بدليل وجود استعمال الفعل اللازم مكان المتعدي وإستعمال عدد من الأفعال المتعدية مكان الأفعال اللازمة (الأخطاء اللغوية ٤٠ / ٢ الشيخ محمد النجار) ، كما أن صيغا مثل : استفعل تفعل تفاعل ، افتعل - مشتركة بين المتعدية واللازمة ، وأن بعض الصيغ التي تفيد معنى اللزوم تفيد أيضاً معنى التعدية ، وإختلاف العلماء فيما بينهم بشأن بعض الصيغ ، فبعضهم يرى أنها لازمة كسيبويه ، وآخرون يرون أنها متعدية كابن جنى وأبى عبيدة (٢) ، كما نجد بعض الأفعال التي تتعدى وهى ثلاثية ، فإذا دخلت عليها الهمزة كانت لازمة ، مثل : أقشع الغيم ، وقشعته الريح ، وأكب على وجهه ، وكببته (٣) .

وأخيراً نلمح ظواهر هذا القلق فيما بين الفصحى ولهجاتها :

(أ) أفعال ثلاثية اشتهرت بعض القبائل بتعديتها ، وهى فى الفصحى لازمة مثل : جبره ، وهى لهجة تميم ، وكثير من أهل الحجاز ، وعامة العرب يقولون : أجبره (٤)

(ب) عشى يعشى ، وعشا يعشو : لازم ،

والمتعدي منه (أعشى) ، ولكن : عشا - وردت متعدية فى شعر ساعدة بن جؤية الهذلى :

(شهابى الذى أعشر الطريق بضوئه) (٥)
(ج) رجع وأرجع - يستعمل (رجع) لازماً ، جاء القرآن " فإن رجعتك الله " (٦) وهذيل تعديه بالهمزة (أرجع) وذلك فى قول أبى ذؤيب (٧) :

فبدا له أقراب هذا رائغا

عجلاً فعيت فى الكنانة يرجع ويرى الأصمعى (٨) أن أرجع - بمعنى رجع - لغة هذيل .

٩ - ظاهرة التذكير والتأنيث بين الأصل والفرع

هذه الظاهرة تتطور فى اتجاهين مختلفين ، فاتجاه يتطور من مرحلة التأنيث إلى التذكير ، واتجاه يسير عكس هذا ، وإليك بيان هذه الخطوات من خلال الشواهد :

أ - ما تطور من مرحلة التأنيث إلى التذكير :

١ - جاء عن ابن سيده ، أن (القدر) أنشى ، وبعض قيس يذكرها وقد استشهد للهجة قيس صاحب المخصص بقول الشاعر :

(١) حاشية الصبان على الأشعرنى ١٨٢/٤ ط ارلى .

(٢) (المصباح) فى هذه المراد .

(٤) ديوان الهذليين ٢٢٨/١ .

(٦) ديوان الهذليين ١/١ القاهرة .

(٧) المقصليات القصيدة رقم ١٢٦ ص ٤٢٥ (تحقيق الأستاذين هارون وشاكر ط الثالثة دار المعارف ١٩٦٤)

(٣) المصباح (جبر) .

(٥) التوبة ٨٢ .

بقدر يأخذ الأعضاء تماً

بحلقته ويلتهم الفقارا

(المخصص ١٦/١٧) فقال - يأخذ - بالياء ،

لأن القدر عند بعض قيس مذكر . وفى رواية أخرى عن الفراء قال أنشدنى النميرى : بقدر

تأخذ الأعضاء تماً (المذكر والمؤنث للفراء ١٨)
بالتاء فى تأخذ .

٢ - روى أن الذراع أنثى - وقد ذكر

الذراع بعض عكل ، وقال الفراء :

والهاء فى التصغير أجود وأكثر فى

الذراع ، واستشهد على تأنيثها بقول

الشاعر :

أرمى عليها وهى فرع أجمع

وهى ثلاث أذرع والإصبع

ويفهم من قول الفراء السابق أن تأنيث

الذراع أكثر ، بدليل أنه لم يستشهد لها إلا

مؤنثة حين قال : ثلاث أذرع ، ولو كانت

مذكورة لقال : ثلاثة أذرع .

٣ - عن الفراء - أن الرياح - كلها إناث ،

وأنشد لبعض بنى أسد :

كم من جراب عظيم جئت تحمله

ودهنه ريحها يغطى على الثقل

فقول الشاعر : يغطى - بالياء دليل على

أن الريح مذكورة عند بعض أسد . ولكن يبدو

أن الفراء لا تعجبه لهجة بنى أسد فى تذكيرها

الريح - حيث يقول فى تعليقه لهذا " وكأنهم

اجترأوا على ذلك " أى على التذكير " إذا

كانت الريح ليس فيها هاء .

ب - ما تطور من مرحلة التذكير إلى

التأنيث

عن السجستانى أن (الهدى وهو ضد

الضلال مذكر فى جميع اللغات . ثم قال :

وبعض بنى أسد يؤنث الهدى) وجاء عن بنى

أسد : هذه هدى حسنة ، كما عزا ابن سيده

التأنيث إلى بعض أسد ، ولكن هل الظاهرة

لأسد ، أو لبعض أسد ؟ وأرجح أن اللغويين لم

يستقصوا هذه الظاهرة فى بنى أسد ، ومن هنا

جاء اختلافهم ، أو أن أسداً وهى قبيلة كبيرة -

حدث فى بعض قبائلها التطور من التذكير إلى

التأنيث - بمعنى أن التطور لم يكن يشمل

جميع بطونها ، لانعزالها جغرافياً . والقرآن

يذكر كلمة (الهدى) على اللغة المشهورة

« قل إن هدى الله هو الهدى » . " ذلك هدى

الله يهدى به من يشاء من عباده » .

تعقيب :

يلاحظ على ماسبق من التطور : سواء أكان

تطورا من التأنيث إلى التذكير أم العكس أن أحد النطقين نسب إلى بيئة معينة ، ولم ينسب الآخر ، أرجح أن الصورة المعزوة كانت فى محيط ضيق ، إذا ما قورنت بالصيغة التى لم تنسب والتى أرجح أنها كانت شائعة فى محيط أوسع من الأول ، كما أرى أن الصيغة المعزوة هى الفرع ، أى أنها مستطورة عن الصيغة التى أهمل عزوها . أما إذا لم تنسب كل من الصيغتين ، فإننا لا نستطيع أن نعرف أيهما الأصل أو الفرع ، لكن أرجح أن الصيغة التى لها شاهد قديم هى الأصل ، والأخرى هى الفرع ، فإذا ورد لكل من الصيغتين المذكرة والمؤنثة شواهد ، فإننى أرجح أن الصيغة الأكثر شواهد هى الأصل ، والأخرى فرع لها . فإذا ما جاء عنهم أن السكينة تذكر وتؤنث واستشهد للتذكير بقول الهذلى :

(فذلك سكين على الخلق حاذق)

رجحت أن التذكير فيها هو الأصل ولا سيما إذا قال ابن الأعرابى : لم أسمع تأنيث السكين . أو قول ابن سيده : والغالب عليه التذكير . فالشاهد الشعرى مضافا إليه إجماع جمهرة من علماء اللغة - أكد أن التذكير فيها هو الأصل والتأنيث فرع له .

ولا شك أن مرجع القلق الذى رأيناه بين التذكير والتأنيث يرجع إلى عوامل متشابكة وإلى ظروف اجتماعية مختلفة ، وقد يكون من أهم هذه العوامل فى هذا الاختلاف انتقال اللغة من السلف إلى الخلف ، وهذا الممر التاريخى كفىل بأن يحدث تطورا فى الكلمة حيث أنثت فى زمن ثم ذكرت فى آخر ، كما أن بعض الكلمات قد آثرت الانعزال فبقيت أثرية متخلفة ، وهذا معنى قول الفراء : إن الصاغ يؤنثه أهل الحجاز ، وأسد وأهل نجد يذكرونه ، وربما أنثه بعض أسد ، فالتطور تخلف فى بعض قبائل أسد ، حيث لم يصل مد التذكير إلى جميع قبائلها .

ومن القلق فى الصيغ أيضا ما نراه فى كلمة (النخل) فقد اتخذت أوضاعا مختلفة حيث أنثت فى قوله تعالى (كأنهم أعجاز نخل خاوية : الحاقة ٧) كما ذكرت فى قوله تعالى (نخل منقعر : القمر ٢٠) وربما يقصد بها فى حالة التذكير جنس النخل ، وفى حالة التأنيث يراد بها جماعته ، وربما كانت إحدى هذه الصور مستعملة فى الحياة اليومية كلغة شعبية ، والصورة الأخرى مستعملة كلغة أدبية نموذجية ، ولما جاء جامع اللغة - وكان جمعهم

خليطاً غير منظم - جعلوا هذه الصور على أنها هي اللغة الفصحى ، مع أنهم حشدوا مع الفصحى هذه الاستعمالات الشعبية - التي كان يجب أن تبقى في مكان واضح منعزل من المعجم العربي .

١٠ - ظاهرة التصحيح والإعلال بين الأصل والفرع

التصحيح والإعلال من المعانى المتضادة ، ومعنى الأول إبقاء حرف العلة على ما هو عليه دون تغييره أو تبديله . والإعلال : تغيير حرف العلة بقلبه أو حذفه أو إسكانه ، وقد جاء مسموعاً عن العرب ما حوى حرف علة ، واختلف فيه ، فمنهم من أبقى هذا الحرف ، ومنهم من غيره وبذلك ، فمن ذلك :

١ - اسم المفعول من الأجوف اليائى :

ذكر ابن جنى عن أبى على قراءة عليه عن أبى العباس عن أبى عثمان عن الأصمعى قال : بنو قميم - فيما زعم علماؤنا - يتمون مفعولاً من الياء فيقولون : ثوب مخيوطٌ ، ويرمكول (١) ، ويسره مطيوبة (٢) ، وأنشد أبو عثمان عنه عن أبى عمرو :

(وكأنها تفاحة مطيوبة) (٣)
وأنشد علقمة :

(يوم رذاذ عليه الدُّجن مغيوم) (٤)
وقال غيره :

(وإخالُ أنك سيدٌ مغيون) (٥)

وأما أهل الحجاز فيحذفون ، من ذلك ما رواه ابن الشجرى (٦) من قولهم : معيب ومخيطة ، ومكيل ومزيت ، وعزا ذلك إلى أهل الحجاز .

٢ - اسم المفعول من الأجوف الواوى :

فألحجازيون يعلونه وينقصونه فيقولون : ثوب مَصُونٌ ، ومسك مدوفٌ ، وقول مقولٌ ، وفرس مقود (٧) . وغيرهم يقولونه بالتمام ولا ينقصونه مثل : ما ذكره ابن خالوية في حرفين : مسك مذوفٌ ، وثوب مَصُونون (٨) وزاد الكسائى : خاتم وصورغ (٩) .

وحكى ابن جنى : ثوب مَصُونٌ ، وفرس مقود (١٠) ، وقضى ابن عقيل على الصيغ التامة (بالندور) (١١) . وقال الأشمونى : مثل هذا لا يقاس عليه (١٢) . وحكم عليه الرضى بالقلّة (١٣) ، وابن منظور وسمها

(١) المقتضب من كلام العرب : ٨ لأبى الفتح شاق بن جنى (ط العربية ١٩٢٤ مصر) .

(٢) المقتضب لابن جنى : ٨ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ٢١٠/١ ، والتصريح على التوضيح ٢٩٥/٢ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) شرح الشافى ١٤٩/٢ (ط حجازى) .

(٦) شرح ابن عقيل ٤٥٠/٢ (الطبعة السابقة - السعادة - مصر) .

(٧) شرح الشافى ١٤٤/٣ .

(٨) ليس فى كلام العرب لابن خالوية : ١٨ (طبعة أولى) .

(٩) ابن يعيش ٨٠/١٠ .

(١٠) أمالى ابن الشجرى ٢١٠/١ .

(١١) ليس فى كلام العرب : ١٨ .

(١٢) الخصائص لابن جنى ٢٧٠/١ (ط . الهلال . مصر) .

(١٣) شرح الأشمونى ٢٢٥/٤ (دار إحياء الكتب العربية) .

بالشدوذ^(١) وهذه الصيغ التامة قد عزيت إلى تميم ، كما عزيت إلى بنى يربوع وبنى عقيل ، ولا تناقض فى ذلك ، لأن بنى يربوع بطن من حنظلة من تميم ، وعقيل مساكنها كانت عن كثب من مساكن تميم ، ويربطهم رباط البداوة حيث تتقارب لهجاتهم ، وتسير على نسق واحد إلى حد ما .

وإنما حكم على هذه الصيغ بما سبق ، لأن الضمة ثقيلة على الواو ، ولا سيما إذا وقع بعدها واو أخرى ، ولهذا كانت العرب لا تتم هذا إلا قسيما ومن لفّ لفها ، كما أرى أن لهجة تميم هى الأصل فى تمام اليائى والواوى ، وأن لهجة الحجاز أحدث منها ، وذلك لأن الصيغة التى تشتمل على أصوات لين منسجمة أحدث من نظيرتها التى خلت أصوات لينها من الانسجام^(٢) ، و (مدين) أصلها مديون ، نقلت الضمة من الياء إلى الساكن قبلها ، فالتقى ساكنان ، فحذفت الواو ، ثم قلبت الضمة كسرة لتسلم الياء فصارت (مدين) وفى لهجاتنا المعاصرة نحتفظ بالصيغة القدمى التى كانت فى تميم فنقول : مديون ، وكذلك فى الأمثال العامية فى نجد يقولون : أمّ البيض مصيودة^(٣) وفى الفصحى (مصيدة)

أما القرآن الكريم فمال إلى اللهجة الحجازية فى قوله تعالى : " وكانت الجبال كثيباً مهيلاً " (٤) .

وهذا هو القياس أى : الإعلال سواء أكانت الصيغة واوية أم يائية . أما لهجة تميم فهى فترة من فترات تطور اللغة فى زمن بعيد ، وهى ولا شك تشير إلى (الأصل) التاريخى للصيغة ولذلك كانت مسموعة ، وسماعها يخالف القياس المشهور ، وذلك دليل على أنها من البقايا اللغوية القديمة ، ومن الصيغ فى المراحل الأولى ، ومن السهل تعليل تلك الصيغ التى شاعت فى قبائل تميم ومن لفّ لفها ، بالقياس الخطأ ، حيث قاس الطفل التميمى صيغة اسم المفعول من الأجوف على صيغته من الصحيح ، لأن الأفعال الصحيحة هى الأكثر فى اللغة .

وبمناسبة الحديث عن (الأصل) فإن علماء الصرف يجدون لكل صيغة (أصلاً) بمعنى أن هناك أصلاً ثابتاً ترجع إليه كل الصيغ المتشابهة إن أمكن ، وإلا افترضوا أصولاً وهمية معنيين فى التخيل والتأويل ، فيمكن أن ترى فى كتب الصرف أمثلة مثل :
الأعلين : أصلها : الأعلوين .

(٢) فى اللهجات العربية ٥٧ ط ٢ د . إبراهيم أنيس .
(٤) المزمّل : ١٤ .

(١) اللسان ٣١٤/٤ .
(٢) الأمثال العامية فى نجد ٢٦/١ محمد العبدوى .

داعين : أصلها : داعوين .

منصف : أصلها : مؤنصف .

اعتدنا : أصلها : اعتودنا .

أثير : أصلها : أثور .

قال : أصلها : قول .

غزا : أصلها : غزو .

فما قالوه عن الأصول - هي أصول متوهمة

لا سند لها من تاريخ ، ولا دعامة لها من

لغة ^(١) ، وكل ما قالوه عنها : إن (قال)

على وزن فعل ، لأن أصلها : قول ، مثل نصر .

تماماً فإذا قلت : إن المضارع ينصر فلا بد أن

يكون مضارع قال : يَقُولُ مثل ينصر ، والحق

كما يقول بعض الباحثين ^(٢) أن الفعل (قال)

يختلف عن الفعل (نصر) فالأولى مكونة

من مقطعين ، والثانية مؤلفة من ثلاثة

مقاطع ، هذا بالإضافة إلى أن هناك فرقاً في

كمية بعض المقاطع ، وهذا الفرق يشير إلى

وجوب معاملة الصيغتين معاملة صرفية

مختلفة ، حيث إن الأوزان أولاً وأخيراً لا تخرج

عن كونها مقاييس صوتية صيغت للقياس

عليها ، ومعناه : وجوب النظر إلى (قال)

(غزا) ونحوهما نظرة تختلف عن تلك النظرة

التي تعامل بها (نصر) .

ولقد تنبه إلى هذا الملحظ الدقيق بعض

العلماء ، فقد نقل الإستراباذي ^(٣) في

الشافية رأياً لعبد القاهر بأن (قال) بوزن

(فال) ومعنى هذا أن الأجوف يكون ثنائياً

معتلاً ومثله في ذلك الناقص ، وليس ثلاثياً

كما يرى علماء الصرف .

ولقد كان ابن جنى على حق حينما رأى أن

هذا الأصل الذي قال به علماء الصرف لم

تنطق به العرب يقول (هذا الوضع كثير

الإيهام لأكثر من يسمعه ، لا حقيقة تحته ،

وذلك قولنا : الأصل في (قام) قَوْم - وفي

باع بَيْع ، وفي طال : طول وفي خاف ونام

وهاب : خوف ، نوم ، هيب وفي استقام :

استقرم ، وفي يستعين : يستعون فهذا

يوهم أن هذه الألفاظ وما كان نحوها - مما

يدعى أن له أصلاً يخالف ظاهر لفظه - قد

كان مرة يقال ، حتى إنهم كانوا يقولون في

موضع : قام زيد : قَوْم زيد ، وكذلك : نَوْم

جعفر ، وطول محمد ، وشدد أخوك يده ،

واستعدد الأمير لعدوه ، وليس الأمر كذلك بل

بضده ، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا

على ما تراه وتسمعه ثم يتحدث ابن جنى

عن الأصل واستعماله عند العرب فيقول :

(١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية . دكتور كمال بشرج ٢٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) شرح الشافية ج ١٨/١ .

فأما أن يكون استعمل وقتاً من الزمان كذلك ،
ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ
لا يعتقده أحد من أهل النظر ^(١) .

وكأن ابن جنى يرى أن قول علماء الصرف
فى (قال) الخ أصلها : قول ، وأن : باع :
بيع لم تنطق به العرب ، وإنما هى
أصول افتراضية خيالية لبيان القاعدة وشرحها
وبيان خطوات الإعلال فيها ، يقول ابن جنى معقبا
" فأما أن يمكن النطق بهما على حال فلا ^(٢) .
ويشبه قوله هذا ما يقوله ابن حزم الظاهرى
" وما عدا هذا فهو - مع أنه تحكم فاسد
متناقض ، فهو أيضاً كذب ، لأن قولهم كان
الأصل كذا فاستثقل فنقل إلى كذا شئ
يعلم كل ذى حس أنه كذب لم يكن قط ، ولا
كانت العرب عليه مدة ثم انتقلت إلى ما سمع
منها بعد ذلك ^(٣) . ولكن ابن جنى بعد أن
أنكر هذا الأصل راح يعترف به فى مصدر آخر ^(٤) .

" تعقيب ونقد "

١ - إن قول الصرفيين بأن (قال) أصلها قول
- تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا
وكذلك : باع : أصلها : بَيَعَ ... - لا يسلم لهم ،
لأن الواو والياء لما تحركتا قويتا بالحركة ،
فأصبحت كل منهما تشبه الحروف الصحيحة ،

وبهذا لم تقو على قلب الواو والياء ألفا ، لأن
الواو والياء لا يقلبان إلا بعد إيهانها
بالسكون ، وهذه لمحة ذكية لمحها ابن جنى
يقول : ولو رمت قلب الواو والياء من نحو :
قوم وبيع وهما متحركتان لاحتمتا بحركتيهما
فعزتا فلم تنقلبا ^(٥) ، ويقول إلا أنك لم تقلب
واحدا من الحرفين (الواو والياء) فى : قوم
وبيع إلا بعد أن أسكنته إستثقالا لحركته فصار
إلى قوم وبيع ... " ومعنى النص أن حرف
العلة لا يقلب ألفا ما دام متحصناً بالحركة ،
فإذا أرادت القلب ، فلا بد من إيهان حرف
العلة بالسكون ^(٦) . وهذا معنى قولهم :
" الحرف الساكن كالميت المعدوم " أما حرف
العلة المتحرك فهو مثل أى حرف صحيح لا
يتغير ولا يُعل بدليل أن الواو - لم تقلب ألفاً
فى عَوِرَ . حَوِرَ . كذلك لم تنقل حركة الواو
إلى الصحيح الساكن قبلها فى مثل : أعول .
أغيل . استحوذ . أجود . أطيّب . أغيم .

كما افترضوا أن الفعل المؤكد بنون التوكيد
مثل (لا تخشون) أصله (تخشيون) فقلبت
الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فالتقى
ساكنان الألف والواو ، ثم حذفت الألف لدلالة
الفتحة عليها ثم حذفت نون الإعراب للناحية ،

(١) الخصائص ٢٥٦/١ فما بعدها .

(٢) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه ١٦٨ لابن حزم الأندلسى ، تحقيق . د . إحسان عباس . مكتبة الحياة - بيروت .

(٣) سُر الصناعة ١٩٥/١ والمقتضب ٩٧/٢ .

(٤) سُر الصناعة ١٩٥/١ والمقتضب ٩٧/٢ .

(٥) الخصائص ٤٧٢/٢ .

(٦) أنظر : التفكير الصوتى عند العرب ٧٨ فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ٢٣ . للأب هنرى فليش ، تعريب د . عبد الصبور شاهين .

وأكد بالنون فالتقى ساكنان النون والواو
 فضمت الواو للساكنين ولم تحذف لعدم الدليل .
 وافترضهم هذا الأصل الوهمي أدخل الصرفيين
 في عمليات معقدة مركبة من تقدير وقلب
 وحذف . على أن النظرية الوصفية يمكن أن
 تعالج هذه المسائل بأسلوب ميسر . مثل : إذا
 أسند الفعل إلى واو الجماعة في حالة التأكيد ،
 وكان ناقصاً مفتوح العين حركت واو الجماعة
 بالضمّة ، أما إذا أسند لمفرد فيفتح آخره ^(١) .
 كما افترضوا أيضاً في (مطية) وأصلها
 (مطيوة) من المطا - وهو الظهر أن جمعها
 (مطايا) أصلها (مطايو) قلبت الواو ياء
 لتطرفها بعد الكسرة كما في الغازي والداعي
 فصار (مطايي) بياءين ثم قلبت الياء الأولى
 همزة كما في صحائف فصار (مطائي) ثم
 أبدلت الكسرة فتحة فصار مطاءى ثم أبدلت
 الياء ألفا ثم الهمزة ياء فصار (مطايا) بعد
 خمسة أعمال .

وقس على هذا ما يشبهها من قولهم :
 خطايا وقضايا فقد مرت عندهم أو أخضعوها
 لتمرّ في مراحل ومتاهات ، وتلايف ومغارات .
 وهى عمليات مرتبة يأخذ بعضها برقاب
 بعض ، قانون يسلم إلى قانون فهى أشبه

(باللوغاريتمات) واللغة أبعد ما يكون عن
 هذا فهى حس وذوق وتاريخ ، على أنهم
 ارتكبوا في فهمهم محظورات أذكر منها : أنه
 قد أجمع إعلان وذلك في قلب الياء همزة ،
 ثم قلبها ياء ، وخير من رأى القدامى ما يراه
 بعض الباحثين من تخريج هذا ومثله على باب
 الاتباع وبيانه : أن كسرة الياء (مطايو)
 أبدلت فتحة مجانسة أو اتباعاً للألف قبلها ،
 ثم قلبت الواو ألفاً اتباعاً لحركة الياء ، بدون
 تهويل ولا عبث مرهق ^(٢) ، ومن أمثلة هذا
 الإرهاق قولهم في إعلال (مدار) أن أصلها
 (مدور) نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها
 ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها بحسب الأصل
 وانفتاح ما قبلها بحسب الآن . والرأى السليم
 أن الواو قلبت ألفاً اتباعاً لحركة الميم ،
 والحرف الساكن حاجز غير حصين ، ومعروف
 أن الاتباع باب يدخل في قضايا العربية ويمكن
 أن يحل كثيراً من مشكلاتها ، أما علاجهم لما
 سبق فكان علاجاً أساسه التكلف واللجاج
 والإرهاق والتعقيد والحيرة والتردد ، والألغاز
 والأحاجى والصنعة ، يقول ابن جنى (ومن
 ذلك قولهم : في مطايا وعطايا : انهما لما
 أصارتهما الصنعة إلى مطاوا أو عطاء ..)

(١) دراسات في علم الصرف . دكتور عبد الله عبد الفتاح درويش : ط الثانية .

(٢) مقدمة لدرس لغة العرب : ٢١٧ عبد الله العليلى .

لاحظ كلمة : (الصنعة) . ثم نظر إلى قوله بعد ذلك : ألا ترى أنه لم يأت عنهم فى نشر ولا نظم شىء منه مصححاً^(١) ...) .

فقانون الإعلال والإبدال عندهم أشبه بتفسيرات منطقية لما هو موجود ، أو أنه مجرد تخريج لحالة واقعة على أساس من الفلسفة والمنطق .

٢ - إن تمسك علماء الصرف بنظرية (الأصول) المفترضة قد جرّتهم إلى خلاقات لا طائل تحتها ، نجمل بعضها فى :

أ - الخلاف فى وزن اسم المفعول من الثلاثى الأجوف واويا أو يائيا فسيبويه يرى أن وزنه فى الواوى مفعّل بحذف واو مفعول وعند الأخفش (مَقُول) بحذف عين الكلمة . ومثل هذا الخلاف فى اسم المفعول من الأجوف اليائى - فهو على مذهب الخليل وسيبويه (مَفْعَل) وعند الأخفش (مفيل) .

ب - مصدر أقام واستقام واستعان فالأصل : إقوام واستقوام واستعوان : فوزنها أما (استفالة) بحذف العين ، أو (استفعلة) وهذه المشكلات ستبقى ما دمنا نعتد فى دراستنا على الجانب

المعيارى التقليدى أما إذا فهمنا الإعلال على أنه مظهر فنى ابتدأه العربى ليخفى به عوار الكلمة وضعفها وهو بعد ذلك طريق إلى التيسير والتخفيف . كما أن الإعلال يمثل آخر مرحلة للعمل المتطور ، وهو بهذا الفهم يكون متأخراً فى الطبع العربى ، وأما النطق بالكلمة مصححة فهو الأصل .

ولعلنا نتسع فى هذه الدراسة فى المستقبل بعون الله حيث نعتد فيها على ذوق اللغة وتاريخ مفرداتها ، وتطورها مكتفين بالجانب الوصفى وحده ، ذلك الذى يجنبنا التعقيد والتكلف والحيرة والتردد .

متابعة الفروع للأصول فى الإعلال

أشرت إلى حديث سريع عن الأصول المفترضة المتخيلة عند علماء الصرف ، والتي كانت سبباً فيما وقعوا فيه من لجاج وإرهاق ، وأود أن أشير إلى نظرة دقيقة للقدمات عن الأصل والفرع أو بعبارة أخرى : هى متابعة الفروع للأصول فى الإعلال ، وتفسير ذلك أن أصل الإعلال هو فى الفعل الثلاثى المجرد - أما غيره فيعمل بالحمل عليه ، لأنه فرعه ، فالماضى المزيد يحمل على مجردة إعلالاً وصحة ، فإذا بنيت من (قال) أفعل واستفعل

(١) الخصائص ٢/٣٤٨ .

قالت : أقال واستقال ، والأصل عندهم : أقول واستقول ، ولما أعلت الواو فى الأصل وهو (قال) أعلت فى الفرعين بنقل حركتها إلى الساكن قبلها وتبع ذلك قبلها ألفا لتجانس الواو مع الحركة التى هى الفتحة .

ويعمل مضارع الماضى المعلن تبعاً له ، لأن الماضى أصل ، والمضارع فرع عنه ، فالفعل الماضى إذا أعل بالنقل يتابعه مضارعه فى الإعلال بالنقل أيضاً ، لأن المضارع يعمل بالحمل على ماضيه .

خذ مثلاً : الفعل (صَيَدَ) مضارعه : يَصِيدُ ، وأفعل منه : أَصَيْدَ . ومضارعه : يُصَيِّدُ ، واستفعل منه : اسْتَصَيْدَ ، ومضارعه : يَسْتَصِيدُ . واسم الفاعل صايد ، والمفعول : مصيود ، فتلاحظ أن الياء لم يلحقها إعلال فى هذه المشتقات (الفروع) ، والسبب أنها سلمت فى الأصل وهو الماضى ، فإذا شذت الأفعال ، أعول واستحوذ ، لعدم إعلالها ، نرى المصدر يشذ أيضاً تبعاً للفعل فجاءت غير معلة فى المصادر ، قالوا : إعوول ، إستحواذ . ألا ترى أنهم قالوا : قاوَمَ قياماً - فيصح المصدر لصحة فعله ، وقالوا : قام قياماً ، فيعتل المصدر لاعتلال فعله ، ومن هذا ترى

(١) ٢٥٠/٤ .

أن الفعل أصل إعلال كل ما اتصل به واشتق منه .

اتساع مدرج العربية بين التصحيح والإعلال

على أنه من الممكن أن نلمح حياة الصيغة فى المرحلة التى تقع بين التصحيح والإعلال ، وهى تشير إلى اتساع مدرج العربية ويتضح هذا من الأمثلة الآتية :

١ - ما كان على وزن (فعل) وأطواره فى التاريخ :

أ - ذكر اللسان ^(١) أن أهل الحجاز يثبتون الواو والياء فى نحو : صَيَدَ وَعَوِرَ . وغيرهم يقول : صاد يصاد ، وعار يعار : ب - وأن لغة تميم : هاف يهاف ، وغيرهم : هَيْفَ ^(٢) .

ج - وجاء عن الليث : أن لغة تميم - حالت عينه تحول حولاً ، وغيرهم يقول : حَوَلَتْ فصيغة : صَيَدَ وعور ، وهما صيغتان حجازيتان جاءتا على الأصل ولزمتا التصحيح ومثلهما فى ذلك ما جاء فى المثال (ح) من قولهم : حولت عينه - فهن أصلية كما أنها غير معتلة ، كما جاءت على الأصل كلمة : هيف فى المثال (ب) .

وأرجح أن هذه الصيغ التي لزمتم الأصل
حجازية بدليل أن الصيغ التي تطورت عنها
عزيت إلى تميم ، فقد عزى إليها : هاف وحال
في هيف وحول ، وقد جاء عن العرب (
عارت عينه تعار) وعلى ذلك قول الشاعر :
فسائل بابن أحمر من رآه

أعارت عينه أم لم تعارا
والشاعر هو ابن أحمر الباهلي^(١) وباهلة
من قيس ، وقيس كانت تجاور تميما ولهذا لا
نعجب إذا رأينا هذه الصيغة التميمية الأصل
وهي : عار في كلام قيس ، على حين نجد
للحجاز - عور - على التصحيح . والدليل
على أن الصيغ التميمية هي الأحداث أنها
صيغ منسجمة ، والصيغة المنسجمة هي
المتطورة ، لأن العربية في تطورها تسعى
بخطوات واسعة نحو هذا الانسجام أو التوافق
الحركي ، إذ فيهما يقل المجهود العضلي حين
النطق . أما لهجة الحجاز ، فالتطور لم يتم
دورته فيها بما يكفي وتحقيق الماثلة الصوتية ،
فبقيت على حالها محافظة ، لم تمسها يد
التهذيب والإصلاح ، وكثير من الصيغ بقيت
على حالها الأولى جامدة متحجرة من قولهم :

استحوذ ، وفي الأعلام : حيوة ومكوزة^(٢)
وكلها مصححة ، ولو سارت على مهيع التطور
لكانت غير ذلك ، لكنها ثبتت على الطور
الأول لا تفارقه وما الإعلال الذي يذكره
الصرفيون إلا التهذيب الذي يتناول الكلمة
بالإصلاح ، أو الحيلة اللبقة التي اخترعها
العرب ليصحح بها مسار لغته ليخفى مواطن
الضعف فيها ، فهو غلط من الموسيقى والمرونة
والطواعية ، ولذا ترى أكثره في حروف العلة
وما يشبهها . ومن الطبيعي ألا تتم عملية
الإعلال دفعة واحدة كما يقرر ذلك علماء
الصرف ، ولكنها مرت بخطوات تاريخية
 واجتماعية كان للزمن فيها كبير أثر ، وكان
للحضارة والبداءة نصيب في ذلك . حررت في
الصيغ حيناً فطورت وأخذت شكلاً جديداً ،
وأحياناً استعصت على التفسير ، ولم يقو
الزمن على أن ينال منها شيئاً فبقيت متحجرة
كبقاء حيوان من فصيلة منقرضة .

٢ - كما ورد في المصادر ما يفيد من أن طيئاً
إذا تحركت الياء بفتحة غير إعرابية فتقلب
تلك الياء ألفاً^(٣) إلا أن الظاهرة وردت
لها شواهد في شعر شعراء من مزينة مضر ،

(٢) الشعر والشعراء ١٢٩ ط المعاهد .

(١) اللسان ١١/٢٦٧ .

وقيم ، وقيس ، وبنى القيس من قضاة ،
 وكندة ، وبلحارث بن كعب ، ولا يبعد أن
 تكون هذه الظاهرة سامية قديمة احتفظت بها
 طيء ، وقبلتها وظهرت آثارها على شعرائها ،
 ثم قلدها القبائل المجاورة لطيء : كأسد
 ومزينة وقيم ، لأن العلاقة الجغرافية بينها
 ثابتة فظهرت فى أسد ، لأن طيئاً لما هاجرت
 سكنت مساكن أسد ، كما ظهرت فى بلحارث
 بن كعب لأن بلحارث قبيلة يمنية كطيء كما
 يحدث التاريخ أن اختلاطاً حدث بين بعض
 بطون طيء وقضاة ، فالعلاقة النسبية
 موجودة ، فهؤلاء الشعراء - من غير طيء -
 الذين سمعنا تلك اللهجة فى أفواههم ربما قد
 تأثروا بما لطيء من لهجة لها قوتها وصولتها ،
 ولا سيما الإنسان مطبوع على تقليد الأقوى ،
 يفسر هذا قول الزمخشري (إن طيئاً لا تأخذ
 من لغة ، ويؤخذ من لغاتها) ويقول السيوطي
 (ولطيء توسع فى اللغات) .

وهذه الظاهرة لم تظهر فى الحجاز ، لأنهم
 كانوا يعتقدون أن لهجتهم أفصح ، والعربى
 كثيراً ما يتعصب للهجته ، ولهذا كان الفعل
 بقى - بفتح فكسر ففتح على أصله ، وإنما

(١) الخصائص ٣/٢٤٤ .

حدث التغيير فى الطرف عند طيء لأن الطرف
 محل التغيير والتخفيف ، وصيغة ، طيء هى
 الأحدث ، لأنها متطورة وفيها أثر من توافق
 حركى ، يعمل فيه اللسان من وجه واحد ،
 وهو بالقبائل البادية أليق كطيء ومن سار
 سيرها ، ولهذا لا نعجب إذا قرأ الحسن
 (وذروا ما بقا : البقرة ٢٧٨) بقلب الياء
 ألفاً^(١) .

٣ - وقد نلمح فى بعض الصيغ تطوراً وقف
 إلى حد ما ولم يتم دورته الكاملة حتى يصل
 إلى نهاية التوافق الحركى - من ذلك على
 سبيل المثال : ماسجلته مصادر العربية من أن
 كل اسم على وزن فعلة - مفتوح الفاء وبعده
 واوا ساكنة أو ياء كذلك فإنه فى اللفظة
 النموذجية الفصحى يجمع جمع مؤنث سالماً
 على - فعلات - بإسكان العين بعد الفاء
 المفتوحة ، مثل ، قولك فى جمع بيضة وعورة :
 بيضات وعورات ، لكن هذيل سارت فى
 طريق مخالف ، لأنها حركت حرف العلة
 بالفتح ولم تعله فتقول : بيضات وعورات بفتح
 الياء والواو وكان على هذيل أن تعل هذه
 الصيغة ، لأن الواو والياء تحركتا وانفتح ما

قبلها فتقلب الواو والياء ألفا فتصير : عارات
وباضات . لكن هذيلوقوف التطور فيها
فصححتها ولم يأخذ فيها التطور دورته
الكاملة حتى يسير صعوداً في سلم الارتقاء حتى
تصير : عارات . باضات - وربما منع من
الإعلال ، الذي هو نهاية التيسير والتخفيف ،
عروض الحركة في الجمع ، لأنها في المفرد
ساكنة ، ولأن العين لو أعلنت عندهم لالتبس
ذلك بما عينه في الواحد ألف منقلبة نحو :
قارة وقارات . ولقد أيد القرآن لهجتهم فقراً
بها الأعمش (ثلاث عورات لكم : النور ٥٨)
بفتح الواو ، والجمهور بالتسكين ، وقوله
تعالى (في روضات الجنات : الشورى ٢٢)
بفتح الواو .

٤ - كما نجد بعض الصيغ مستقرة على
مرحلة لا تفارقها إلى مرحلة أخرى من ذلك ما
رواه أبو زيد من قولهم : العفوة (بفتح العين
والفاء والواو ، وهي أفناء الحمر) ونسب أبو
زيد هذه الصيغة لقيس ، وأرجح أنها صيغة
أصلية جاءت على التصحيح ، ولو تم التطور
فيها لقالوا : عفاة - على الإعلال . ولكن
ألسنتهم استحسنن الطور الأول وعكفت عليه

(١) شرح شواهد الشافية ٤٨/٤ .

لأن هذا القبيل الذي نطق بالصيغة مصححة
بدوى . ومثل هذا قراءة من قرأ (لمثوبة من
عند الله خير) يسكون الشاء وفتح الواو ،
وهذه القراءة لقبيلة متخلفة في الطور
الاجتماعي ، ولو أخذت طريقها صعوداً في
الحياة الاجتماعية ، لأخذت طريقها صعوداً في
الحياة اللغوية للارتباط بينهما ، ولهذا جاءت
قراءة الجمهور بالإعلال (مثابة : البقرة ١٢٥) .
فإذا حكى ابن منظور^(١) عن الكلابيين قولهم
" لا نعرف المثوبة ، ولكن المثابة " تأكد لنا أن
الكلابيين حاضرة ، حكمت عليهم لغتهم
بذلك ، لأن اللغة بلغت عندهم - عن طريق
الإعلال - نهاية التيسير والسهولة ، واللغة
في ارتقائها تسعى إلى ذلك ، ويؤكد التاريخ
ذلك فقد سكنت بعض بطون من كلاب في
جهات المدينة المنورة ، ثم ملكوا بعد ذلك حلب
وكثيراً من مدن الشام والفرات ، فهم إذن :
سكنوا المدينة المنورة ، وهي حاضرة ، كما أنهم
ملوك مدن .

ولهذا أنادى بأن يدرس التصحيح والإعلال
مرتبطاً بالنفس ، والتاريخ ، والأرض وقد
قدمت في هذا البحث نموذجاً من ذلك - فلا

يدرس الإعلال من خلال الأعمال الذهنية
المجردة التي تجهد الذهن وتكلّ العقل ، أو
من خلال التلايف والحيل والأحاجى .

وبهذا الميزان اللغوى نستطيع أن نحدد
مراحل التطور والتخلف فى البيئات العربية
فليست المسألة كما يرى علماء الصرف قلب
الواو ياء أو الياء واو مجردة من المفاهيم
العلمية ، بل يمكن أن نفهم من وراء هذه
التقلبات المادية فى الحروف تقلبات نفسية
أيضاً ، فلو قلت (سال الماء) فإنه يفيد
السيل الهادى الطبيعى ، و (شاد القصر)
يفيد البناء كذلك . والتصحيح مع موجب
الإعلال يفيد المعنى بتكليف أو اضطراب
و (شَيْدَ) يفيد البناء باضطراب وتكلف ،
و (سَيْلَ) يفيد الجريان باضطراب وتموج .

فالعربى كانت عنده حساسية للغة وكل
أثر أو حركة كانت لها مفاهيم عند العرب
الأقدمين ، وكل صيغة كان لها مفهوم باختلاف
أى عملية تتصل بالصيغة نفسها فى أصواتها
أو حروفها والدليل على ذلك ما ألمح من قول
ابن درستوى^(١) (وقد يلتزمون أحد الوجهين
للفرق بين المعانى كقولهم ينفر بالضم من النفار

والاشمئزاز ، وينفر بالكسر من نفر الحجاج من
عرفات) .

ومما يؤكد ذلك ما سمعته كثيراً من قولهم
إن استحوذ - خرجت مصححة على الأصل ،
ويصمت العلماء بعد ذلك ، ولكى نفهم معنى
التصحيح والإعلال فى هذه الصيغة نلتفت
جانبا إلى الآية الكريمة التى نزلت فى يهود
المدينة ومنافقيها « استحوذ عليهم الشيطان
فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن
حزب الشيطان هم الخاسرون »^(٢)

وفيما أراه - والله أعلم - أن القرآن لو عبر
بكلمة (استحاذ) معلقة لكان المعنى : أن
الشيطان استولى عليهم سهلاً لا مؤونة فيه ولا
جهداً بل هو استيلاء طبيعى ، ولو عبر بصيغة
(استحوذ) بالتصحيح مع موجب الإعلال
لأفاد معنى غير ما سبق ، فالشيطان لم
يستول عليهم هنا إلا بعد أن غلب على قلوبهم
وأحاطهم وأحتواهم حتى لا يشذ عليه منهم
شئ ، فالاستيلاء على هذا لم يكن إلا مع
كثير من الجهد والمغالبة والمشقة والمعاناة ،
ولقد آثر القرآن هذه الصيغة (استحوذ) التى
هى منبهة على الأصل - وإن كان يصح أن تقول

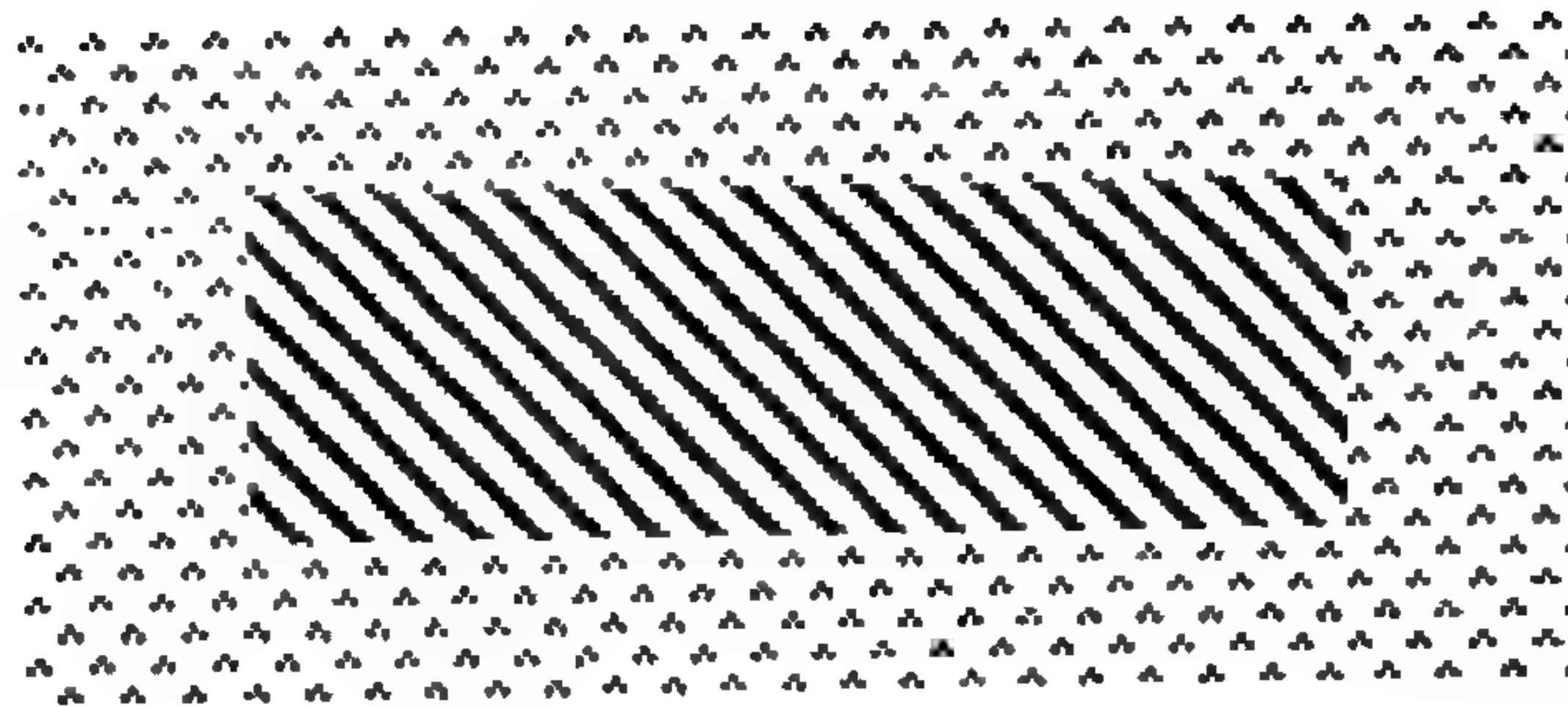
(١) البحر المحيط ٢/ ٣٣٧ .

(٢) سورة المجادلة آية ١٩ .

(استحاذ مثل : اصتصاب واستصوب ، واستجاب واستجوب - وذلك قياس مطرد عندهم : اللسان (حوذ) ، لأن القرآن فيما أراه - والله أعلم - يهدف أحياناً إلى التعبير بصيغة قديمة على الأصل كهذه ، لأغراض نفسية أو ظروف اجتماعية ، كأن يحدثهم بتلك الصيغة القديمة حتى يستحضر الإنسان المعاصر صورة من الذكريات القديمة لأبائه الذين استولى عليهم الشيطان استيلاءً كاملاً ، وغلبهم على قلوبهم فشتغلهم بعمارة ظاهريهم ومعاشهم عن ذكر الله ، فلعل هذا يحفزهم ويقوى همهم ، ويبعدهم عن أحابيله ، فالقرآن بهذه الصيغة (الأصل) يربط بين الخالفين والسالفين ، حتى لا يكون الخلف من حزب الشيطان وجنده كما كان السلف « ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » .

والنهاية إذن إلى الذل وفى الذل « أولئك فى الأذلين ^(١) » وهذا وجه من جوانب إعجاز القرآن حين يراعى الجانب النفسى ، فيدير على هذا الوجه بيانه ، مقنعاً ومثيراً ، ومبشراً ونذيراً ، وهى إحدى حملات القرآن الروحية للتذكير والتقريع . والله أعلم .

أحمد علم الدين الجندى
الخبير بالمجمع



(١) سورة المجادلة آية ٢٠ .

طه حسين و « مستقبل الثقافة فى مصر »

قراءة حرة فى نص تنويرى

للدكتور محمود الربيعى

- ١ -

يكتب هذا الكتاب الذى يصف فيه نوع "المستقبل الثقافى" الذى يحلم به لمصر المستقلة . أما السبب الآخر لتأليف الكتاب فكان أقل شأنا ، وهو أن طه حسين كان قد أوفد فى مهمة من قبل وزارة (التعليم) لحضور مؤتمرين تعليميين فى باريس ، وبدلا من أن يعد عنهما تقريرا للجهة التى أوفدته - كما تقضى اللوائح - رأى من الخير أن يكتب كتابا فى أمر التعليم المصرى كله ، بل والثقافة المصرية كلها ، ومن الواضح أن الكتاب تجاوز هذا السبب الثانى ، أما السبب الأول فلا يمكن أن يتجاوزه كتاب أو غيره . وقد بقى كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " وثيقة ثمينة ، ونصا حضاريا تختلف حوله الأجيال ، فىرى فيه البعض قفزة ، إلى الأمام ، ويرى فيه البعض نكسة إلى الوراء ، ويقف منه البعض موقفا وسطا .

ولم يقدر طه حسين نفسه أنه يقدم فكرا يرضى عنه الجميع . لقد كان يكتب فى فترة شديدة الاضطراب (١٩٣٦ - ١٩٣٧) من النواحي السياسية والفكرية والاجتماعية ، ولا بد أنه كان على يقين من أنه يسبح - فى مواطن كثيرة - ضد التيار . ويكفى أنه

يقع كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " فى مرحلة وسطى من إنتاج طه حسين . كتب قبله - من أعماله الأساسية - " حديث الأربعاء " ، و " فى الشعر الجاهلى " ، و " على هامش السيرة " ، و " مع المتنبى " ، وكتب بعده " مع أبى العلاء فى سجنه " ، و " الفستنة الكبرى " ، و " الشيخان " . وكان عمره حين كتب هذا الكتاب حوالى خمسين عاما ، أى فى ذروة نضجه العقلى .

وقد ذكر طه حسين سببين لتأليف الكتاب أحدهما سياسى خطير الشأن هو توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وقد جعل ذلك المصريين يتنسمون ريح الحرية ويطلقون على المعاهدة « معاهدة الشرف والفخار » (وإن كانوا حين ألغوها بعد ذلك أطلقوا عليها " معاهدة الخنزى والعار " ، وكان من عقدها هو من ألغها ، وهو مصطفى النحاس ، الذى قال عبارته الشهيرة فى تلك المناسبة : من أجل مصر عقدت معاهدة ١٩٣٦ ، ومن أجل مصر ألغى معاهدة ١٩٣٦) . ومع استشعار الاستقلال النسبى أصبح المصريون يبحثون عن " هوية " وعن " ذاتية " ، وقد حدا هذا بطه حسين - وكان صوتا جهيرا جدا فى مجال التعليم - أن

تصدى فى قسم مهم من الكتاب لمؤسستين تعليميتين عتيديتين هما الأزهر ودار العلوم ، ولم يلق بالا لما قد ينتظره من تهم أقلها تحريك " الثارات القديمة " وخاصة بالنسبة للأزهر الذى كان طه حسين قد هجره فى مطلع حياته هجرا غير جميل . وأبيات أبى العلاء التى صدر بها الكتاب دليل على كل هذا ، ودليل على أنه عازم على تحرير آرائه فى مستقبل التعليم والثقافة ، والمضى فى طريقه لا يلوى على شئ :

خذى رأى وحسبك ذاك منى

على ما فى من عوج وأمت

وماذا يبتغى الجلساء عندى

أرادوا منطقى وأردتُ صمتى

وفيما بيننا أمد بعيد

فأما سمتهم وأمت سمتى

- ٢ -

يُصدر الكتاب بالتعبير عن نوع من الحساسية المفرطة تجاه الأوربيين بعامة والإنجليز بخاصة ، وهى حساسية مردها - كما يقول هو - إلى أن المصريين كانوا يمرون بعد المعاهدة بفترة اختبار وأنهم إذا لم يحسنوا هذا الاستقلال النسبى الذى أعطوه ربما عادوا

إلى نير الاحتلال من جديد . ذلك هو نوع الذى قد يستنتجه القارئ من الكتاب ، وهو تبرير لا يقع موقعا حسنا من القارئ لكتاب يقوم كله على أن العقلية المصرية جزء من العقلية الأوربية ، وأن الاحساس المصرى ينبغى أن يكون إحساسا " بالندية " مع الغير (وإلا فما معنى إحساس الإنسان المستقل ؟) :

" وأخاف أن نقصر فى ذات أنفسنا وعلينا ، من الأوربيين عامة ومن أصدقائنا الإنجليز خاصة ، رقباء يحصرون علينا الكبيرة والصغيرة ويحاسبوننا على اليسير والعظيم . ولعلمهم أن يكبروا من أغلاطنا ما نراه صغيرا ، وأن يعظموا من تقصيرنا ما نراه هينا ، وأن يقولوا طالبوا بالاستقلال وأتعبوا أنفسهم وأتعبوا الناس فى المطالبة به حتى إذا انتهوا إليه لم يذوقوه ، ولم يعرفوا كيف ينتفعون به " .

وأول سؤال حيوى يعرضه الكتاب هو : " أمصر من الشرق أم من الغرب " (ص ٧) وهو سؤال يعنى نوعا من " الثنائية " التى ترى فى العالم نوعين ثقافيين لا ثالث لهما ، أحدهما ثقافة الغرب ، والآخر ثقافة الشرق البعيد . وهذه " الثنائية " تشير سؤالا من القارئ هو :

وأين موضع الحضارة الوسطى - وهى حضارة شرقنا العربى - من هذا التقسيم ؟ وهل تعنى الثنائية أنه ليس لهذه المنطقة "هوية حضارية" موازية لهاتين الحضارتين ؟ على أن الماضى مع الكتاب خير - فى نظرى - من قطع جريانه ، والوقوف عند هذا السؤال ، ويكفى أن يثار .

يحدد الكتاب عناصر عدة تكونت منها العقلية المصرية ، منها البيئة ، ومنها التأثير بشعوب أخرى يأتى فى مقدمتها الشعب اليونانى ، ومنها الأثر الحاصل من اتصال الشعب المصرى بالرومان والفرس والمقدونيين والعرب ، ومقاومة الشعب المصرى لكل هذه الشعوب . لقد سوى طه حسين فى رفض الشعب المصرى للاستعمار الخارجى بين كل تلك الشعوب ، وحين أحس نوعا من الجور فى تلك التسوية ؛ لاتصال " العربية " بالإسلامية " ، خفف من لهجته بالنسبة للعربية ، وخص الإسلام بكلمة مختصرة ، وذلك قبل أن يخلص إلى فكرته الأساسية التى يطرحها على النحر التالى :

" فالتاريخ يحدثنا بأن مصر قاومت الفرس أشد المقاومة ، وبأنها لم تطمئن إلى المقدونيين حتى فنوا فيها ، وأصبحوا من أبنائها ،

واتخذوا تقاليدها وسنتها تقاليد وستنا . والتاريخ يحدثنا كذلك بأنها خضعت لسلطان الإمبراطورية الرومانية الغربية والشرقية على كره مستمر ، ومقاومة متصلة فاضطر القياصرة إلى أخذها بالعنف ، وإخضاعها للحكم العرفى .

" والتاريخ يحدثنا كذلك بأن رضاها على السلطان العربى بعد الفتح لم يبرأ من السخط ولم يخلص من المقاومة والثورة ، وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن إلا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة فى ظل ابن طولون .

" كذلك كانت مصر حين جاءها الإسلام أقرب ما تكون - عقلا وثقافة - إلى اليونان . فلما جاء الإسلام تقبلته بقبول حسن ، ولكنه لم يجعل منها دولة شرقية كما أن المسيحية - وهى شرقية - لم تجعل من أوربا حين اعتنقتها دولا ذات عقلية شرقية " . (ص ١٧ ، ١٨)

قبل الخلوص إلى موضوع التعليم يبدو الكتاب قاطعا حاسما فى مسألة لم يحسم الخلاف فيها على طول الزمن ، وهى مسألة الدين والدولة ، واللغة والدولة ، والعرق والدولة ؛ فطه حسين يرى دون تردد أن : "وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الدول " ،

ويقول : " ما من أحد يجادل فى أن المسلمين قد أقاموا سياستهم على المنافع العملية ، وعمدوا عن إقامتها على الوحدة الدينية واللغوية والجنسية أيضا " ، ويقول : " السياسة شئ والدين شئ آخر " (ص ١٦ / ١٨) . هذه نقاط حساسة فى الكتاب تعيد إلى الذهن كتاب على عبد الرازق " الاسلام وأصول الحكم " ، وما أثير حوله من نقاش . والواقع أن هذه النقطة بالذات هى التى أثارت أكثر المناقشات حدة وهى عصب المقالات التى كتبها حسن البنا فى مجلة " النذير " و " الفتح " بعد صدور " مستقبل الثقافة فى مصر " ، ولبعضها عناوين مثيرة من مثل " لسمع الدكتور طه حسين " ، " أيها الشعب المسلم ماذا يراد بك ؟ " (النذير ٢ / ٦ / ١٩٣٩) والفتح ٢ / ٣ / ١٩٤٠ .

- ٣ -

يسجل طه حسين أن النموذج الأوربي يغزو الحياة المصرية ، وهو يرحب بهذا كل الترحيب ، فمصر جزء من أوربا : " والمثل الأعلى للمصري فى حياته المادية إنما هو المثل الأعلى للأوربي فى حياته المادية " . ولقد راود الحذير إسماعيل حلم أن يجعل مصر قطعة من أوربا ، ويتسوق طه حسين إلى تحقيق هذا

الحلم على أسس فكرية وتربوية وثقافية أرسخ ، وتبلغ به الحماسة أحيانا حدا يجعله يقول : " ليس فى الأرض قوة تستطيع أن تردنا عن أن نستمع بالحياة على النحو الذى يستمتع بها عليه الأوربيون (ص ٣٠ / ٣١) " .

أما النموذج الأوربي فتغلغلة فى التعليم حقيقة واقعة ، وهذا الموقف يخلق نوعا من المفارقة المضحكة عند طه حسين ؛ ذلك لأن البعض يطبق النموذج الأوربي فى التعليم عملا ويعارضه نظرا ، ولو نال التعليم تغيير يحيد به عن الطريق الأوربي لقاوم ذلك أكثر المعارضين علنا لهذا النظام الأوربي ، على أن المسألة فى جوهرها عنده ليست فارقا نوعيا بين الحاضر التعليمى عندنا وفى أوربا ، وإنما الفارق فى الحقيقة فارق فى الزمن ، ومن ثم فى الدرجة ، ليس غير . لقد بدءوا حياتهم الحديثة فى القرن الخامس عشر ، وبدأ ناهى فى القرن التاسع عشر ، فحياتنا التعليمية الآن شبيهة بحياتهم التعليمية ولكن من أربعة أو خمسة قرون . وقد جاد العصر الحديث على الجميع " بالنقلات " السريعة ؛ فهو خليق بأن يساعدنا على رأب هذا الصدع ، والالتحاق بركب التقدم ، والا " فويل لنا إذا لم تنتهز

هذه الفرصة ولم ننتفع بهذا التوفيق " . (ص ٣٧ ، ٣٨)
فى هذه المرحلة من الكتاب يبدو طه حسين مليئا بالتفاؤل والحيوية ، ماضيا قدما فى طريق المستقبل ، مودعا وراءه حياة التخلف ، مستشعرا - كما يقول - كرامة المواطن الذى يتمتع بالاستقلال . وهو لا يرى فى اتباع النموذج الأوربى أى قدر من التبعية للغرب . إنما هو طريق التقدم الذى يختاره الإنسان الحر ، لأن فيه منفعته :

" يجب أن نمحو من أنفسنا أن فى الأرض شعوبا قد خلقت لتسودنا . ويجب أن نمحو من أنفسنا أن فى الأرض شعوبا قد خلقت لتسودها . ويجب أن نقر فى أنفسنا نظام الحقوق والواجبات " (ص ٤٤)

وفى هذا الجو القاتم على المقارنة السياسية بين ذل الماضى (ما قبل المعاهدة) وعز الحاضر (ما بعد المعاهدة) والداعى إلى العزة الوطنية بإنشاء مصر الحديثة يدخل طه حسين بالكتاب إلى موضوعه الأساسى ، معلنا أن سبيل بناء مصر الحديثة : " سبيل واحدة لاثانية لها وهى بناء التعليم على أساس متين " (ص ٥١)

وفى البداية تثار مجموعة الاعتراضات التى يمكن أن يثيرها المعارضون لتبني النموذج

الأوربى ، ويرد عليها طه حسين بسهولة .
وقد يقال هنا إن طه حسين يذكر من هذه الاعتراضات ما يسهل الرد عليه . وملخص هذه الاعتراضات : " أن الدعوة إلى الاتصال بالحياة الأوربية على هذا النحو خليقة بأن تغرى بما فى الحياة الأوربية من إثم وتورط بما فيها من موقفة ، وتحرض على ما فيها من مخالفة للدين " (ص ٥٣) ، وأن " الاتصال القوي الصريح بأوربا قد لا يخلو من الخطر على شخصيتنا القومية ، وعلى ما ورثناه عن ماضينا المجيد من هذا التراث العظيم " (ص ٦٢) ، وأن الحضارة الأوربية مادية مسرفة فى المادية . . وهى من أجل ذلك مصدر شر كثير تشقى به أوربا وشقى به العالم كله أيضا " (ص ٦٥)

ومع دخولنا فى صلب الكتاب نواجه أول مشكلة حقيقية . وتتلخص هذه المشكلة فى أن أهداف التعليم لدى طه حسين هى الديمقراطية والحرية ، وهو - مع ذلك - يضع مقاليد التعليم فى يد الحكومة . والسؤال هو : كيف يمكن أن نصل إلى التعليم الحق (الذى يفضى إلى الحرية والديمقراطية) عن طريق وضعه تحت سيطرة الدولة ؟ .

نحن نعلم أن توالى الحكومات المتعاقبة

- سياساتها المتباينة - يجعل اطراد تقدم التعليم فى مهب الريح ، وقد اشتكى طه حسين نفسه من تجريب الوزراء المتعاقبين سياساتهم فى جهاز شديد الحساسية هو التعليم ، واشتكى من أن الجهاز الدائم القائم على التنفيذ يتبع دائما الوزير الجديد ، ولم يستطع أن يحصى فى تاريخ خبرته الطويل سوى ثلاثة (هو واحد منهم) قالوا : لا ! (ص ١٧٨) ، فكيف يريد فى هذا الجو أن يحقق تعليما صحيحا ؟ إن التعلل بنقص الإمكانيات ، وتوزيع الأولويات فى الإنفاق على نحو توجهه السياسة ، من أبسط ما يتعرض له التعليم الواقع فى قبضة الحكومة ، وهى أمور يشتكى منها فى كل زمان ، وقد اشتكى منها طه حسين فى " مستقبل الثقافة " .

- ٤ -

إذا عقدنا مقارنة بين الجزء المخصص للتعليم العام فى " كتاب مستقبل الثقافة فى مصر " والجزء المخصص للتعليم العالى والجامعى خرجنا بنتيجة لا يختلف عليها ، هى أن ما أعطاه الكتاب للنوع الثانى لا يقاس (كما أو نوعا) بما أعطاه للنوع الأول . حقا إنه تحدث فى الكتاب عن وظيفة التعليم العالى ، ووجوب استقلال الجامعة ماليا وإداريا ،

ودورها فى خلق الثقافة وتنمية الحضارة ، ولكن روحه كلها ، وجهده كله ، بل وحلمه كله ، يبدو فى الكتاب موجها إلى التعليم الأولى والعام .

يسهب الكتاب فى شرح موضوع التعليم الأولى ، شارحا مفهومه ، ومدته ، ومناهجته ، ومواده . وهو يريد أن يوفر لهذا النوع من التعليم أفضل الوقت ، وأفضل الإمكانيات ، وأفضل الظروف ، مما يجعل القارئ بحق يخرج بانطباع قوى بأن هذا الموضوع يكون لب الكتاب . وشمول معالجة الموضوع فى الكتاب على هذا النحو تجعلنا نؤمن بأن طه حسين إنما خلق معلما (وهو أمر رددته طه حسين فى بعض أحاديثه فى أخريات أيامه) . التعليم الأولى هو الأساس ، وإذا جاء الأساس ضعيفا فليس لنا أن نتوقع لأى بناء يبنى فوقه أن يكون قويا . والنقطة الوحيدة التى بدت قلقة ، وليست حاسمة كغيرها ، هى وضع الدين فى مناهج هذا التعليم . وقد يكون من بين أسباب قلق هذه النقطة ما أعلنه من قبل فى الكتاب من فصل الدين عن الدولة ، وقد يكون لاعتبارات متعلقة بعنصرى الأمة المصرية ، وقد يكون لغير ذلك . ولكن الأمر الواضح أن

هذه النقطة تحتاج فى الكتاب إلى فضل إيضاح . وما معنى هذا الكلام المتراوح بين التردد واليقين ، والذي لا يتمشى مع النبوة الواثقة التى تنتظم الكتاب كله :

" فإن رأت الدولة إقامة التعليم على الفكرة المدنية الخالصة تركت أمر الدين إلى الأسر ، ولم تقم فى سبيل تعليمه المصاعب والعقبات ، وإن رأت إقامته على الفكرة المدنية الدينية قسمت للتعليم الدينى مكانه من هذا البرنامج " (ص ١٠١)

ولما كان أمر المعلم موصولا بأمر التلميذ ، وبالمادة ، والمنهج والهدف ، فقد أعطاه طه حسين ما يليق به من الاهتمام ، وعالجه معالجة يمكن أن تصلح لوقته ، ويمكن أن تصلح لأى وقت . والواقع أن أمر المعلم كأمر التعليم يشغل كل مهتم بالتعليم ، ومع ذلك نلاحظ أن أمر المعلم هذا يبقى على حاله مع مرور الزمن ، فالناظر إلى حاله الآن يجده قريبا جدا من الحال التى صورها عليها طه حسين فى كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " . والكلمات القاسية التى يوجهها طه حسين الى الحكومة ، أو إلى المجتمع ، أو إليهما معا ، دليل على حدة المشكلة آنذاك ، وحين نفكر فيها اليوم

ندرك أنه لم يبذل جهد حقيقى حتى للتخفيف من حدتها :

" ومن أغرب التناقض أن نزدري المعلم الأولى ، أو ننظر إليه نظرة عطف وإشفاق خير منهما الازدراء ، ثم نطلب إليه ونلح عليه فى أن يشيع فى نفوس أبنائنا العزة والكرامة والحرية والاستقلال . لا أعرف شرا على الحياة العقلية فى مصر من أن يكون المعلم الأولى كما هو الحال عندنا ، سيئ الحال ، منكسر النفس ، ومحدود الأمل ، شاعرا بأنه يمثل أهون الطبقات على وزارة المعارف شأننا " (ص ١١١)

ومع ذلك كله نلاحظ أن حديث الكتاب عن المعلم - هنا وفى مواطن أخرى - يتم فى جو عاطفى ، تساق فيه العبارات المؤازرة ماديا ومعنويا ، ولكن رسم منهج واضح لعلاج هذه الحالة ليس واضحا بالقدر نفسه : " وإذا طلبت إلى المعلم أن يكون مؤدبا بالمعنى القديم فلا يقصر جهده على صب العلم فى رأس التلميذ ، وإنما يرييه ويشقف عقله ، ويقوم نفسه ، ويهيئه تهيئة صالحة للحياة العملية من جهة ، وللرقى العقلى من جهة أخرى ، فأول ما يجب عليك لهذا المؤدب أن تثق به ، وتطمئن إليه ، وتشعره بتلك الثقة وهذا الاطمئنان . فإن أنت

لم تفعل ذلك وأبيت إلا أن تندس بين المعلم وتلميذه ، وأن تشعر المعلم فى كل لحظة بأنك من ورائه تقيد أنفاسه ، وتحصى عليه الكبيرة والصغيرة ، أفسدت عليه أمره من جميع الوجوه . . . ويصبح المعلم آلة من الآلات ، وأداة من الأدوات فى هذا المصنع العقيم السخيف الذى نسميه المدرسة . .

" أوافق أنت بأن التلميذ يحب معلمه ويحترمه ؟ أوافق أنت بأن المعلم يحب المفتش ويطمئن إليه ؟ أوافق أنت بأن المفتش يحب مراقبة التعليم التى يتبعها ؟ أما أنا فوافق بما يناقض هذا كله " (ص ١٧٠/١٧٤)

- ٥ -

إن طريق التعليم - كما يصوره كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " - طريق ملئ بالأشواك ، والمعوقات التى تقف فى سبيل تقدمه معوقات كثيرة ، يجئ فى مقدمتها الامتحانات ، والكتب المدرسية .

ولطه حسين فى هذين الأمرين آراء تبدو للناظر الآن " تقديمية " فى وقتها - بل حتى وقتنا - إلى حد كبير . ومن الواضح أننا لم نفلح - بعد حوالى نصف قرن من الزمان منذ أن كتب طه حسين كلامه - فى إيجاد حلول مرضية لموضوع الامتحانات ، وموضوع الكتب

المدرسية . ولطه حسين فى موضوع الامتحانات الكلام التالى :

" الأصل فى الامتحان أنه وسيلة لا غاية . . ولكن أخلاقنا التعليمية جرت على ما يناقض هذا أشد المناقضة ، ففهمنا الامتحان على أنه غاية لا وسيلة . . . وأذعنا ذلك فى نفوس الصبية والشباب وفى نفوس الأسر ، حتى أصبح ذلك جزءا من عقليتنا ، وأصلا من أصول تصورنا للأشياء وحكمنا عليها " (ص ٢٠٦) وقد أفضى هذا النوع من قلب طبائع الأمور إلى نتيجة كان لا بد أن يفضى إليها ، وهى ضياع الهدف الأسمى ، الذى هو من عظام الأمور ، وإحلال أهداف أخرى محله هى من توافه الأمور ، ولذلك - والكلام هنا لطه حسين : " لا ينبغى أن ننكر ما نراه من عناية شبابنا بالتافه من الأمر ، وإكبارهم للسخيف ، وإعراضهم عن عظام الأمور ، بل عجزهم عن الشعور بعظام الأمور والأشياء ذات الخطر . لا ينبغى أن ننكر ذلك ، لأن هؤلاء الشباب ينشأون على العناية بالامتحان وهو تافه ، وعلى إكبار الشهادة وهى سخيفة ، وعلى الإعراض عن العلم ، وهو لب الحياة وخلاصتها " (ص ١٠٩) ولقد تطور هذا الخلط الشائن بين الغايات والوسائل إلى خلط أكبر بين

التعليم والسياسة ، فجرت أمور الأول على ما أرادته الأخيرة ، وحدث هذا الذى تقشعر منه الأبدان ، وهو تملق الجماهير " باللعب " الخطر بأمر التعليم وإجراءاته . يقول طه حسين : " فإذا ظهرت نتيجة الامتحان رديئة غير مرضية لكثرة التلاميذ وكثرة الأسر بالطبع ، شاع السخط ، وعمت الشكوى ، واشتد الضغط على الحكومة ، واضطرت الحكومة إلى أن تفكر فى الأمر ، وتلتمس له علاجاً ، وعلاجها ديماجوجيا يتملق شهوة الأسر فى نجاح أبنائها بالحق وبغير الحق " (ص ١٠٩) هذا هو نوع الكلام الخطير الذى يقوله طه حسين فى أمر الامتحان ، وهو يدل على أن التعليم لم يسلم من الشوائب التى تعكر جوهه فى يوم ما ، وهو كذلك يسحب ظله البغيض على أمور التعليم كلها ، ويلقى روحاً من التشاؤم على كل محاولة فى أى جانب من جوانب الإصلاح . ويبدو أن الأمر لذلك يحتاج إلى إصلاح جذرى لموضوع الامتحان هذا ، وهو شئ تنبهت له كثير من الدول المتقدمة وغير المتقدمة . والذى يتأمل ما حوله الآن يلاحظ أن الامتحانات تفاقم أمرها منذ أن كتب طه حسين كلامه ، فزاد الحال رهبة على رهبته ،

وسممعنا عن ألوان من الغش لم تخطر لطفه حسين على بال . ولطفه حسين اقتراح محدد فى مسألة الامتحانات يفرضه على النحو التالى :

" إذا ائتمنت المعلم على التلميذ فامنحه ما يلائم هذه الأمانة من الثقة ، واطلب إليه أن يختبر تلاميذه فى المادة التى يدرسها لهم بين حين وحين ، مرة على الأقل كل ثلاثة أشهر ، وأن يمنحهم درجات على هذا الاختيار ، فإذا كان آخر العام فليراجع هذه الدرجات ليرى أيستحق التلميذ أن ينتقل إلى الفرقة الأخرى . أم لا يستحق . فإن كانت الأولى أقبل التلميذ فرحاً مبتهجا على إجازته الصيفية ، ثم على عامه الدراسى الجديد ، وإن كانت الثانية امتحن التلميذ امتحان النقل فى المواد التى لابد من أن يمتحن فيها ، فإن نجح فذاك ، وإن رسب أعاد عامه الدراسى " (ص ٢١٤)

أما أمر الكتب المدرسية فلا يقل أهمية - وحاله لا يقل سوءاً - عن أمر الامتحانات . و" المركزية " المعوقة تتحكم فى الكتب كما تتحكم فى الامتحان . والوزارة (على اختلاف تسميتها عبر الزمن) تريد أن تحكم قبضتها على شئ ، وهى فيما يبدو الآن تتلذذ وتفتخر

بأن يكون لها كتبها ومؤلفوها المفضلون .
ويتندر السخرون بأمر هذه الكتب الآن - وبعد
زمن طويل مما ورد فى كتاب " مستقبل الثقافة
فى مصر " لطف حسين - بأن هذه الكتب -
وأحدث عما أعرف من أمر اللغة العربية -
قد كتبت خصيصا لتنفيذ التلاميذ من اللغة
العربية والأدب العربى ، وربما من فكرة
التعليم كلها .

ويرى طه حسين أن الوزارة لابد أن ترفع
يدها عن أمر الكتاب المدرسى ، وتقتصر
مهمتها على اختيار أحسن المتاح لتلاميذها .
وقد استخدم طه حسين فى ذلك كلمة
" التجارة " ، ولكننى أقول إنه سواء أتاجرت
الوزارة فى الكتب بالبيع والشراء ، أم
احتكرت الكتب ووزعتها مجانا فبخرت
تجاريا " ، فإن الحال من الناحية التعليمية
التربوية هى نفس الحال :

من الذى فرض على وزارة المعارف أن توزع
الكتب والأدوات على التلاميذ ؟ لم يفرض
ذلك عليها أحد ، وإنما تبرعت به من عند
نفسها . . بل لست أقف عند هذا الحد ، وإنما
أسأل لماذا تقرر الوزارة فى هذه المادة أو تلك
كتابا بعينه تشتريه . . . حسب الوزارة أنها

ستضطر دائما إلى توين مكتبات المدارس
ليقرأ المعلمون والتلاميذ ، ولتيسر لهم القراءة
الحرّة . نعم خير نصيحة تقدم إلى وزارة المعارف
هى أن تدع التجارة للتجار ، والتأليف
للمؤلفين ، وأن تكتفى بامتحان الكتب ، والدلالة
على الصالح منها " (ص ٢٢٢ مابعدا)

من الطبيعى لكاتب تنويرى عظيم ، يؤمن
" بالتحديث " ، وبالنظام الاجتماعى المتقدم ،
وبالنموذج الغربى منه على وجه الخصوص ،
أن يعطى قدرا كبيرا من الاهتمام لأمر اللغات
الأجنبية " حين ينظر فى شئون التعليم . ويرى
طه حسين أن التعليم الأولى كله ينبغى أن
يخلو من تعلم اللغات الأجنبية ، وكذلك الحال
بالنسبة للسنوات الأربع الأولى من المرحلة
التي تليه من مراحل التعليم .

أما فيما يلى ذلك فيلخص أمر تعلم
اللغات الأجنبية على النحو التالى :

" أنا أقسم المواد التى تدرس فى المدارس
العامة قسمين . أحدهما فرض على التلاميذ
جميعا لأنه قوام الثقافة العامة لكل مثقف
مستنير . ومن هذا القسم التاريخ والجغرافية
واللغة الوطنية والرياضية والعلوم التجريبية
كالطبيعة والكيمياء وعلم الحياة . والآخر ما

يجوز أن يختلف فيه التلاميذ وهو اللغات الأجنبية وآدابها . فكل من أراد أن يهيئ نفسه بعد الثقافة العامة للدراسات الرياضية أو العلمية أو للدراسات الفنية في المدارس الخاصة فرضت عليه مع هذا المقدار المشترك لغتين حيثين يختارهما بين الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية . وكل من أراد أن يهيئ نفسه بعد الثقافة العامة للتخصص في اللغة العربية وآدابها فرضت عليه التعمق في درس اللغة العربية والثقافة الإسلامية وإتقان لغة أوربية حية ، وخيرته بين إحدى هاتين اللغتين الشرقيتين العبرية والفارسية . وكل من أراد أن يهيئ نفسه بعد الثقافة العامة للدراسات الأدبية المختلفة كالتاريخ والجغرافية والفلسفة والآداب الخالصة لإحدى اللغات فرضت عليه اللغة اللاتينية ولغة أجنبية حية وخيرته بين اللغة اليونانية ولغة أوربية أخرى " (ص ٣٠٠ ، ٣٠١)

ويشرح طه حسين وجهة نظره في وجوب التأخر في البدء بتعلم اللغات الأجنبية بأنه يريد أن يخلص قسم كبير من التعليم - في بداياته - للثقافة الوطنية ، كما أنه لا يريد أن يطفى تعلم اللغات الأجنبية - في هذه

الفترة الحسنة من فترات التلقى - على تعلم اللغة العربية التي ترتفع الشكوى من ضعف التلاميذ فيها . وهو إذ يحس أن البلاد التي يتخذها نموذجا يحتذى في التعليم لا تؤخر البدء بتعلم اللغات الأجنبية إلى هذا الحد يبادر ببيان الفرق بيننا وبينهم فيلخصه في أمرين :

" . . أحدهما أن للصبي الأوربيين من دورهم ومنازلهم وبيئاتهم خارج المدرسة مدارس يتعلمون فيها لغتهم الوطنية ويشقفون فيها بثقافتهم القومية . . . والأمر الثاني أن بين اللغات الأوربية - مهما تختلف - من التوافق والتقارب خطأ يختلف قوة وضعفا باختلاف منازل بعضها من بعض ، ولكنه على كل حال يسر درسها على الصبي الأوربيين " (ص ٢٦٠ ، ٢٦١)

وقد يجادل الناس طه حسين في أمر تعلم اللغات الأجنبية هذا ، وبخاصة في أمر الزمن الملائم من عمر التلميذ الذي ينبغي أن يبدأ فيه هذا التعلم ، فقد يقال إن البدء المبكر هو الضمان لتجويد اللغة الأجنبية ، وإن تعلم التلميذ إياها مع اللغة العربية لا يضعف أمر العربية بل قد يقويها بتنمية المهارات اللغوية لديه .

وقد يقال : كيف يبدو طه حسين - من

ناحية - راغبيا فى الاعتراف من اللغات الأجنبية بعدم قصرها على لغة أو اثنتين ، ويبدو - من ناحية أخرى - راغبيا فى تأجيل تعلمها ؟ وهل يمكن أن يزدحم وقت قصير بتعلم لغات عدة ، ثم تتحقق نتائج مرضية ؟ إن الناظر فى حال تعلم اللغات الأجنبية الآن يعلم أن حالها آل إلى مجرد " شيكليات وقشور " (لا يستثنى من ذلك حالها فى أقسام اللغات ذاتها ، بل وفى الكليات التى تجعل وسيلة التدريس بها اللغة الأجنبية) . وأنا لا أقول إن هذا راجع إلى خطة طه حسين فى تعلم اللغات الأجنبية ، فأنا لست واثقا من أنه أخذ بها ، ولكن الذى لا شك فيه أن أمر تعلم اللغات لا يزال عقبة فى طريق تقدم التعليم ، وأن هذا الأمر ينبغى أن ينال أقصى الاهتمام فى كل مراجعة أو نظر فى أمر التعليم المصرى والثقافة المصرية .

أما حال اللغة العربية فأشق تناولا فى كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " . وتبدأ معالجته بموضوع بديهى هو بيان أهمية اللغة العربية . ويسوق طه حسين أدلة على أهمية اللغة العربية بعضها منطقى ، وبعضها عاطفى ، وبعضها عملى ، ولا يشير أى منها كبير

خلاف ؛ فاللغة العربية لغتنا الوطنية ، وهى اللغة التى نفكر بها ، وهى لغة الدين ، وهى لغة الماضى بما يحمل من تراث وتقاليد ، وهى لغة الأجيال القادمة إلى آخر هذه المسلمات . وما يكاد طه حسين يقنعنا بأهمية اللغة العربية ، ووجوب بذل أقصى جهد فى العناية بها ، حتى يشن حملة شعواء على مؤسستين تعليميتين ارتبط اسمهما بتعليم هذه اللغة ودراساتها هما الأزهر ، ودار العلوم . وخلاصة ما يراه فى هذا الصدد أن أيا من المؤسستين لم تعد قادرة على حمل مسئولية تطوير اللغة العربية . يقول طه حسين : " اللغة العربية ليست ملكا لرجال الدين . . يتصرفون وحدهم فيها ، ولكنها ملك للذين يتكلمونها جميعا من الأمم والأجيال ، وكل فرد من هؤلاء الناس حر فى أن يتصرف فى هذه اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التى تبيح له هذا التصرف " (٣٠٧) تلك هى اللهجة الخفيفة (نسبيا) التى يرفض بها طه حسين أن يكون الأزهر وصيا على تعليم اللغة العربية والاضطلاع بتطويرها . ولكنه - إذ يمضى فى شرح الموضوع - يكشف عن جوانب من نقصان " مؤهلات " الأزهر التى تجعله عاجزا عن النهوض باللغة العربية :

" فالأزهر لا يعرف من تطور اللغات الأجنبية حديثها وقديمها شيئا ، بل هو لا يكاد يعرف من هذه اللغات نفسها شيئا . والأزهر لا يجهل اللغات السامية جهلا تاما . والأزهر لا يكاد يتجاوز كتبه المعروفة العقيمة إلى كتب القدماء فى اللغة وآدابها وعلومها إلا قليلا ، وهو مع ذلك يريد أن يشرف على علوم اللغة العربية ، ويقوم دونها ، ويحول دون إصلاحها " . (ص ٢٣١)
تلك هى قواعد " الهجوم " الذى يطوره طه حسين على الأزهر ، وينتهى به شاملا مريرا ؛ فهو ينتقل به من الكلام على عدم صلاحيته لتدريس اللغة العربية إلى وجوب تطويره ، وتحديثه ، واتصاله بالواقع ، ويوجه إليه - فى خلال كل ذلك - اتهامات أقل ما توصف به أنها تعنى عدم الصدق مع النفس :

وليس من الخير أن يكون الأزهر حريا على الحياة الحديثة ، فإن هذه الحرب لا تجدى ولا تفيد . وإنما الخير والواجب أن يكون الأزهر ملطفا للحياة الحديثة ، مخففا لأثقالها ، ملائما بينها وبين ما ينهى الله عنه من الشر والمنكر . وذلك لا يكون إلا إذا عرف رجال الدين حياة الناس كما يحيونها ، وأتقنوا العلم بأسرارها ومشكلاتها وما تجر على الناس

من شر ، وما تدفعهم إليه من إثم . وسبيل ذلك أن يشقف الأزهر بالثقافة الحديثة ، كما يشقف بها غيره من المعاهد ، وأن يمتاز بعد هذا بما لا تمتاز به المعاهد الأخرى من هذه الثقافة الدينية الخالصة ، بحيث إذا اتصل رجاله بطبقات الناس لم يناقضوهم ولم يباينوهم ولم يجدوا مشقة فى الوصول إلى قلوبهم والانتهاء إلى نفوسهم ، والتأثير فى هذه النفوس ، وتلك القلوب " (ص ٤٣٧)
ويبلغ طه حسين فى هجومه على الأزهر مداه حين يتهمه بالتظاهر باصطناع الحياة الحديثة ليصل إلى السيطرة على الحياة بطرق غير صحيحة :

" وهذا يقتضى أن يعدل الأزهر عدولا تاما عما دأب عليه من الانحياز إلى نفسه والعكوف عليها والانقطاع عن الحياة العامة . وقد يقال إن الأزهر قد أخذ يترك هذه السيرة ، ويتصل بالحياة العامة ، ويأخذ بحفظ حسنة من الثقافات الحديثة على اختلافها . وهذا صحيح فى ظاهره ولكنه فى حقيقة الأمر غير صحيح ، فالأزهر ما زال منحازا إلى نفسه ، مستمسكا بهذا الانحياز حريصا عليه . وهو من أجل هذا الانحياز نفسه يريد أن يتصل

بالحياة العامة على النحو الذى نراه الآن .
يريد أن تكون له نظمه الخاصة ، وإجازاته
الخاصة ، وطرقه الخاصة فى الحياة والتعليم ،
ويريد مع ذلك أن يفرض على الحياة العامة
فرضا ، وأن يفرض نفسه باسم الدين . وما
هكذا يكون الاتصال الصحيح بالحياة العامة
والاشتراك فيها " (ص ٤٧٤ ، ٤٧٥)

وقد كان لطفه حسين نظرة تحذيرية تنبأت بما
آل إليه الحال فى الأزهر . لقد حذر من الصدع
الذى سيعتري على عدم إدماج برامج التعليم
، وعدم توحيد الأمة على نهج تعليمى واحد ،
وحذر من استقلال الأزهر بمؤرخيه وجغرافيه
وعلمائه وقانونيه ، بل أطبائه ومهندسيه .
ولكن الأمر جرى على ما خافه طه حسين ،
ونحن نعيش منذ زمن طويل الآن حياة " جامعة
الأزهر " . وهناك شكوى ليست خافية ترتفع
من داخل هذه الجامعة ذاتها - وبخاصة من
داخل الكليات العملية - من تدهور الحالة
التعليمية المترتبة على قصر القبول فى جامعة
الأزهر على طلاب التعليم العام فيه .

يقول طه حسين : " فإذا أرادوا أن يعلموا
اللغة العربية مثلا فطريقهم إلى ذلك الآن دار
العلوم وكلية الآداب ومعهد التربية ، لا كلية

اللغة العربية الأزهرية ، وإن أرادوا أن يعلموا
التاريخ أو الجغرافيا أو الطبيعة أو الكيمياء
فطريقهم إلى ذلك كلية الآداب وكلية العلوم
ومعهد التربية . وإن أرادوا أن ينهضوا بأعباء
القضاء أو الطب أو الهندسة فطريقهم إلى
ذلك كلية الحقوق والطب والهندسة . فأما أن
تنشأ فى الأزهر كليات وأن تمنح هذه الكليات
درجات لا علم للدولة بها ولا سلطان للدولة
عليها ، ثم يفرض المتخرجون فى هذه الكليات على
الحياة العامة فرضا فهذا هو الذى لا يفهم ولا يمكن
أن يساغ فى بلد متحضر " (ص ٤٧٧ / ٤٧٨)
أما دار العلوم فيقول طه حسين إنها أنشئت
أصلا لتوائم بين موقفين متناقضين أدركهما
المشرع لشئون التعليم العصرى فى مصر منذ
البداية ؛ أحدهما وجوب أن يكون معلم اللغة
العربية مؤهلا بطريقة علمية تشبه الطريقة
التي يتأهل بها غيره من مدرسى مواد العلم .
(ولم يكن هذا يتوفر للأزهر الذى كان مهيمنا
على تعليم اللغة العربية آنذاك) والآخر الصلة
التي لا يمكن أن تنكر بين اللغة العربية والدين
. وقد رأى المشرع - إزالة لهذا التناقض -
إنشاء مدرسة عليا تكون " صلة ما بين الأزهر
وبين الحياة ، يؤخذ فيها طلاب أزهريون قد تثقفوا

إلى حد حسن بالثقافة العربية الإسلامية ثم
يثقفون من أصول العلوم المدنية وفروعها بمقدار
معقول ، ثم يكلفون تعليم اللغة العربية في
المدارس العامة " (ص ٣ ، ٣٧٣)

ولكن دار العلوم لم تحقق - فيما يرى طه
حسين - الغاية التي أنشئت من أجلها ؛
" فالإنتاج الأدبي الذي تعتمد عليه نهضتنا
المصرية الحديثة قليل التأثير جدا بهذه المدرسة " ،
ودار العلوم " لم تنجح فيما كان ينبغي أن
تنجح فيه من تجديد علوم اللغة العربية . .
وإنما نجحت في الاختصار والاختزال " ، وهي
لم توفق إلى ما كان ينبغي أن توفق فيه من
تجنيب اللغة العربية إلى نفوس التلاميذ " ،
وهي قد " أعرضت عن تعمق العلوم الإسلامية
كما يفعل الأزهريون وهي لم تستطع أن تتعمق
العلوم المدنية الحديثة كما تفعل المدارس
العامة " (ص ٣٥٧ / ٣٧٨)

ويقترح طه حسين علاجا لحالة دار العلوم أن تضم
إلى الجامعة فتكون " في الجامعة المصرية مدرسة
اللغة العربية واللغات الشرقية ، بمكان يشبه مكان
مدرسة اللغات الشرقية من جامعة لندن " (ص ٣٥٧ /
٣٧٨) وقد ضمت دار العلوم إلى الجامعة -
استجابة لاقتراح طه حسين أو لغيره - وذلك

منذ سنة ١٩٤٦ ، ولكن السؤال الآن هو : هل
صلح حال اللغة العربية بهذا الانضمام ؟ يبدو
أن المشكلة أبعد من أن يحلها قرار إداري
يصدر هنا أو هناك .

يريد طه حسين أن يبدأ إعداد مدرّس اللغة
العربية منذ أول التعليم الثانوي (وينبغي أن
نستحضر أن التلميذ قضى فترة التعليم
الإلزامي ، وأربع سنوات أخرى ، يتعلم
بالعربية وحدها) ، ويريد أن يكون ذلك في
تخصصين هما فقه اللغة ، ويضم إلى العربية
فيه اللغات السامية كما سبق ، والآخر آداب
اللغة ، ويكون الاستعداد له بضم اللغة
الإيرانية (كذا) . ولكن السؤال هو : أي
نوع من العربية ذلك الذي يريد له طه حسين
التقدم والازدهار ؟ هنا يبدو - على غير ما
قد يتوقع غلاة الفصحى والأزهريون بخاصة -
حريصا على الفصحى ليس غير ؛ ويضيف :
" نعم وأحب أن يعلم المحافظون عامة
والأزهريون خاصة - إن كانوا لم يعلموا بعد -
أنى من أشد الناس ازورا عن الذين يفكرون
في اللغة العامية على أنها تصلح أداة للفهم
والتفاهم ، ووسيلة إلى تحقيق الأغراض
المختلفة لحياتنا العقلية (٣١٤) وهو يشفع ذلك

بهجوم على العامية تزيل من النفوس كل أثر بأنه من المتعاطفين معها : " لم أومن قط ولن أستطيع أن أومن بأن للغة العامية من الخصائص والمميزات ما يجعلها خليفة بأن تسمى لغة ، وإنما رأيتها وسأراها دائما لهجة من اللهجات قد أدركها الفساد فى كثير من أوضاعها وأشكالها ، وهى خليفة أن تبنى فى اللغة العربية الفصحى إذا نحن منحناها ما يجب لها من العناية فارتفعنا بالشعب عن طريق التعليم والتثقيف ، وهبطنا بها هى عن طريق التيسير والإصلاح إلى حيث يلتقيان فى غير مشقة ولا جهد ولا فساد " (ص ٣١٤ / ٣١٥)
أما طريق هذا الإصلاح والتيسير فسبيله تحطيم أسطورة النحو ، " ومن أقبح الخطأ وأشنع أن نظن أن إتقان النحو يمكن من إتقان اللغة " ٣٣ على أن الإصلاح ينبغى أن يمتد إلى الصرف والبلاغة وتيسير أمر القراءة والكتابة . على أنه حريص فى تلك النقطة الأخيرة بالذات على ألا يظن به الذهاب إلى حد تبني فكرة استخدام الحروف اللاتينية فى الكتابة : " أحب أن يعلم المحافظون أنى قاومت وسأقاوم أشد المقاومة دعوة الداعين إلى اصطناع الحروف اللاتينية " (ص ٣٢٨) وحد الإصلاح

لديه هو تقريب اللغة العربية من الحياة الحديثة ، وعدم إهدار هويتها الأصيلة ، وتيسير قواعدها ورموزها على نحو يصلها بالحياة ، ويجعل منها وسيلة صالحة لحمل ثقافة العصر ، ومساعدة الشعب على الترقى فى درج الحياة العصرية .

تنساب الأفكار بنعومة فائقة فى كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » مازجة بين « التعليم » فى جسم واحد متكامل ، تفضى أعضاؤه بعضها إلى بعض . وهناك أدوات حيوية يكتمل بها هذا الجسم الكلى ، يجرى فى مقدمتها - عند طه حسين - إنشاء " المعهد العلمى المصرى " الذى يناط به تشجيع البحث العلمى ، وتنظيم الهيئات الأدبية والفنية . وثمة نموذج صالح للاحتذاء هنا هو المعهد العلمى الفرنسى (والواقع أن النموذج الفرنسى الصالح للاحتذاء هو أول شئ يجرى إلى ذهن طه حسين كلما كان ذلك لازما) :

" فإننى لا أبتكر هذا النحو من النظام الذى أقترحه ابتكارا ، ولا اخترعه من عند نفسى ، وإنما أنقله من الحياة الأوربية نقلا أتوخى فيه ملاءمة البيئة المصرية الخاصة وما يمكن فيها وما لا يمكن " (ص ٤٩٤)

ومن شأن هذا النظام المقترح أن يوثق الرابطة بين ما لدينا وما وراء الحدود . ولن يتأتى ذلك - بالطبع - إلا بترجمة الآثار ذات الأثر البعيد فى النهضة الثقافية فى العالم . ولموضوع " الترجمة " فى كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " حديث غير قصير . وهو يبدأ بإبداء الحسرة على جفاف حياتنا الثقافية نتيجة نقص الترجمة عن الغير أو انعدامها . ويغلف الحديث بالسخرية من النفس ؛ فنحن نتحدث عن مجد العرب الأولين لأنهم " أقبلوا فى شره رائع على آثار الأمم المتحضرة " ، ونظل بعد ذلك خامدين جامدين " ، والآثار العلمية والفنية تزيد وتزيد ، والعقول الأوروبية والقلوب الأوروبية تستمتع ، والحضارة الأوروبية ترقى ، ونحن مستمتعون بما نحن فيه من العجز والقصور " (ص ٤٩٦/٤٩٧)

إن الصورة الثقافية المرسومة لهذه النقطة قائمة جدا ؛ فاللغات التى تستحق الترجمة عنها يجهلها معظم الناس ، والقلة التى تعرفها لا تقرأ ما يذاع فيها من علم وأدب . والنتيجة أننا لا نترجم . وكيف نترجم إذا كنا لا نقرأ ؟ وكيف نقرأ إذا لم نكن مثقفين ؟ وينشأ عن هذا كله خطر عظيم جدا ، وهو أن

الذين يقرءون ويكتبون يجهلون الحضارة الحديثة . ويتجلى هذا الخطر على نحو أعظم حين ينشعب المثقفون (الأولى أن يقال المتعلمون !) : " قلة ضئيلة تعرف بعض اللغات الأوروبية ولا تقرأ فيها ، وهى مع ذلك تتمدح وتستطيل وترى نفسها ممتازة ، وكثرة تجهل اللغات الأوروبية جهلا تاما ولا تجد من التراجم ما يضع عنها إصر هذا الجهل ، فتزدرى أوروبا وتزدرى حضارتها وتزدرى من يعجبون بأوروبا وحضارتها " (٤٩٨) هذا تحليل واقعى صحيح للوضع ، وهو لا يزال يحكم حياتنا الثقافية حتى اللحظة الراهنة ، بل إنه ليزداد سوءا على مدى الأيام . وهو صحيح بشقيه اللذين عبر عنهما طه حسين ؛ قلده تتشدد بأوروبا على غير معرفة ، وقلة تزدرى أوروبا على غير معرفة ، ولا شئ أسوأ من هذا يمكن أن يحدث فيقف حجر عثرة فى طريق نضج " الهوية " الثقافية للأمة .

يقول طه حسين : " فلنترجم إذن ولنكثر من الترجمة " ، ويدعو إلى انشاء " مكتب الترجمة " فى وزارة المعارف ، مؤكدا أنها الوسيلة التى تدفع الشباب إلى التقليد والمحاكاة ، وهما من أرقى عناصر الحياة

العقلية وأقواها ؛ فالترجمة عنصر " سيفنى اللغة ويحييها ، وسيفذى العقل المصرى وينميه ، وسينشر الثقافة ويذيعها ، وسيقرب بين الطبقات المختلفة فى الشعب ، وسيحقق الكرامة القومية التى تريد أن ترتفع عن الجهالة والغفلة ، وألا تكون صفوتنا دون غيرها من صفوة المثقفين فى الأمم الأخرى ، وألا تكون عامتنا دون غيرها من عامة الناس فى الأمم الأخرى أيضا " (٥٠٠ / ٤٩٩)

استحدثت وسائل أخرى - إلى جانب الكلمة المكتوبة - للثقافة هى الصحافة والإذاعة والسينما والتمثيل (ولم يكن التلفزيون أو الكاسيت أو الفيديو أو الكمبيوتر قد استحدث فى مصر أو زاحم الكتاب لذلك الحين) ، فما موقف كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " من هذه المستحدثات ؟ وكيف نستغلها فى التقدم الثقافى ؟ الأصل فى هذه المستحدثات - عند طه حسين - أنها خطر على الكلمة المكتوبة ، ولكن حالتنا التى تنفشى فيها الأمية ، فلا يقرأ الناس كثيرا الكلمة المكتوبة ، حالة خاصة تحتم علينا أن نستخدم هذه المستحدثات لصالح القضية . ولا أقل من أن نشجع الاستفادة من الصحافة

بلفتها السهلة وإغرائها ، وأن نأخذ بطرف من ثقافة الراديو ، ولكن الحيلة من أخطارهما واجبة ، فلا بد من إنشاء لجان (ثقافية وليست سياسية أو أمنية) تراقب هذه الوسائل ، وتوجهها لصالح الثقافة ، وبخاصة فيما يتصل بالسينما ، والتى تفد من الخارج ، وتتهدد فن التمثيل لدينا ، وهو فن يجب أن ينال أقصى العناية لما له من فوائد تعليمية وثقافية .

ولن يكتمل الوضع إلا بأن تنشر مصر مظلة التعليم فيها على ما حولها من البلاد ، وذلك بتصدير النموذج التعليمى المصرى إلى بلاد الشرق العربى . وهذه النقطة تعيد إلى الأذهان من جديد مصطلح " الشرق " و " الغرب " . فقد اتضح أن الشرق الذى يقول طه حسين إن مصر ليست جزءا منه لا يمكن أن يكون هو الشرق العربى ، وكيف يمكن أن يكون كذلك إذا كان هو يسعى إلى أن يكون هذا القسم من العالم وحدة تعليمية ثقافية تظلها المظلة المصرية ؟

لقد هاجم طه حسين " الكرم المصرى " (يقصد البخل المصرى) فى إنشاء المدارس المصرية خارج الحدود ، وقارن بين حالنا وحال

أوريا فى رعاية الطلاب الأجانب ، موضحا أن أوريا حين تفعل ذلك لا تفعله من أجل هؤلاء الطلاب ، وإنما من أجل نفسها . ونحن لا نتطلع إلى خارج الحدود " فى فرنسا أو إنجلترا أو إيطاليا ، ولكن من حقنا أن ننشئ المدارس المصرية فى البلاد العربية " . وإدارة هذه المدارس يجب ألا تكون وقفًا على المصريين ، بل ينبغى أن يكون لأبناء هذه البلدان فيها نصيب ، وبالمثل فإن متاهجها ينبغى ألا تكون وقفًا على ما يتصل بمصر من معلومات . والقادرون مدعوون إلى الإسهام فى هذه المدارس . وليست المدارس وحدها هى التى يهتم بها طه حسين فيما وراء الحدود ، فالتعليم الجامعى ، والبرامج الثقافية نصيب من هذا الاهتمام . (الفصلان ٥٧ ، ٥٨ من الكتاب)

ما الثقافة المصرية ؟ وما عسى أن تكون ؟ هذا هو السؤال الذى يطرحه الكتاب فى نهاية المطاف . وهو يبدو مطمئنًا جازمًا فى أن لنا ثقافة مصرية خاصة تقوم على وحدتنا الوطنية ، وتتصل بنفوسنا المصرية الحديثة ، كما تتصل بنفوسنا المصرية القديمة . وهى ثقافة تصور آمالنا ومثلنا العليا ، وترى واضحة فى هذا الذوق المصرى الذى " ليس ابتسامًا خالصًا ولا

عبوسًا خالصًا " . وهى ثقافة تجمع بين الجدة والقدم ، وتقوم على الاعتدال " الذى يشق من اعتدال الجو المصرى " . ومن شأن هذا أن يجعل الطبيعة المصرية طبيعة معتدلة لا تسرف فى المحافظة ولا تسرف فى التجديد . هذه الثقافة المصرية هى تلك اللغة العربية المصرية الرشيقة التى لا تنبو عن الذوق ولا تتجافى عن الطبع ، وهى ذلك التراث المصرى القديم ، وذلك التراث العربى الإسلامى ، وذلك الذى كسبته مصر وتكسبه كل يوم من خير ثمرات الحياة الأوربية الحديثة :

" هى هذه العناصر المختلفة المتناقضة فيما بينها أشد الاختلاف والتناقض . تلتقى فى مصر فيصنف بعضها بعضًا ، وينفى بعضها من بعض ما لا بد من نفيه من الشوائب التى لا تلائم النفس المصرية ، ثم يتكون منها هذا المزاج النقى الرائق الذى يورثه الآباء للأبناء وينقله المعلمون إلى المتعلمين " (ص ٥٣٣)

ويمكن أن يقال - بتسرع - إن هذا الوصف - الذى يقدمه طه حسين - إنما هو كلام عام " إنشائى " لا يصنع ثقافة أو يشكل حضارة ، ولكن لا بد أن يقال أيضا فى النظر المتشد إنه وصف صحيح لحالة معنوية لا يمكن التعبير

عنها بأحسن من هذا . وهى حالة قد تبدو غائبة أحيانا ، ولكن اختفاءها تحت السطح - لظروف مؤقتة أو خاصة - لا يعنى عدم وجودها ؛ فمصر (الثقافة) حقيقة واقعة ، وإلا فكيف استطاعت أن تعيش (متميزة) كل هذه القرون ؟ وإذا كان هذا الكلام إنشائيا فإنه الإنشاء الرقيق الصافى . والواقع أن أسلوب الكتاب يرق ويصفو كله نحو نهايته ، فيرى فى ختامه أشبه بالحلم المترائى فى حالة بين اليقظة والنوم ، ولذا فإنه يمكن القول إن الكتاب هو نوع من العمل " الإبداعى " الذى يخلق حالة ذهنية ونفسية تلخص حلم رائد من رواد التنوير وصانع من صناع مصر الحديثة . وهذا الحلم يكشف عن نفسه صراحة فى آخر فقرة من فقرات الكتاب ، وهى فقرة شاعرية تمضى على النحو التالى :

" هذا حلم رائع جميل تمضى فيه نفس هائمة تحب مصر وأهل مصر فى هذا الأفق الغريب الجميل من آفاق الألب ، ولكنه حلم يسير التحقيق قريب التعبير . فإن مصر التى انتصرت على الخطوب ، وثبتت للأحداث ، وظفرت بحققها من أعظم قوة فى الأرض فى هدوء وأناة وثقة بالنفس وإيمان بالحق ، خليفة

أن تنتصر على نفسها وتظهر على ما يعترض طريقها من العقاب وترد إلى نفسها مجدا قديما عظيما لم تنسه ولن تنساه " (ص ٥٣٦) يصف كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " - بكل ماله وما عليه - موقف طه حسين المبدئى المطرد بصفته نصيرا للحدثاء ، وداعية من دعاة التجديد . وهو بهذا الاعتبار يتكامل مع أعمال أخرى له يقف فيها إلى جانب الجديد ؛ فما من حال يطرع فيها القديم والجديد (واصطراعهما طبيعى ومحتوم) إلا ونجد طه حسين يقف إلى جانب الجديد . ذلك أن انتصار القديم على الجديد - فضلا عن أنه غير طبيعى - يعنى لديه التخلف والجمود ، على حين أن انتصار الجديد (فضلا عن أنه طبيعى) يعنى لديه الثورة التى تتحول فى مجرى الزمن إلى واقع ثقافى جديد .

على أن الجديد الذى يقف إلى جواره طه حسين ليس الجديد المطلق وإنما الجديد النسبى . والواقع أنه لا يمكن أن يوجد جديد مطلق ، وإذن فالتسمية الأولى هى " التجديد " الذى هو عملية مركبة يدخل ضمن عناصرها القديم ذاته . ذلك هو موقف دعاة " التنوير " الذين يحرسون مسيرة الحياة نحو التقدم ، ويحفظونها

من أن تقع فى الزلل بتعبدها بالقديم ، أو بقفزها فى الظلام نحو جديد مطلق لا يتصل بالواقع - أو بطبيعة الأمور - فى شئ .

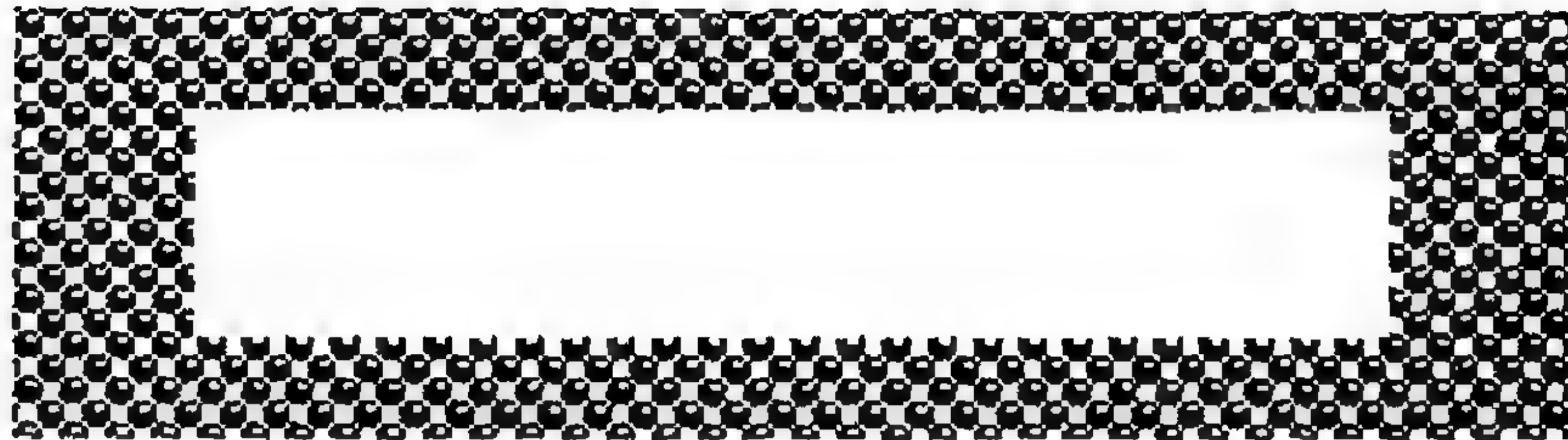
ومن التبسيط المخل للأمور أن يقال إن طه حسين فى نظريته فى " مستقبل الثقافة فى مصر " مجرد ناقل لنظرية بول فاليرى التى حلل فيها عناصر العقل الأوربى إلى العنصر الإغريقى ، والعنصر الرومانى ، والعنصر المسيحى . حقا لقد رد طه حسين عناصر العقلية المصرية الجديدة إلى ثلاثة عناصر هى النموذج الأوربى ، والتراث العربى الإسلامى ، والشخصية المصرية الخالصة ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون نقلا لنظرية فاليرى ؛ ذلك لأن العبرة فى هذه الحالة ليست برسم الإطار الخارجى ، وإنما هى بتشكيل المادة التى تنتظم فى هذا الإطار ، والواقع أن النظرية فى النهاية تنبثق عن طبيعة هذه المادة المشكلة ، والأطر الخارجية لا يمكن أن تصنع نظرية على الإطلاق . وقراءة الكتاب تعلن عن أن طه حسين يستقى مقدماته ونتائجه ، ومشكلاته وحلوله ، من تربة محلية خالصة ، ومن حياة يومية تعج بالمشكلات النابعة من تلك التربة . ويبقى أن نقول إن طه حسين قد عاش حتى

شهد تداعى حلمه الثقافى ، والتخبطات التى صحت محاولة تطبيقه على التعليم المصرى . وقد صرح قبيل وفاته بأنه يود لو يكمل كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " ولا أدرى أى طريق كان سيسلك لو فعل ذلك . ولقد بالغ طه حسين حين ولى وزارة المعارف فى أمر " مجانية التعليم " ، وربما كان لذلك أسباب قد تتجاوز البنود الفكرية لكتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " إلى ظروف اللحظات السياسية التى كان يحياها داخل الوزارة .

ليت شعرى ماذا كان يكون موقف طه حسين لو شهد حالة التعليم المصرى اليوم ، وما يعج به واقعه من مشكلات ، بعضها متعلق بالكتاب المدرسى (وقد قطعت الوزارة فى احتكاره شوطا طويلا) ، وبعضها خاص بالأزهر (وقد استقل بطلابه ومعاهده وكلياته) ، وبعضها خاص بدار العلوم (وقد مضى على انضمامها إلى الجامعة أكثر من أربعين عاما . شهدت تدهور حال مدرس اللغة العربية على نحو مطرد) ، وبعضها خاص بأمر اللغات الأجنبية (التى تتسابق المدارس فى تعليمها منذ الحضانة وتسمى نفسها " مدارس اللغات " فى حين يتدهور حالها أيضا باطراد) . لقد

مضى صاحب الكتاب ، وبقي الكتاب ذاته ، ما شاءت ، ولكنها لا تستطيع أن تولى وجهها
منارة هادية ، تصطرع حولها الحياة والأفكار كلية فى طريق مناهضة .

محمود الربيعى



من وجوه استعمال الهمزة فى الشعر

وموقف النحويين منه

للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف (*)

يسلك الشعر العربى سبلا مختلفة من أجل تحقيق توازن اللغة مع الوزن والقافية ، وتدين كثير من الصيغ للاستعمال الشعرى . ويستطيع المتتبع لظاهرة استخدام أكثر من صيغة لكلمة واحدة أن يعزو هذا التعدد للاستعمال الشعرى بوصفه سببا من أسباب هذا التعدد ، بالإضافة إلى تنوع الاستخدام اللهجى فى بعض الأحيان .

وسوف أتناول فى هذا البحث جانبا من جوانب كثيرة يمكن تتبعها وتناولها ، وهذا الجانب هو بعض وجوه استعمال الهمزة فى الشعر ، مع ملاحظة أن بعض الشعراء - كما قرر كثير من الباحثين - كانوا يكتبون قصائدهم باللغة المشتركة حتى تشيع وتذيع ، ولكنهم - بالطبع - لم يستطيعوا التخلص من تأثير لهجاتهم الخاصة ؛ ومن هنا فإن كثيرا من الخصائص اللهجية تسلك إلى مستوى العربية الفصحى المشتركة . وأصبح بكثرة الاستعمال والتداول جزءا منها .

والهمزة تحتل مكانا كبيرا فى الدرس الصرفى ، وفى أبواب الإعرال والإبدال منه بخاصة ، ولعل السبب فى ذلك أن نحائنا القدماء عدوا الهمزة اختلا لأصوات العلة (الألف والواو والياء) " فأبدلوا هذه الحروف التى منها الحركات ؛ لأنها أخوات ، وهى أمهات البذل ، والزوائد . وليس حرف يخلو منها أو من بعضها ، وبعضها حركاتها ، وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف ، وهى إحدى الثلاث ، والواو والياء شبيهة بها أيضا مع شركتهما أقرب الحروف منها " (١)

ومن جانب آخر ، تنفرد الهمزة بأحكام خاصة تتعلق بتخفيفها ، وجعلها بين بين ، وإبدالها (٢) ؛ فلتباعدها من الحروف ، وثقل مخرجها ، وأنها نبرة فى الصدر جازفيتها التخفيف " (٣) فضلا عن اختلاف قبائل العرب فيما بينهم فى الهمز وعدمه ، فكان الهمز خصيصة من الخصائص البدوية التى اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها .

(*) استاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .

(١) الكتاب لسيبويه ٢ / ٥٤٤ ، ٥٤٥

(٢) انظر : الكتاب ٣ / ٥٤١ والمقتضب ١ / ١٥٥ وما بعدها ، والخصائص ٢ / ١٤٩ وما بعدها وشرح الشافية ٢ / ٢٥٠ ، ٢٠ / ٢٠ وشرح

المفصل ٩ / ١٠٧ - ١٠٨ والضرورة الشعرية فى النحو العربى ٢٤٢ .

(٣) المقتضب ١ / ١٥٥ .

وكان عدم الهمز خصيصة حضرية امتازت بها لهجة القبائل فى شمالى الجزيرة العربية وغريبها ^(١) ؛ وذلك " أن الهمزة لما كانت أدخل الحروف فى الحلق ، ولها نبرة كريمة تجرى مجرى التهويع (تكلفُ القى) ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها ، فخففها قوم ، وهم أكثر أهل الحجاز ، ولاسيما قريش ، روى عن أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - : نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبرائيل - عليه السلام - نزل بالهمزة على النبى - صلى الله عليه وسلم - ماهمزا ، وحققها غيرهم ، والتحقيق هو الأصل كسائر الحروف ، والتخفيف استعسان " ^(٢)

وإذن تخفيف الهمزة أو تحقيقها يرجع فى أصله إلى اختلاف اللهجات العربية ، وقد رأى بعض الباحثين أن تخفيف الهمزة ظاهرة حضرية ، وتحقيقها ظاهرة بدوية تناسب الحشونة والبداوة ^(٣) . وقد لاحظ النحويون أنها ثقيلة فى مخرجها ، وأن لها نبرة كريمة تجرى مجرى التهويع ، ولكنه - مع ذلك - هو الأصل . وعلى عادة النحاة لم يذكروا ما يعتنون بالأصل : أهو الأصل التاريخى ، أى أنه كان يستعمل

فى فترة معينة ثم حدث تطور فى النطق أدى إلى ما ليس بأصل ؛ أو هو الأصل الصرفى ، وأعنى به القوالب التى وضعها الصرفيون موازين للمفردات ، وحاولوا إخضاع كل مجموعة منها لقالب معين منها ؟

ولكننا - مع ذلك - نسترشد بقولهم إن التحقيق هو الأصل ، مع مراعاة نزوع أهل الحضر إلى التخفيف ، وملاحظة ثقل مخرج الهمزة ونبرتها الكريمة ؛ لنستدل به على أن المقصود بالأصل هو الأصل التاريخى ، وأن اللغة فى تطورها تلقى أحيانا ببعض الأصوات من بعض الكلمات استجابة لحاجة نطقية ترتبط بالبيئة وما يطرأ عليها من ظروف تدعوها إلى التخفيف . ومعنى هذا أن البيئة الحجازية قد طرأ عليها ما جعلها تخفف الهمزة فى نطقها ، وأن البيئة التميمية ظلت على تحقيقها لها ؛ إذ لم يطرأ عليها مثل ما طرأ على الأخرى من تطور يمس نطق هذا الصوت . وعلى ضوء من هذا سوف نرى أن الظواهر الهمزية التى وردت فى الشعر قد يكون بعضها لهجة ، أو أثرا باقيا من استعمال قديم ، أو تخفيفا من ثقل الهمزة ، وإن لم يوافق

(١) انظر : فى اللهجات العربية : ٧٥ - ٨٠ والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث - ٣٠ - ٣٥ .

(٢) شرح شافية ابن الحاجب ٢ / ٣١ ، ٣٢ .

(٣) انظر . فى اللهجات العربية . ٧٥ وما بعدها .

شروط النحاة ، ولذلك عدوا ذلك مما يضطر إليه الشاعر .

إن مظاهر استعمال الهمزة فى الشعر متعددة ، وسوف أقصر الحديث هنا على الاستعمالات التى رأى النحاة أنها لا تجرى على السنن المألوف الذين يعدونه مستوى صوابيا يفرضونه على كل الاستعمالات فى كل المستويات وينبغى بدءا أن أقرر مع بعض الدارسين أن الشعر " مستوى خاص من الكلام له طريقه ومضايقه فى استخدام الصيغ والتصرف فى رتبة الكلمات فى الجمل بل فى الإعراب أحيانا بما يحقق للشاعر أداء مشاعره ونقل تجربته الفنية التى تنفذ إليها موهبته بين مظاهر الحياة العادية ، كما يسيطر عليه النغم والإيقاع سيطرة تشبه الموسيقى التى تؤديها الآلات بلا كلمات ، حيثئذ تصبح اللغة التى يستخدمها وسيلة لتحقيق ما يحسه من جيشان النفس وعمق الشعور وتدفق النغم ، وليس من المستغرب - والأمر بهذه الصفة - أن يجئ استخدامه للغة بطريقة خاصة تتميز - ولا تمتاز - عن استخدامها فى النشر الذى يؤدي به أغلب صلات حياتنا الاجتماعية " (١)

إن استعمال الهمزة على غير ما يقرره النحاة ويجيزونه إلا فى الشعر يكون بإبدال الهمزة فى مواضع " بين بين " ، أو ردها فى المواضع التى يطرد فيها حذفها ، أو حذفها وهى أصل ، أو تخفيفها بالبدل وعدم حذف الذى هو بدل منها فى الجزم ، أو بدلها ، أو بدلها فى مواضع البدل وحذف المبدل للجزم ، أو استبدال الياء بها فى المواضع التى ينبغى أن تكون هى الموجودة فيها ، أو قلبها قلبا مكانيا فى الكلمة ، وأخيرا قطع همزة الوصل ، وسوف أتناولها مسألة بعد أخرى .

أولا : مسألة إبدال الهمزة فى مواضع " بين بين " . وينبغى لكى نقف على وجه اختصاص الشعر بهذا الاستعمال أن نعرف المواضع التى تكون فيها الهمزة إذا أريد تخفيفها " بين بين " وهى تتلخص فيما إذا كانت الهمزة مفتوحة وقبلها فتحة ، وكذلك إذا كانت مضمومة أو مكسورة ، كانت مع أى حركة قبلها " بين بين " فى حال التخفيف . وقياس مذهب الأخفش أن تقلب ياء خالصة إذا كانت مكسورة وقبلها فتحة أو ضمة (٢) . وكونها " بين بين " هو أن تكون بين الحرف الذى منه حركتها وبين

(١) المستوى اللغوى الفصحى واللهجات والنثر والشعر : ١١٦ . (عالم الكتب) .

(٢) انظر : ما يجوز للشاعر فى الضرورة ١٠٥ ، ١٠٦ وشرح الفصل ٩ ١٠٧ - ١١٨ وشرح الجمل لابن عصفور ١٢٩ (١)

والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث : ٩٩ .

الهمزة ^(١) . ومذهب البصريين أنها متحركة .
ومذهب الكوفيين أنها ساكنة ^(٢) . يقول
سيبويه : " والمخففة فيما ذكرنا بمنزلتها محققة
فى الزنة يدلك على ذلك قول الأعشى :
أَنْ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرَبُ بِهِ
رَيْبُ الْمَتُونِ وَذَهْرٌ مُتَبِلٌ خَبِلُ ^(٣)
وقد استدل ابن جنى بالوزن العروضى
لإثبات أن همزة " بين بين " متحركة ^(٤) . وقد
أثبت الدكتور عبد الصبور شاهين بعد أن قام
بتجارب معملية على جهاز (سبكتروجراف)
أن " بين بين " ليس فى الواقع سوى حركة ،
وأنه يعنى سقوط الهمزة أساسا ، واتصال
الحركتين قبلها وبعدها مباشرة . ^(٥)
ومهما يكن من أمر فإن النحاة اعتمدوا
هنا على الشعر فى تحديد همزة " بين بين " ،
وقالوا إنه إذا اضطر شاعر فى هذه المواضع لم
يجعلها " بين بين " ، بل يخلصها حركة طويلة
من جنس ما قبلها ليقيم وزن الشعر ، وينبغى

أن يلاحظ هنا أن كتب النحو والضرائر قد
اكتفت بتداول هذه الشواهد الآتية :
قول الفرزدق :
رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ الْبَغَالِ عَشِيَّةُ
فَارَعَى قَرَارَةً لَاهَنَّاكَ الْمَرْتَعِ ^(٦)
" يريد : لاهَنَّاكَ فأبدلت الهمزة ألفا لما احتاج
إلى التسكين ، والهمزة لا تسكن فى مثل هذا
الموضع ، وسهل ذلك كون الهمزة والألف من
مخرج واحد . ومثله قول الآخر :
إذا ملا بطنه ألبانها حلباً
باتت تغنيه وضرى ذات أجراسٍ
يريد : ملأ بطنه " ^(٧)
وقول حسان بن ثابت :
سَأَلْتُ هَذِيلُ رَسُولَ اللَّهِ فَاحِشَةً
صَلَّتْ هَذِيلُ بِمَا قَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ ^(٨)
وقول زيد بن عمرو بن نفيل :
سَأَلَتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَانِي
قُلْ مَالِي قَدْ جِئْتُمَانِي بُنْكَرٍ ^(٩)

(١) انظر سر صناعة الاعراب ١ / ٥٢ ومجالس العلماء ١٢٢ وما يجوز للشاعر فى الضرورة : ١٠٦ .

(٢) انظر المسألة ١٠٥ فى الانصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى ٧٢٦ - ٧٣١ .

(٣) الكتاب : ٢ / ٥٤٩ ، ٥٥٠ .

(٤) انظر : سر صناعة الاعراب : ١ / ٥٤ والخصائص ٢ / ١٤٤ .

(٥) انظر : القرارات القرآنية فى ضوء .

(٦) الكتاب : ٢ / ٥٥٤ والمقتضب : ١ / ١٦٧ والكامل ٢ / ١٠٠ وشرح السرافى ١ / ٢٢٤ وما يجوز للشاعر ١٠٥ والمفصل ٢٥٠ وشرح

المفصل لابن يعيش ٩ / ١١٢ وشرح الشافى للرضى ٢ / ٤٧ وشرح الجمل لابن عصفور ١٢٩ (١) وشرح شواهد الشافى ٢٢٥ .

(٧) ضرائر الشعر لابن عصفور : ٢٢٠ .

(٨) ديوان حسان بن ثابت ٢٧٢ وانظر المصادر فى الهامش قبل السابق . الكتاب ٢ / ٥٥٤ .

(٩) الكتاب ٢ / ١٥٥ و ٢ / ٥٥٥ .

وَيُكُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُخْ

وقول ابن ميادة :

بَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرٍّ

فَكَانَ يَوْمِيذٍ لَهَا حُكْمُهَا ^(٥)

يقول سيبويه : فهؤلاء ليس من لغتهم سَلْتُ

وقد جعل سيبويه والمبرد والأعلم الشتتمرى

وَلَا يَسَالُ . وبلغنا أن سَلْتُ تَسَالُ لَفْظَةً ^(١) :

من ضرورة الشعر قول عبد الرحمن بن حسان :

ولذلك يقول السيرافي عن بيتي حسان وزيد

وَكُنْتُ أَذِلُّ مَنْ وَتَدٍ بِقَاعٍ

ابن عمرو : إن هذا " ليس من تخفيف الهمز ،

يَشْجَعُ رَأْسَهُ بِالنَّهْرِ وَاجِي ^(٦)

وذلك أن من العرب من يقول : سَلْتُه أَسَالُهُ

يريد : الواجي .

وهما يتساووان فلا يهمز ، وإنما أتى به

ولكن ابن الحاجب والرضي يجعلان ذلك

الشاعر غير مهموز على هذه اللغة " ^(٢) ووجه

قياسا في الشعر وغيره ، لأن كلمة (واجي)

كونهما ضرورة عند سيبويه أن قائليهما ليسا

آخر البيت ، وهو موقوف عليه ، فكان آخر

من لغتهم سلت ولا تسال ، فقد كان الشاعر

الكلمة همزة ساكنة قبلها كسرة . ^(٧)

إذا قال شيئا ليس من لهجته الخاصة عد

ومهما يكن من أمر فإن سيبويه يجعل بدل

النحويون ذلك ضرورة منه .

الهمزة في الشعر في مثل هذه المواضع قياسا

ومن ذلك أيضا قول الشاعر :

خاصا بالشعر مما يؤذن بأنه كان يحاول وصف

ولا يَرْهَبُ ابْنُ الْعَمِّ مَا عَشْتُ صَوَّلَتِي

نظام الشعر وحده يقول " وقد يجوز في ذاك

وَلَا أُخْتَتِي مِنْ صَوْلَةِ الْمُتَهَدِّدِ ^(٣)

البذل حتى يكون قياسا متلثبا إذا اضطر

وقول الآخر :

الشاعر " ^(٨) .

يقولون جهلاً ليس للشيخ عَيْلٌ

وتابعه الرضي إذ يقول : " وإذا كان في

لَعَمْرِي لَقَدْ أُعِيلْتُ وَإِنِّي رَقُوبٌ ^(٤)

ضرورة الشعر كان قياسا " ^(٩) فهر - على ذلك -

(٢) شرح السرافى ١ / ٢٣٤ وما يحوز للشاعر / ١٠٥ وشرح الجمل ، لابن عصفور ١٣٩ .

(١) الكتاب ٢ / ٥٥٥ .

(٣) شرح الجمل لابن عصفور ١٣٩ . (٤) السابق نفسه .

(٥) الكتاب ٢ / ٥٥٥ والمقتضب ١ / ١٦٦ والكامل ٢ / ١٠٠ والمفصل ٢٥٠ وشرح المفصل لابن يعيش ٩ / ١١٤ .

(٧) الكتاب ٢ / ٥٥٤ .

(٦) انظر شرح الشافعية ٢ / ٥٠ .

(٩) شرح المفصل لابن يعيش ٩ / ١١٢ .

(٨) شرح الشافعية ٢ / ٤٧ .

خاص بالشعر فى رأيهما .

ولعل الصواب أن يكون ذلك مما يكثّر فى الشعر لا بما يختص به الشعر ، لأنه كان هناك " قوم من العرب يبدلون من هذه الهمزات التى تكون " بين بين " حروف لين فيبدلون من المفتوحة المفتوح ما قبلها ألفا فيقولون فى سأل : سال ، وفى قرأ : قرا ، وفى منسأة : منساة . ومن المضمومة المضمومة ما قبلها واوا ، ومن المكسورة المكسور ما قبلها ياء " وذلك - كما يقول ابن رشيق - " كثير جدا جائز فى المنشور والفصيح ^(١) " . وإذا كان جائزا فى المنشور والفصيح ، وكان بعض العرب يتكلم به ؛ فليس إذن خاصا بالشعر ، وليس من الضرورة فى شئ ، غير أنه فى الشعر كثير حتى قيل إنه قياس فيه . وإذا كانت همزة " بين بين " متحركة ، فإن إخلاصها حركة طويلة ليس إلا من باب إشباع الحركات .

ثانيا : مسألة ردّ الهمزة . وقد عدها أبو جعفر التميمي القزاز . من مسائل الضرورة فى الشعر إذ يقول : " وما يجوز له رد الهمزة فى

الموضع الذى جرى على السنة العرب مخففا " ^(٢) . وشواهد هذا النوع محدودة ، لأنها - فى نظرى - تمثل بقايا لأصول تاريخية تطورت ، ومن ذلك الفعل (رأى) " وذلك أن المستقبل من رأى جرى على ألسنتهم غير مهموز تخفيفا فيقولون : هو يرى ، فإذا احتاج الشاعر أجراه على أصله فى الهمزة ومنه قول الأول :

لعمرك إننى لأحبّ نجداً

وما أُرْ أى إلى نجدٍ سبيلا

يريد : وما أرى ، فهمز على أصل الهمز

فى الفعل . ومثله قول الآخر :

ألا تلك جارتنا بالفضاءِ

تقول : أترأيناه لئن يضيئعا

فهمز ترأينه على الأصل . وكذا قال الآخر :

أرى عينى ما لم ترّ أياه

كلانا عالم بالشرهات ^(٣)

والقزاز هنا متابع لابن جنى الذى يرى هذا

ضرورة ، ويقول عن البيت الأخير " وقد رواه

أبو الحسن : ما لم ترّياه على التخفيف الشائع

(١) العدة ٢ / ٢١٠ .

(٢) ما يجوز للشاعر فى الضرورة : ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) ما يجوز للشاعر : ٥٥ وانظر اللسان ١٩ / ١ وما بعدها (رأى) .

عنهم فى هذا الحرف " ويضيف " وقرأت على

أبى على فى نوادر أبى زيد :

أَلَمْ تَرَ مَا لَاقَيْتُ وَالْدَّهْرُ أَعْصَرُ

ومن يتملّ العيش يَرَأُ وَيَسْمَعُ

كذا قرأت عليه " تر " مخففا ، ورواه غيره "

" تَرَأُ مَا لَاقَيْتُ " وقرأت عليه أيضا فيه :

ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِهَا شَيْحَانُ مُبْتَجِحٌ

بِالْبَيْنِ عَنْكَ بِمَا يَرَاكَ شَتَانَا

بوزن يَرْعَاكَ . ووزن يَرَأُ يَرْعُ ، كما أن وزن

تَرَأْيَاهُ تَرْعِيَاهُ وهذا كله على التحقيق المرفوض

فى هذه الكلمة فى غالب الأمر وشائع

الاستعمال ^(١) .

وابن جنى يقصد بالتحقيق المرفوض همز

كلمة " يَرَأُ " ، وهو مرفوض فى الاستعمال

العام الشائع ، ولكنه مقبول فى الاستعمال

الخاص وهو الشعر .

ومن ذلك أيضا مضارع الفعل " أكرم " فان

مضارعه يُكْرِمُ بحذف الهمزة " ولا يجوز إثبات

هذه الهمزة على الأصل إلا فى ضرورة . . .

فمن الضرورة قوله :

فَإِنَّ أَهْلَ لَأَنْ يُؤَكْرَمَا " (٢)

ويبدو أن الفعل " رأى " كان استعمال

مضارعه " يَرَأُ " ثم خفف بفعل التطور ،

وكثرة الاستعمال إلى " يَرَى " ، وإن بقيت

بعض القبائل تنطق به على ماكان عليه قبل أن

يصيبه هذا التطور ، فقد حكى سيبويه عن

أبى الخطاب " أنه سمع من يقول : أَرَاهُمْ .

يجئ بالفعل من رأيت على الأصل من العرب

الموثوق بهم " ^(٣) وبين ابن جنى أن " أكثر

لغات العرب فيه تخفيف همزته ^(٤) " فلعل

هذه الأبيات وأمثالها قد جاءت من لهجة من

ينطق المضارع من (رأى) على أصله قبل

التخفيف ، أو أنها آثار باقية من الاستعمال

القديم ، وما يقال فى مضارع (رأى) يقال

فى (يؤكرم) وما جاء مثله .

ثالثا : مسألة حذف الهمزة التى تكون

أصلا . وقد عدها القزاز أيضا من الاستعمال

الخاص بالشعر ، ومثل لذلك بببيت واحد ،

وهو قول الشاعر :

وَيَلْمُهَا فِى هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةً

ولا كَهَذَا الَّذِى فِى الْأَرْضِ مَطْلُوبٌ ^(٥)

وعقب على ذلك قائلا " فحذف الهمزة من

(١) سر الصناعة ١ / ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، وانظر المحتسب ١ / ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) الأشعمونى ٤ / ٢٤٧ وقارن بما فى المقتضب ٢ / ٩٨ والانصاف ١١ .

(٤) المحتسب : ١ / ١٢٨ .

(٣) الكتاب : ٢ / ٥٤٦ .

(٥) ما يجرى للشاعر : ١٢٥ .

(أمها) قال أبو اسحاق : ما أعرف لهذا نظيرا في كلام العرب " (١) . ولم أجد غير القزاز - فيما قرأت - مَنْ يعد هذا من ضرورة الشعر . وقد ذكر سيبويه هذا البيت مرتين في كتابه ، ولم يشر إلى أن فيه ضرورة ما ، ويقول الأعلام عنه : " أراد : ويل أمهما فحذف الهمزة لثقلها ثم أتبع حركة اللام حركة الميم " (٢) فلم يجعله ضرورة ، بل عده من الحذف طلبا للتخفيف الذي يكون في النثر وفي الشعر معا ، ويبدو أن هذا كان تعبيرا مستعملا لديهم فقد ورد في الحديث الشريف في قوله - صلى الله عليه وسلم - " وَيَلْمُهُ مِسْعَرُ حَرْبٍ " (٣) ويقول عنه ابن مالك : إن الهمزة حذفت منه تخفيفا " لأنه كلام كثر استعماله ، وجرى مجرى المثل (٤) " وفيه توجيهات مختلفة .

ويمكن أن يعد من هذا النوع حذف همزة القطع ومعاملتها معاملة همزة الوصل ، ولا

يكاد أحد من النحويين يذكره ، ولعل ذلك لكثرة وشياعه حتى صار غير مختص بالشعر أو لموضوعه لظاهرة الهمز والتحقيق ، وتوزعها على القبائل . ولم أر - فيما رأيت - من يعده من الضرورة غير صاحب الجمل ، وابن عصفور في شرح الجمل (٥) وفي ضرائره (٦) ، والألوسی بوصفه ناقلا من سبقوه . يقول ابن عصفور : " وأما نقص الحرف فمنه : وصل ألف القطع ، نحو قول أبي الأسود :

يَا بَا الْمَغِيرَةِ رَبُّ أُمِّ مُغْضِلٍ

فَرَجَّتْهُ بِالْمَكْرِ مَنَى وَالْدَهَا

يريد : يَا بَا الْمَغِيرَةِ . وقول الآخر :

يَا لِرَجَالٍ لِحَادِثِ الْأَزْمَانِ

وَلِنِسْوَةٍ مِنْ آلِ أَبِي سَفْيَانَ

وقول حاتم الطائي :

أَبُوهُمْ أَبِي وَالْأُمّهَاتُ أُمّهَاتُنَا

فَأَنْعَمُ ، وَمَتَعْنَى بَقِيسٍ بْنِ جَعْدَرٍ

يريد : وَالْأُمّهَاتُ أُمّهَاتُنَا . وقول أبي زيد الطائي :

(١) السابق نفسه .

(٢) الكتاب : ٢ / ٢٩٤ و ٤ / ١٤٧ وقد اختلف نسبة هذا البيت في الكتاب ، ففي المرة الأولى نسب إلى امرئ القيس ، والبيت في ديوان امرئ القيس ٢٢٧ ، وفي المرة الثانية نسب إلى النعمان بن بشير الأنصاري . ومن الغريب أن الأعلام الشنتمري تابع هذه النسبة في الموضعين من كتاب سيبويه وقد يدل هذا على أن نسبة الشاهد في كتاب سيبويه - أو نسبة بعضها على الأقل - ليست من عمل سيبويه نفسه ، بل كانت من إضافة بعض الشراح أو الناسخين .

(٣) صحيح البخاري ٣ / ٢٥٧ بالهامش .

(٤) شواهد التوضيح ١٥٧ .

(٥) ضرائر الشعر لابن عصفور : ٩٨ .

(٦) انظر شرح الجمل لابن عصفور ورقة ١٣٩ وضرائر الشعر له ٩٨ وما بعدها .

وَأَيَقْنَ اكْتَدَرُ إِذْ صَارُوا ثَمَانِيَّةً

أَنْ قَدْ تَفَرَّدَ أَهْلُ الْبَيْتِ بِالثَّمَنِ

يريد : أَكْدَرُ عَلَى وَزْنِ أَحْمَرٍ ، وَهُوَ هَا هُنَا أَسْمُ

كَلْبٍ . وَقَوْلُ الْآخِرِ ، أَنْشَدَهُ أَبُو الْحَسَنِ :

تَضِبُّ لِيثَاتُ الْخَيْلِ فِي حِجْرَاتِهَا

وَتَسْمَعُ مِنْ تَحْتِ الْعِجَاجِ لَهَا أَزْمَلًا

يريد : لَهَا أَزْمَلًا ، وَالْأَزْمَلُ : الصَّوْتُ . وَقَوْلُ

الْآخِرِ :

قَلْتُ لَشَيْطَانِي وَشَيْطَانَاتِي

لَا تَقْرُبُونِي وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ

وَقَوْلُ الْآخِرِ :

حَتَّى يَقُولَ كُلُّ مَنْ رَأَاهُ إِذْ رَأَاهُ

يَا وَيْحَهُ مِنْ جَمَلٍ مَا أَشْقَاهُ

يريد : مَنْ رَأَاهُ إِذْ رَأَاهُ . وَأَنْشَدَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى :

هُوَ جُنْدِ إِبْلِيسِ الْمُرِيدِ

يريد : جُنْدِ إِبْلِيسِ

وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي الْفِعْلِ ، قَالَ الطَّرِمَاحُ :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَصْبِحُ

بِتَمٍّ وَمَا إِلَّا صَبَاحُ فَيْكَ بِأَرْوَحِ

يريد : أَلَا أَصْبِحُ . وَقَالَ الْآخِرُ :

مَا شَدَّ أَنْفُسَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ بِمَا

يَحْمِي الذَّمَّارَ بِهِ الْكَرِيمُ الْمُسْلِمُ

يريد : مَا أَشَدَّ أَنْفُسَهُمْ . وَأَنْشَدَ أَبُو عَلِيٍّ :

إِنْ لَمْ أَقَاتِلْ فَأَلْبِسُونِي بُرْقَعًا

وَفَتْخَاتٍ فِي الْيَدَيْنِ أَرْبَعًا

يريد : فَأَلْبِسُونِي ^(١) وَيَعْقُبُ ابْنُ عَصْفُورٍ

عَلَى الْأَمْثَلَةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي سَاقَهَا وَأَتَيْتُ هُنَا

بِمَعْظَمِهَا قَائِلًا : " وَهُوَ فِي الشَّعْرِ كَثِيرٌ " وَمَعَ

كَثْرَتِهِ يَعْنِي ضَرُورَةً ، وَمَنْ الْغَرِيبُ أَنَّهُ يَقُولُ

بَعْدَ ذَلِكَ مُبَاشَرَةً : " وَقَدْ جَاءَ مِنْهُ شَيْءٌ فِي

الْكَلَامِ ، حَكَى أَبُو زَيْدٍ " لَا بَ لَكَ " يَرِيدُونَ :

لَا أَبَ لَكَ . وَقَرَأَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : " فَمَنْ

تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا اِثْمَ عَلَيْهِ ^(٢) " بِحَذْفِ

هَمْزِهِ " اِثْمٌ " وَقَرَأَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ " وَأَتَيْتُمْ

أَحْدَاهُنَّ ^(٣) " وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي بَعْضِ

الرَّوَايَاتِ عَنْهُ " إِنَّهَا لَحَدَى الْكَبِيرِ ^(٤) " بِحَذْفِ

هَمْزَةٍ " إِحْدَى " وَحَكَى أَبُو عَلِيٍّ الدِّينُورِيُّ أَنَّ

الْعَرَبَ يَقُولُونَ : " مَخْيَرَكٌ " يَرِيدُونَ : مَا

أَخْيَرَكَ . وَحَكَى أَيْضًا عَنِ الْمَازِنِيِّ أَنَّ الْعَرَبَ

يَقُولُونَ : " مَا شَرَّ اللَّحْمِ لِلْمَرِيضِ " ، وَ" مَا خَيْرَ

(١) ضِرَائِرُ الشَّعْرِ لِابْنِ عَصْفُورٍ : ٩٨ - ١٠٠

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةُ : ٢٠٢ وَانْظُرْ : الْمُحْتَسِبُ ١ / ١٢٠ وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ٢ / ١٤ وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ لِابْنِ حَيَّانٍ ٢ / ١١١ .

(٣) سُورَةُ النِّسَاءِ ، آيَةُ : ٢٠ . وَانْظُرْ الْمُحْتَسِبُ ١ / ١٨٤ وَاتِّحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ ١٨٨ ، وَالْكَشَافُ لِلزَّمَخْشَرِيِّ ١ / ٢٥٩ وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٢ / ٢٠٦ .

(٤) سُورَةُ الْمَدَّثَرِ آيَةُ : ٢٥ . وَانْظُرِ الْفَصَائِحُ ٢ / ١٥٠ وَالْمُحْتَسِبُ ١ / ١٢٠ وَالْقُرَاطَاتُ السَّبْعُ لِابْنِ مَجَازٍ : ٦٥٩ .

اللبّن "

تريد : ما أَشَرُّ وما أَخْيَرُ . وحكى الكوفيون
أيضا عن العرب : " ما خَيْرَ اللبّن للصّحيح
وما شَرُّه للبطون ^(١) " . ولست أدري ما الذى
جعل ابن عصفور - وقد حكى هذا كله عن
العرب فى نثرهم ، وما ورد فى القراءات
القرآنية - ما الذى جعله يعد ما جاء فى
الشعر موافقا لهذا الاستعمال المألوف المأنوس
فى الكلام ^(٢) من ضرائر الشعر إلا إذا كان
يريد أنه كثير فى الشعر فاش فيه كما قال
من قبل ، وأن ورود هذه الظاهرة فى الشعر
تحقق فيه فائدة إقامة الوزن بحيث لا يصبح
التحقيق مؤديا للغرض نفسه .

رابعا : ذكر القزاز أن مما يجوز للشاعر " أن
يخفف الهمزة بالبدل إذا كانت ساكنة ، ثم لا
تحذف الحرف الذى هو بدل منها للجزم ^(٣) " .
ووجه جوازه فى الشعر هو عدم حذف حرف

العلّة الذى جئ به بدلا من الهمزة للجزم ، كما قال الشاعر :

عَجِبْتُ مِنْ لَيْلَاكَ وَأَنْتِيَابِهَا

مِنْ حَيْثُ زَارْتَنِي وَلَمْ أُورَا بِهَا ^(٤)
إِذْ قَلَبَ الهمزة من " أورا " ألفا لأنها ساكنة
بعد فتح " فلم يحذف الألف للجزم ، وأبقاها
على لفظها ^(٥) " ويقول الأعلام الشنتمرى : إنه
خفف الهمزة الساكنة من قوله أورا " لما احتاج
إليه من ردف القافية ، ولو حققها على ما
يجب لأنها طرف ، لم يجوز له من أجل الردف
المضمن فى القافية " ^(٦) ولعل الشاعر عامل
هذا الفعل فى صورته الجديدة بعد إبدال الهمزة
ألفا معاملة الفعل (يأتى) فى قول الشاعر :
أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي

بِمَا لَأَقْتُ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ ^(٧)
والفعل (تَرْضَى) فى قول الشاعر :
إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقِ

وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمَلِّقِ ^(٨)

(١) ضرائر الشعر لابن عصفور : ١٠ ، ١٠١ .

(٢) يقول سيدييه : " وأعلم أن كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تخفف حذفتها وألقت حركتها على الساكن الذى قبلها .
وذلك قولك : مَنْ بُوِكَ ، وَمَنْ مَكَّ ، وَكَمْ بَلَّكَ . إذا أردت أن تخفف الهمزة فى الأب والام والابل " الكتاب ٢ / ٥٤٥ .

(٣) ما يجوز للشاعر : ١٢٢

(٤) الكتاب ٢ / ٥٤٤ وما يجوز للشاعر : ١٢٢ .

(٥) ما يجوز للشاعر : ١٢٢

(٦) تحصيل عين الذهب (مع كتاب سيدييه طبعة بولاق) ٢ / ١٦٥ .

(٧) انظر الانصاف : ٢٠

(٨) انظر الانصاف : ٢٦

إِذْ لَمْ يَحْذَفْ حَرْفُ الْعِلَّةِ لِلجَزْمِ .

خامسا : مسألة إبدال الهمزة حرفا من حروف

اللين فى موضع البذل ، وحذف حرف اللين

للجزم ، ومن ذلك قول الشاعر :

جَرِيٌّ مَتَى يُظْلَمُ يَعَاقِبُ بِظُلْمِهِ

سَرِيعًا وَإِلَّا يُبَدِّلُ بِالظُّلْمِ يَظْلِمُ^(١)

ومن كلام ابن الأنبارى (المتوفى ٣٢٨)

ندرك أن هذا الاستعمال لهجة " يقال : بدأت

بالشئ بتحقيق الهمز ، وبدأت بالأمر على

تليين الهمز ، وبدئت على الانتقال من الهمز

إلى التشبيه بقضيت ورميت . فمن قال : بدأت

قال : لم أبدأ . ومن قال : بدأت ، قال لم

أبدأ . ومن قال : بدئت ، قال لم أبدأ^(٢) "

فالمسألة - على هذا - لا تعدو كونها راجعة

إلى اختلاف اللهجات بين القبائل من حيث

الهمز والتحقيق .

سادسا : وما يتعلق باستعمال الهمزة فى

الشعر نوع سماه القزاز^(٣) تصحيح حروف

الاعتلال قبل الألف التى تكون بدلا من

التنوين فى النصب ومن ذلك قول الشاعر :

إِذَا مَا الْمَرْءُ صَمَّ فَلَمْ يَتَّجَى

وَلَمْ يَكْ سَمْعُهُ إِلَّا نِدَايَا

وَلَا عَبَّ بِالْعَشَى بَنَى بَنِيهِ

كَفَعَلَ الْهَرَّ يَلْتَمِسُ الْعَطَايَا

يُلَاعِبُهُمْ وَوَدَّوْا لَوْ سَقَوْهُ

مِنَ الذِّيقَانِ مُتَرَعَّةٌ مِلَايَا

فَأَبْعَدُهُ إِلَّا لَهُ وَلَا يُوَيَّى

وَلَا يُشْفَى مِنَ الْمَرَضِ الشَّقَايَا^(٤)

فأبدل الهمزة من النداء والعطاء وملاء

والشفاء . وقد أجمعوا على أن هذا من أقبح

الضرورات " إذ كان لا أصل له فى كلامهم^(٥) .

وقد نقل السيرا فى عن المبرد أن هذا " من

أقبح الضرورات التى ينبغى ألا يجوز مثلها ،

ولا تصح فيه الرواية عن شاعر لقبحه " وحجة

المبرد فى هذا أن هذه أبيات لو أنشدت على

الصواب لم تنكسر ، فلا وجه لإجازتها^(٦) "

(١) شرح ديوان زهير لثعلب : ٢٤ وما يجوز للشاعر . ١٢٢ والهمع : ١ / ٥٢

(٢) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى ٢٧٩ .

(٣) ما يجوز للشاعر فى الضرورة ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٤) شرح السيرا فى ١ / ٢٣٤ وبراوايات مختلفة فى بعض الكلمات فى طبقات فحول الشعراء : ٢٤ والخصائص ١ / ٢٩٢ و ٢ / ٢٩٢ و

٢ / ٢٧٦ والمحتسب ١ / ٧٧ وما يجوز للشاعر ١٠٤ ، ١٠٥ وشرح الصغار الفقية للكتاب . ٢٠ وضرائر الشعر لابن عصفور ٢٣٠ .

(٥) ما يجوز للشاعر : ١٠٥ .

(٦) شرح السيرا فى ١ / ٢٢٥ .

وعقب السيرافى على ذلك بقوله " وقد ذكرها المازنى ولم يطعن فى روايتها " (١) . وقد أخذ السيرافى يذكر أوجه الاعتلال لإجازتها فقال " عندى فى جوازها وجه آخر وهو أنه لما أدخل ألف الإطلاق وقعت الهمزة بين ألفين ، والهمزة تشبه الألف ، فكأنه اجتمع ثلاث ألفات ، فاستثقل ذلك ، فقلب من الهمزة ياء كما فعلوا ذلك بخطايا ومطايا وقد كان : خطأ ومطاء قبل أن تقلب ياء .

ووجه آخر وهو أن الكسائى حكى أن بعض العرب يقلب من الهمزة ياء فى التثنية ، وبعضهم يقلب منها واوا ، وبعضهم يدعها همزة على حالها كقولهم فى تثنية رداء : رداءن وردايان ورداوان فشبه الشاعر ألف الإطلاق بألف التثنية " (٢) .

والوجه الثانى من الوجهين اللذين ذكرهما أبو سعيد السيرافى هو الذى أراه منطبقا على هذه الأبيات من غير أن يكون هناك تشبيه بالمثنى ، لأنه ليست هناك مشابهة تدعو إلى هذا القياس ، ولكن يبدو أن الشاعر من القبيلة التى تقلب الهمزة فى التثنية ياء . ولو

نظرنا إلى مثل هذه الصورة التى تقلب فيها الهمزة ياء لوجدنا أنها واقعة بين ألفين - ولعل هذه هى المشابهة التى عنها السيرافى - وليس يعقل أن يشقل نطق الهمزة بين ألفين فى التثنية فحسب عند هذه القبيلة .

والواقع أن مسألة التثنية هى التى لفتت نظر النحويين لأنها تتعلق بها حكم إعرابى وصرفى ، وقد أهملوا ما عداها من هذه الظاهرة ، فلما وجدوا نصا فيه هذه الظاهرة ننسها وليس من باب التثنية ؛ اختلفوا فيه فيما بينهم ، فبعضهم رفض الرواية من أصلها ، وبعضهم أجازها فى الشعر على قبح ، وبعضهم أخذ يلتبس لهذه الظاهرة وجهها من وجوه الإجازة التى تديرها فى فلك القياس النحوى . مع أن المسألة فى حقيقة أمرها لا تعدو كونها لهجة أهملها النحاة فيما أهملوا من لهجات . والدليل على أن هذه الأبيات ليست من الضرورة أنها لو أنشدت على الصواب لم تنكسر على حد تعبير المبرد . وليس بها ما يدعو إلى قلب الهمزة ياء فى قياس النحاة ،

(١) السابق نفسه .

(٢) شرح السيرافى ١ / ٢٣٥ .

ولم يبق إلا أن قائلها نطق بها مختاراً وفقاً
للهجته ولهجة قومه ، ولعل ذلك مادعا ابن
جنى إلى عدم الإشارة في كتبه إلى أنها من
الضرورة .^(١)

سابعاً : مسألة قلب الهمزة قلباً مكانياً في
الكلمة التي تكون بها ويقول عنها القزار " وما
يجوز له (الشاعر) قلب الهمزة في مثل نأى
وناء كما قال الشاعر :

سَتُنْثِي عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ

وإن شحطت ذاكُ وناءَ مزارها

فقال : ناء ، فقلب ، قدم الألف وآخر الهمزة^(٢) "

وقد ذكر سيبويه مثل هذا في كتابه ،

ومن ذلك قول كعب بن مالك :

لَقَدْ لَقِيتُ قَرِيطَةً مَاسَاها

وَحَلَّ بَدَارِهِمْ ذَلَّ ذَكِيلُ

وقول كثير عزة :

وَكُلَّ خَلِيلٍ رَأَيْتُ فَهُوَ قَائِلُ

مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْغِدِ^(٣)

وقال " وإنما أراد ساءها ورأى ولكنه قلب^(٤) "

ولم يشر سيبويه إلى أن الشاعر قلب مضطراً

على عادته إذا كان يرى أن استعمالاً

ما ضرورة ، وهذا يشعر بأن هذا استعمال آخر
للفعل مرادف له ، يقول ابن مالك : إن " راء
بمعنى رأى كقول الشاعر :

إِذَا رَأَيْتُ أَبْدَى بِشَاشَةٍ وَاصِلٍ

وَيَأْلَفُ شَتَانِي إِذَا كُنْتُ غَائِبًا

ومضارعة يراء^(٥) " وفي اللسان " راء لغة

في رأى . . . ويقال : راء في رآه " ^(٦) فهما -

إذن - صيغتان بمعنى واحد ، عد النحاة أقلهما

استعمالاً ضرورة بالنسبة للأخرى الأكثر

استعمالاً التي عدوها أصلاً .

وهناك أغماط أخرى من استعمال الهمزة في

الشعر أدرجها النحاة تحت أنواع " البدل "

كقول شमित بن زنباع :

لَأَدَّأها كَرَّها أَوْ أَصْبَحَ بَيْتُهُ

لَدَيْهِ مِنَ الْإِعْوَالِ ثَوْجٌ مُسَلَّبُ^(٧)

" فهمز الألف في أدأها لأنه لو تركها ساكنة

لم يستقم البيت^(٨) " كما يقول السيرافي ،

ومثل ذلك قول الشاعر :

فإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى الْيَوْمِ جَائِيُ

إِلَيْكَ وَلَا مَا يُحْدِثُ اللَّهُ فِي عَدِ^(٩)

وما أنشده ابن الأعرابي لابن كثوة :

(١) انظر : الخصائص ١ / ٢٩٢ ، ٢ / ٢٧٦ وسر الصناعة ١ / ١٨٢ والمحاسب ١ / ٧٧ .

(٢) ما يجوز للشاعر : ١٢٧ .

(٣) انظر : الكتاب ٢ / ٤٦٧ .

(٤) الكتاب : ٢ / ٤٦٧ .

(٥) شواهد التوضيح : ١٨ .

(٦) اللسان : ١٩ / ١٦ (رأى)

(٧) شرح السيرافي ١ / ٢٢٢ وشرح الصغار القتيه ٢٠ / ١

(٨) شرح السيرافي ١ / ٢٣٣ .

(٩) الخصائص ٢ / ٦ ، ٢ / ١٤٢ .

وَلَى نَعَامُ بَنَى صَفْوَانُ زَوْزَأَةً

لَمَّا رَأَى أَسَدًا فِي الْغَابِ قَدُوْتَبَا (١)

وقول الآخر :

قَدْ كَانَ يَذْهَبُ بِالدُّنْيَا وَلَذَتْهَا

مَوَالِي كَكَبَاشِ الْعَوْسِ سَجَاحُ (٢)

وقول الآخر :

خَاطَمَهَا زَأْمُهَا أَنْ تَذْهَبَا (٣)

وغير ذلك من النماذج المختلفة للهمز في غير مواضع الهمز ، وقد وردت - كذلك - قراءات قرآنية فيها همز في غير مواضعه كقراءة ابن كثير :

(وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقِيهَا (٤)) وقراءة عمرو بن عبيد (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) (٥) . وقد جعل ابن جنى هذه النماذج وأمثالها من شواذ الهمز ، وعقد لذلك بابا خاصا في خصائصه . وورود مثل هذا في القراءات يقطع بأنه يمثل لهجات مختلفة . يقول السيرافي " وربما تكلم بعض العرب بمثل هذا فرارا من

التقاء الساكنين كنحو دأبة وضأل ، لأن الألف ساكنة ، والحرف الأول من الحرف المشدد ساكن فيكرهون الجمع بين ساكنين (٦) " ويروى عن أبي زيد أنه صلى خلف عمرو بن عبيد فقرا : (وَلَا الضَّالِّينَ) (٧) " ومع ذلك يعد قول الراجز :

خَاطَمَهَا زَأْمُهَا أَنْ تَذْهَبَا

من ضرورة الشعر .

والواضح بعد هذا أن مسألة الهمز وعدمه ترجع في أساسها إلى اختلاف اللهجات ، ولكن النحويين فرضوا لهجة على أخرى ، فعدت استعمالات اللهجة المرفوضة ضرورة أو شذوذا ، وبهذا يكون ما ذكره ابن السكيت عن الهمز وعدمه (٨) في كلمات يهمزها بعض العرب ، ولا يهمزها بعضهم الآخر ليس إلا جمعا لصور مختلفة في الاستعمال خففها بعض العرب مجازاة للتحضر ، وحققتها بعضهم وفقا لمتطلبات البيئة الخشنة أو غير ذلك من

(١) السابق ٢ / ١٤٥ .

(٢) شرح السيرافي ١ / ٢٢٣ وشرح الصغار ١٢٠ .

(٣) شرح السيرافي ١ / ٢٢٣ والخصائص ٢ / ١٤٩ وشرح الصغار ١٢٠ .

(٤) سورة النمل الآية ٤٤ وانظر الخصائص ٢ / ١٤٥ والسبعة في القراءات ٤٨٢ والكشاف ٢ / ١٥٠ والبحر المحيط ٧ / ٧٩ .

(٥) سورة الرحمن ، الآية ٣٩ . وانظر الخصائص ٢ / ١١٤٨ والمحتسب ٢ / ٣٠٥ وتفسير القرطبي ١٧ / ١٨١ والبحر المحيط ٨ / ١٩٥ واملأه مامن به الرحمن للعكبري ٢ / ١٢٥ . وإتحاف فضلاء البشر : ٤٠٥ .

(٦) شرح السيرافي ١ / ٢٢٣ وانظر شرح الشافية ٢ / ٢٤٨ .

(٧) سورة الفاتحة الآية ٧ وهي قراءة أيوب السخيتاني . انظر الكشاف ١ / ١٢ والمحتسب لابن جنى ١ / ٤٦ وتفسير القرطبي ١ / ١٥١ والبحر المحيط ١ / ٢٠ .

(٨) انظر اصلاح المنطق لابن السكيت ١٥٧ - ١٦١ .

الظروف المحيطة التي تدعو إلى ما يناسبها ،
ويكون تفسير ابن جني صحيحا كل الصحة
حينما قال عن ذلك : " فهذه كلها لغات ،
وليس بعضها بدلا من بعض ^(١) " وهذا
التفسير نفسه يمكن أن يقال عما عده غيره
ضرورة فيما يتعلق بالهمز وعدمه .

ثامنا : مسألة قطع همزة الوصل . لقد عد
النحاة قطع همزة الوصل من أقرب الضرورة ،
وخاصة إذا كان في أول النصف الثاني من
البيت ^(٢) ، لأن أنصاف الأبيات مواضع فصول
فإنما ابتدأوها بعد قطع ^(٣) ، أو كأنه موضع
سكت فيه ، أو في موضع يتوهم هذا فيه ^(٤) ،
وذلك بعذر من انقطاع النفس وشبهة ^(٥) ،
وذلك كقول حسان بن ثابت :

لتسمعن وشيكا في دياركمو

ألله أكبر يا ثارات عثمان ^(٦)

وقول الآخر :

ولا يبادر في الشتاء وليدنا

ألقدر ينزلها بغير جعال ^(٧)

وقول لبيد :

أو مذهب جدد على الواحد

الناطق المزبور والمختوم ^(٨)

وقول أنس بن العباس :

لا نسب اليوم ولا خلّة

إتسع الخرق على الراقع ^(٩)

وأما إثباتها في الحشو فقد قال عنه ابن
الحاجب " وإثباتها وصلا لحن ، وشذني
الضرورة ^(١٠) " وهو يقصد بالشاذ في
الضرورة ما يكون في الحشو لا في أول
النصف الثاني من البيت على عكس ما فسره
الرضي بأنه قطعها في أوائل الأبيات ، لأن
النحاة يعدون ذلك من أقرب الضرورة كما

(١) سر الصناعة ١ / ٢٤٤ .

(٢) تحصيل عين الذهب ٢ / ٢٧٤ (مطبوع مع كتاب سيبويه بأسفل الصفحات) .

(٣) الكتاب ٤ / ١٥٠ .

(٤) ما يجوز للشاعر : ٥٥ .

(٥) شرح الشافية ٢ / ٢٦٦ .

(٦) شرح السيرافي ١ / ٢١٢ . وانظر الديوان ٢١٦ والرواية فيه لتسمعن وشيكا في ديارهم .

(٧) الكتاب ٤ / ١٥٠ وشرح السيرافي ١ / ٢١٢ .

(٨) الكتاب : ٤ / ١٥١ .

(٩) الكتاب : ٢ / ٢٨٥ وشرح السيرافي ١ / ٢١٢ والجمع ٢ / ٢١١ .

(١٠) شرح الشافية ٢ / ٢٦٥ .

سلفت الإشارة . ومن نماذج قطعها في وسط البيت قول قيس بين الخطيم :

إذا جاوز الإثنين سر فإنه

بِتَشْرِ وإفشاء الحديث قمين^(١)
ومهما يكن من أمر قطع همزة الوصل ، فإنه ليلاحظ أن قطعها في الأبيات السابقة يُحَس له معنى لا يُدرك مع وصلها ، إذا إن قطعها يوحى بابتداء جملة جديدة ويرشد القارئ إلى أن يقف على آخر الشطر الأول ، لأن نغمة إنشاد الشطر الثاني يجب أن تختلف في هذه الأبيات عن نغمة إنشاد الشطر الأول ، فيكون بذلك أكثر إيعاء ، كما أن قطع الهمزة في البيت الأخير يشعر بنوع من التأكيد . ولعل هذا يدل على أن الشعراء حينما يرتكبون بعض ما يعده النحاة ضرورة إنما يُريغون إلى معان خفية في نفوسهم لا يمكن تلمسها في ظل القواعد التي تسوى بين الشعر والنثر ولهذا يجب أن يدرس الشعر من حيث قواعده دراسة خاصة به .

تاسعا : مسألة قصر الممدود ومد القصور .
يمكننا أن نعد قصر الممدود ومد المقصور مما يتعلق بالهمز وعدمه ، إذ يتميز هذا من ذاك

بوجود الهمزة في آخر الاسم أو عدمها ولكن ذلك على مستوى لغة الشعر الخاصة وإن كان موقوف. النحاة من هذه المسألة يكشف عن تحكم واضح إذ يحتكمون في ذلك إلى القياس لا إلى اللغة واستعمالها ، وبخاصة نحاة البصرة والفراء ، والكسائي في مسألة قصر الممدود .

أما قصر الممدود فقد أجمع النحاة على جوازه في الشعر ، لأن الشاعر بذلك يرد الكلمة إلى أصلها ، ولم يخالف في ذلك أحد منهم إلا الكسائي الذي يجعل ذلك خاصا بحالة النصب فحسب^(٢) ، والفراء الذي لا يجوز أن يقصر من الممدود مالا يجوز أن يجئ في باب مقصورا نحو حمراء وصفراء^(٣) ويقول السيرافي والحجة في جواز قصر كل ممدود على خلاف ما قال الفراء الأبيات التي أنشدناها ، وذلك أن قول الأعشى :

والقارحُ العَدَا وكلَّ طِمِرَةٍ

لا يجوز أن يجئ في باب مقصور ، وذلك أنه فعَّال لتكثير الفعل ، كقولك قتال وضرب ، ولا يجئ في هذا فعَّا فيكون مقصورا من المعتل^(٤) . ويقول ابن الأنباري :

(١) شرح السيرافي ١ / ٢١٣ والهمع .

(٢) انظر الهمع : ١٥٦ / ٢ .

(٣) شرح السيرافي ١ / ٢٢٠ وانظر الانصاف المسألة ١٠٩ .

(٤) شرح السيرافي ١ / ٢٢١ وانظر الانصاف ٧٥٢ .

إن ما ذهب إليه الفراء باطل ^(١) ، كما أن

الفراء نفسه أنشد هذا البيت في معاني

القرآن وهو قول الشاعر :

قَلَوْ أَنْ الْأَطِبَّاءَ كَانُوا حَوْلِي

وَكَانَ مَعَ الْأَطِبَّاءِ الْأَسَاءَةُ ^(٢)

ولم يعترض على قصر كلمة الأطباء مع أنه لا
يجئ في بابه مقصور .

وأما مد المقصور في الشعر فإن النحويين
إزاءه على ثلاثة آراء : ^(٣)

أولها : رأى الأخفش والكوفيون وهو إجازته
مطلقا مستدلين على ذلك بقول الشاعر :

سَيُغْنِيَنِي الَّذِي أَغْنَاكَ عَنِّي

فَلَا فَقْرٌ يَدُومُ وَلَا غِنَاءُ

وقد وافقهم على ذلك ابن ولاد وابن خروف ^(٤)

والشاطبي ^(٥) وابن هشام ^(٦) والأشموني ^(٧) ،

والسيوطي ^(٨) . ولم يبين القزار رأيه واكتفى

بذكر أنه مما يجوز للشاعر عند الكوفيين ^(٩) ،

وكذلك فعل الألويسي إذا اكتفى

بالنقل عن الأشموني ^(١٠)

ثانيها : رأى البصريين ، وهو المنع مطلقا ،

لأنهم يرون أن مد المقصور ليس براء له إلى

أصل فضلا عن أنه تشبيل ^(١١) ، ولذلك قالوا

عن شواهد الكوفيين " هذه أبيات غير معروفة

ولا يعرف قائلها ، وغير جائز الاحتجاج بمثلها ،

ولو كانت صحيحة لم يعوزنا تأولها على غير

الوجه الذي تأولوه عليه ^(١٢) " ويكفي أن نذكر

عبارة ابن هشام عن تأول البصريين لهذه

الشواهد ، وهي قوله عنها " وهو تعسف " ^(١٣) .

ثالثها : رأى الفراء وهو شبيه برأيه في

قصر المحدود ، إذ لا يجوز أن يمد من المقصور

ما لا يجئ في بابه محدود نحو فعلى تأنيث

فعلان مثال سكرى وعطشى . فهذا لا يجوز أن

يمد لأن مذكره سكران وعطشان ، وفعلى تأنيث

فعلان لا تجئ إلا مقصورة وكذلك حكم كل ما

يقتضى القياس أن يكون مقصورا .

إن دراسة هذه المسألة ينبغي أن تكون

(١) انظر الانصاف : ٧٥٢ .

(٢) انظر معاني القرآن ١ / ٩١ وشرح السرافي ١ / ٢٢١ .

(٣) انظر المسألة ١٠٩ من الانصاف ٧٤٥ - ٧٥٤ وحاشية الصبان على الأشموني ٤ / ١١١ .

(٤) انظر ارتشاف الضرب ٢ / ٢٧٦ والأشموني ٤ / ١١١ .

(٥) انظر حاشية الصبان على الأشموني ٤ / ١١١ .

(٦) انظر شرح الأشموني ٤ / ١١٠ .

(٧) انظر أوضح المسالك ٢ / ٢٨٨ والهمع ٢ / ١٥٦ .

(٨) انظر ما يجوز للشاعر : ٤٦ .

(٩) انظر والهمع ٢ / ١٥٦ .

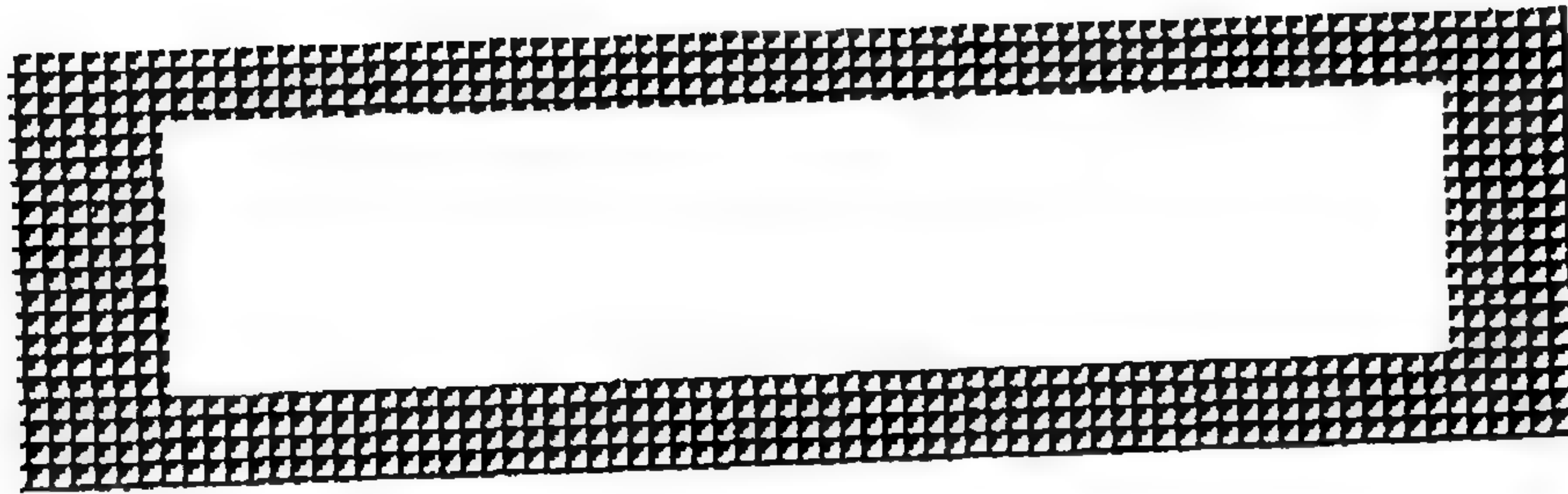
(١٠) انظر الضرائر وما يسرغ للشاعر دون النائر للألويسي ١٨٢ .

(١١) شرح السيرافي ١ / ٢٢٢ وانظر الانصاف في المسألة ١٠٩ . (١٢) أوضح المسالك ٢ / ٢٨٨ .

(١٣) انظر الانصاف المسألة ١٠٩ ومناقشة ابن الأنباري لهذه الآراء المختلفة .

بالرجوع إلى الشعر نفسه .
ولا يجوز في الدراسة تحكيم قاعدة سابقة على
المادة اللغوية المدروسة . وقد جاء كل هذا في
الشعر ، فهو إذن من لغته الخاصة التي يجب
أن تدرس معزولة عن المؤثرات الخارجة عنها ،
ولذلك يقول ابن جني " وأما مد المقصور وقصر
الممدود والإشباع والتحريف فلا تعتد أصولا
ولا تثبت بها مُثل موافقة ولا مخالفة (١) " .
ويعنى بذلك ألا تفرض على لغة النثر .
ونحن ندعو إلى أن يطبق عكس ذلك أيضا
أي لا تفرض قواعد لغة النثر على الشعر .
وأما ما جاء له نظير في الاستعمال النثري في
القراءات القرآنية وغيرها فلا يصح بحال أن
نقول عنه إنه من ضرورة الشعر .

محمد حماسه عبد اللطيف



مراجع البحث

- ١ - إتحاف فضلاء البشر للشيخ أحمد بن محمد الدمياطى . صححه محمد الضباع (مطبعة المشهد الحسينى) .
- ٢ - ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبن حيان الأندلسى (تحقيق وتعليق الدكتور مصطفى أحمد النماس) .
- ٣ - إصلاح المنطق لابن السكيت . شرح وتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون (دار المعارف - الطبعة الثالثة - دون تاريخ) .
- ٤ - الإنصاف فى مسائل الخلاف لأبى البركات عبد الرحمن بن الأنبارى بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (الطبعة الرابعة ١٩٦١ - المكتبة التجارية بالقاهرة) .
- ٥ - أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك لأبى محمد عبد الله جمال الدين بن هشام (نشر تحت اسم منار السالك الى أوضح المسالك) محمد عبد العزيز النجار (الطبعة الثانية . مطبعة الفجالة الجديدة . دون تاريخ) .
- ٦ - البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى (القاهرة - مطبعة السعادة ١٣٢٨ هـ)
- ٧ - تحصل عين الذهب للأعلم الشنتمرى (مطبوع بذييل كتاب سيبويه - طبعة بولاق ١٢١٧ هـ)
- ٨ - التنبيهات على أغاليط الرواة لأبى القاسم على بن حمزة البصرى . تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى (دار المعارف - ذخائر العرب ٤١) .
- ٩ - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى (طبعة دار الشعب) .
- ١٠ - حاشية الصبان على شرح الأشمونى للشيخ محمد على الصبان (دار إحياء الكتب العربية - دون تاريخ)
- ١١ - الخصائص صنعة أبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق محمد على النجار (دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م الطبعة الثانية) .

- ١٢ - ديوان حسان بن ثابت ، (تحقيق د . سيد حنفى حسنين - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤) .
- ١٣ - سر صناعة الإعراب ، صنعة الشيخ أبى الفتح عثمان بن جنى (تحقيق مصطفى السقا وآخرين - الطبعة الأولى - الحلبي ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م) .
- ١٤ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، للشيخ نور الدين أبى الحسن على بن محمد الأشموني (دار إحياء الكتب العربية دون تاريخ مع حاشية الصبان) .
- ١٥ - شرح الجمل لابن عصفور (مخطوط بدار الكتب المصرية ٣٣٢ نحو تيمور) .
- ١٦ - شرح ديوان زهير لثعلب (نشر دار الكتب المصرية) .
- ١٧ - شرح السيرافى لكتاب سيبويه (مخطوط بدار الكتب المصرية ١٣٧ نحو) .
- ١٨ - شرح شافية ابن الحاجب لرضى الدين الاسترأباذى (تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة حجازى - القاهرة دون تاريخ) .
- ١٩ - شرح شواهد الشافية لعبد القادر بن عمر البغدادى (مطبعة حجازى بالقاهرة - مطبوع مع شرح شافية ابن الحاجب) .
- ٢٠ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبى القاسم محمد بن القاسم الأنبارى (تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف بمصر) .
- ٢١ - شرح كتاب سيبويه للصفار الفقيه (مخطوط بدار الكتب المصرية ٩٠٠ نحو) .
- ٢٢ - شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن على بن يعيش (إدارة الطباعة المنيرية) .
- ٢٣ - شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - مكتبة دار العروبة دون تاريخ) .
- ٢٤ - صحيح البخارى لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (كتاب الشعب) .
- ٢٥ - ضرائر الشعر لابن عصفور الإشبيلي . تحقيق السيد ابراهيم محمد (دار الأندلس ١٩٨٠) .
- ٢٦ - الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر للسيد محمود شكرى الألوسى (المطبعة

السلفية بمصر ١٣٤١ هـ)

٢٧ - الضرورة الشعرية فى النحو العربى . د . محمد حماسة عبد اللطيف (مكتبة دار العلوم
١٩٧٩ م)

٢٨ - العمدة فى صناعة الشعر ونقده لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى (الطبعة الأولى
١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م - القاهرة) .

٢٩ - فى اللهجات العربية د . ابراهيم أنيس (الطبعة الثالثة ١٩٦٥ الانجلو المصرية) .

٣٠ - القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث د . عبد الصبور شاهين (دار الكاتب العربى
١٩٦٦ القاهرة) .

٣١ - الكامل لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد
شحاتة (دار نهضة مصر - دون تاريخ) .

٣٢ - الكتاب لسيويه - تحقيق عبد السلام هارون (دار القلم - ١٩٦٦ م)

٣٣ - كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد - تحقيق الدكتور شوقى ضيف (دار المعارف
بمصر) .

٣٤ - الكشف عن خصائص غوامض التنزيل لجار الله محمود بن عمر الزمخشري

(القاهرة ١٣٥٤ هـ)

٣٥ - لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى (بولاق) .

٣٦ - ما يجوز للشاعر فى الضرورة لأبى جعفر التميمى القزاز (مخطوط بدار الكتب المصرية
١٨٣٠ أدب) - وقد طبع محققا مرتين الأولى بتحقيق المنجى الكعبى (الدار التونسية
١٩٧١ م) والأخرى بتحقيق د . محمد زغلول سلام و د . محمد مصطفى هدارة (منشأة
المعارف بالاسكندرية) .

٣٧ - المحتسب فى تبیین شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى - تحقيق
الأستاذ على النجدى ناصف والدكتور عبد الفتاح شلبى (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
١٩٦٩ م) .

- ٣٨ - مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب - تحقيق عبد السلام هارون (دار المعارف - بمصر) .
- ٣٩ - مجالس العلماء لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى - تحقيق عبد السلام هارون (الكويت ١٩٧٢ م)
- ٤٠ - المستوى اللغوى للفصحى واللهجات وللنثر والشعر د . محمد عيد (عالم الكتب - القاهرة . ١٩٨١ م) .
- ٤١ - معانى القرآن للفراء - تحقيق محمد على النجار (دار الكتب) .
- ٤٢ - المفصل فى علم العربية لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري (الطبعة الأولى ١٣٢٣ هـ مطبعة التقدم بمصر) .
- ٤٣ - المقتضب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد - تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة (المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٨ هـ) .
- ٤٤ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى (الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـ مطبعة السعادة بمصر) .

المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد

للككتور عبد العزيز مطر

معالـم البحث

- مقدمة
- تمهيد : تحليل لغوى لعنوان البحث .
- أدلة المحافظة فى المعجم الوسيط
- حدود المحافظة ، وملامح التجديد
- خاتمة : نتائج ومقترحات .
- المعاجم الحديثة - قبل الوسيط - واتجاهاتها
- ثبت المراجع .

هذا بحث معجمي مجسمي ، كنت هممت أن أجريه منذ أن أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة الأولى من (المعجم الوسيط) عام ١٩٦٠ . وظل فكرة تراودني حتى صدرت الطبعة الثانية منه عام ١٩٧٢ . ثم الثالثة في عام ١٩٨٥ حتى عاد أخيرا إلى دائرة الضوء ، مستثاراً بأسئلة تنتظر الإجابة ، هي :

* لقد صدر (المعجم الوسيط) في النصف الثاني من القرن العشرين ، بعد تفكير وبحث وتخطيط وإعداد لمدة ربع قرن ، من قبل هيئة لغوية مجتمعية تنتظم المحافظين والمجددين .. فهل وجد مكانا خاليا استقر فيه بين معاجم العربية القديمة والحديثة ؟ وفي أي موضع استقر بين المعاجم القديمة المحافظة كالصحيح واللسان والقاموس المحيط ، أو أساس البلاغة ومختار الصحاح ؟ أو بين المعاجم الحديثة المحافظة المجددة ، كمحيط المحيط ، وقطر المحيط ، وأقرب الموارد ، والبستان ، وفاكهة البستان ، أو المنجد ومنجد الآداب والعلوم ؟ أو أن المعجم الوسيط يقع في موقع متميز ، لأنه صدر عن

هيئة لغوية علمية متكاملة ؟

* جاء في مقدمة (الوسيط) على لسان الدكتور إبراهيم مذكور أن المعجم : " يمتد إلى الماضي بصلة وثيقة ، ويعبر عن الحاضر أصدق تعبير " .

وتشير هذه العبارة سؤالين : إلى أي حد تمتد صلته بالمعاجم القديمة ، وبعبارة أخرى : إلى أي حد يعد معجما محافظا ؟

وإلى أي حد يعبر عن الحاضر ، أو بعبارة أخرى : إلى أي حد يعد معجما مجددا ؟

* بعد صدور الطبعة الأولى من (المعجم الوسيط) صدر معجم (المرجع)^(١) للشيخ عبيد الله العسلايلي ، و (الرائد)^(٢) لبحران مسعود ، و (لاروس - المعجم العربي الحديث)^(٣) للدكتور خليل الجرجي . وبعد صدور الطبعة الثانية صدر (القاموس الجديد)^(٤) لعلي بن هادية والجيلاني بن الحاج يحيى وبلحسن البليش .

أثيرت في مستهل بحثي أسئلة أخرى هي : ما مدى التجديد في هذه المعاجم اللاحقة ؟ وهل يعتبر ما تضمنته من تجديد ، في المادة أو الترتيب ، تطورا يضعها في مرتبة أكثر تقدما بالنسبة للوسيط ؟ وإلى أي حد اختلفت عن (المعجم الوسيط) ، مع تأثرها بقرارات مجمع

(١) بيروت : ١٩٦١ (٢) بيروت : ١٩٦٥

(٢) باريس : ١٩٧٨ (٤) تونس : ١٩٧٩

اللغة العربية ؟

وفى سبيل الإجابة عن هذه الأسئلة ، كان موضوع هذا البحث الذى اخترت عنوانا له :

" المعجم الوسيط : بين المحافظة والتجديد "
 واقتضى منهج البحث ، وأسلوب معالجته ، أن يكون تخطيط هذا البحث على النحو الموضح فى الصفحة الأولى منه تحت عنوان " معالم البحث " .

تخطيط

(تحليل عنوان البحث : المعجم الوسيط .
المحافظة .. التجديد)

أ - المعجم الوسيط :

معجم لغوى معاصر ، أعدته وحررته لجنة من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وخبرائه المعجميين ، سالكة منهجا رسمه مجلس المجمع ومؤتمره ، ومنفذة ما اتخذه من قرارات ، ومعتدة بما ونصها من مصطلحات ، وراجعت الطبعة الأولى منه وأعدت طبعته الثانية لجنة أخرى ، وراجعت طبعته الثانية وأعدت طبعته الثالثة لجنة ثالثة .

وقصد المجمع أن يحقق المعجم الوسيط

غرضين : " أحدهما أن يرجع إليه القارىء المثقف ليسعفه بما يسد الحاجة إلى تحرير الدلالة للفظ شائع أو مصطلح متعارف عليه .

والغرض الآخر : أن يرجع إليه الباحث والدارس لإسعافهما بما تمس الحاجة إليه ، من فهم نص قديم من المنشور أو المنظوم " (١) .

يقع فى جزأين كبيرين ، عدد صفحاته ، فى الطبعة الثالثة : ١١١١ ، وفى كل صفحة ثلاثة أعمدة ، وبه نحو ثلاثين ألف مادة ، وستمائة صورة .

لماذا سمى " الوسيط " ؟

لا أرى داعيا لأن ألتبس من المعاجم معنى لكلمة (الوسيط) كأن أقول مع صاحب (الصحاح) : " فلان وسيط فى قومه ، إذا كان أوسطهم وأرفعهم محلا " (٢) " بل المراد أنه وسط بين معجم " كبير " ينهض به المجمع ، ومعجم " وجيز " أخرجه بعد الوسيط .. كما يدل على ذلك قول الدكتور إبراهيم مذكور فى مقدمة الطبعة الأولى :

" لم يقف نشاط المجمع عند المعاجم الكبرى ، بل امتد إلى الوسطى " (٣) وقوله فى مقدمة

(١) مقدمة الطبعة الثانية من المعجم الوسيط ، ص ٧ .

(٢) الصحاح ، مادة (وسط) .

(٣) الوسيط ، مقدمة الطبعة الأولى .

الطبعة الثانية : " والواقع أن الحديث عن معجم كبير ومعجم وسيط يلفت النظر فوراً إلى معجم صغير " (١) يعنى بهذا المعجم الصغير : المعجم الوجيز ، كما جاء فى تصدير الطبعة الثالثة من الوسيط .

ب - المحافظة :

هى مصدر حافظ على الشئء محافظة ، وحِفاظاً : رعاه وذَبَّ عنه . وواظب عليه . ويقال : هو يحافظ عن المحارم ، وهو ذو محافظة وحِفاظ : له أنفة (٢) .

وقدم مجمع اللغة العربية تعريفاً للمحافظة أثبتته (المعجم الوسيط) ، وهو : « التمسك بالتقاليد الاجتماعية والسياسية » (٣) .

وهذا المعنى غير بعيد عن المعنى اللغوى وهو المواظبة ، والذبُّ عن المحارم ، كما فى الصحاح والقاموس المحيط .

والمحافظة التى نريدها فى عنوان هذا البحث هى : التمسك بالتقاليد اللغوية والمعجمية

الموروثة ، والمواظبة عليها .

ج - التجديد :

مصدر جدَّدَ الشئء : صيره جديداً . قال الجوهري : " تجدد الشئء : صار جديداً ، وأجدَّه واستجدَّه ، وجدَّده ، أى صيره جديداً " (٤) .

ومن مصطلحات الفلسفة : التجديد : " نزعة تأخذ بأساليب جديدة فى نواحى الحياة الفكرية والعملية " (٥) .

وقد استخدم الأستاذ عباس العقاد اصطلاحاً (المحافظة والتجديد) بالمعنى الذى نريده فى قوله مقدماً كتاب (الإفصاح فى فقه اللغة) : " سيرحب به المحافظون ، لأنه تراث قديم يُضنُّ عليه بأن يهجر فى زوايا النسيان . وسيرحب به المجددون ، لأنه يختصر لهم طريق التنقيب عن المفردات " (٦) .

(١) نفس : مقدمة الطبعة الثانية .

(٢) نفس : (ط ٣) : ١ / ١٩١ .

(٣) نفس : ١ / ١٩٢ .

(٤) الصحاح : جدد .

(٥) الصحاح فى اللغة والعلم : ١٣٦ .

(٦) حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدى : الإفصاح فى فقه اللغة .

حدود المحافظة وملاحج التجديد

ماذا نريد بقولنا : إن هذا اللغوى محافظ ،
وإن هذا معجم محافظ ؟

بعد تحديد مفهوم المحافظة فى الفقرة السابقة ،
نستطيع القول بأن اللغوى المحافظ هو من
يتمسك بالمبادئ التالية :

١ - المحافظة على الثروة اللغوية الأصيلة ،
المسموعة من قبائل عربية محددة^(١) ، أو التى
قاسها اللغويون القدماء على ما سمع .

٢ - تحديد من يستشهد بكلامهم من الذين
عاشوا فى الحواضر حتى نهاية القرن الثانى
الهجرى ، وفى البوادر حتى منتصف القرن
الرابع . فلا يستشهد المحافظون بشعر المحدثين
كـبشار والمتنبى وأبى تمام وأبى نواس وأبى
العلاء .

٣ - استبعاد ما وضعه المؤلّدون ، أو تكلموا
به بعد عصر الاحتجاج ، سواء جرى على أقيسة
كلام العرب أم لم يجر ، حيث يعد ما خالف
قياس كلام العرب وما سمع لحنا يجب تجنبه .

٤ - عدم قبول المعرب من الكلام الأعجمى
الذى لم يدخل العربية فى عصر الاحتجاج ،
والدخيل الذى اقتضت الحياة المتطورة اقتراضه
من اللغات الأجنبية ، والمحدث الذى استعمله

الكتاب وشاع فى البيئات العربية .

٥ - التزام ترتيب متوارث فى صنع المعاجم
اللغوية .. والمحافظة على أسلوب المعاجم
القديمة فى الشرح . والتمسك ما نقل من الثروة
اللغوية بغريبها ونادرها وجافيتها ومترادفها
ومتضادها .

وقد وصف الدكتور إبراهيم أنيس
المحافظين بهذا المفهوم بأنهم متمتون ، فى قوله :
« فهناك قوم من المتزمتين الذين ينادون بأنه
يجب أن نقف عند نصوص أجدادنا العرب لا
نتعدها ولا نتجاوزها »^(٢)

وانتقد الدكتور شوقى ضيف أصحاب المعاجم
الحديثة التى سبقت المعجم الوسيط ، آخذاً
عليهم ما سميناه هنا محافظة ، إذ يقول :

" وكانت قد وضعت معاجم حديثة فى لبنان
وغير لبنان ، غير أنها اتخذت لنفسها أسواراً
من المكان والزمان لا تتجاوزها فيما أحصت
من الكلمات . أما المكان فلا يتجاوز شبه
الجزيرة العربية إلا قليلاً ، وأما الزمان فلا
يتجاوز المئة الثانية من الهجرة لعرب الأمصار ،
مثل البصرة والكوفة ، آخر المئة الرابعة

(١) هى : قيس وقيم وأسد ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين راجع المزهري للسيوطي : ١ / ١٠٤ ، وفصل " المقياس الصائب "

فى كتابنا : لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة .

(٢) من أسرار اللغة : ٢٧ .

لأعراب البوادي^(١) وهو موافق لما قالت لجنة المعجم فى مقدمة الطبعة الأولى^(٢) .

ملاحم التجديد :

يمكن تحديد ملاحم التجديد المعجمى التى نقيس فى ضوئها التجديد فى (المعجم الوسيط) بما يلى :

أولاً : التجديد فى المادة اللغوية :

أ - قبول الألفاظ والصيغ الناتجة عن الاعتراف باجتهاد اللغويين المحدثين ، وقياس ما لم يسمع عن العرب على ما سمع منهم ، وقبول ما تقره الهيئات اللغوية فى أصول اللغة وأقيستها .

ب - عدم التقيد بالتحديد المكانى والزمانى لمن يستشهد بكلامهم فى اللغة ، والاستشهاد بشعر المحدثين ، سواء أكانوا ممن عاشوا بعد عصر الاحتجاج قديماً أم كانوا معاصرين .

ج - قبول المولد الذى استخدمه العرب بعد عصر الاحتجاج ، سواء أكان التوليد فى اللفظ أم فى المعنى .

د - قبول ما عرّبه المحدثون من الكلام الأعجمى ، أسوة بما عرّب العرب فى عصر الاحتجاج .

هـ - قبول الألفاظ والأساليب التى شاعت على ألسنة الكتاب والشعراء المعاصرين^(٣) مادام لها وجه من الصحة اللغوية تحدده هيئة لغوية .

و - قبول المصطلحات العلمية والفنية وألفاظ الحضارة التى يقتضيها جعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر .

وفى هذا التجديد يقول الدكتور إبراهيم مذكور : " إن اللغة ماضياً وحاضراً ، فلها قديمها الموروث ، وحاضرها الحى الناطق ، ولا بد أن يلاحظ ذلك فى وضع معجم جديد للغة العربية ، فيستشهد فيه بالشعر والنثر ، مهما يكن العصر الذى أنشئ فيه ، وتثبت الألفاظ الطارئة التى دعت إليها ضرورات التطور ،

(١) مجمع اللغة العربية فى خمسين عاماً : ١٦٠ .

(٢) المعجم الوسيط : ١٢ وفيه تحديد آخر المئة الرابعة لأعراب البوادي كما نقل الدكتور شوقى ضيف . والمعروف أن الحدود الزمنية للأخذ عن أعراب البوادي هى منتصف القرن الرابع ، كما فى الخصائص ومجلة مجمع اللغة العربية ح ١ وفقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وائى : ١٧٢ ط ٧ .

(٣) دعا أحمد فارس الشدياق فى (الجاسوس على القاموس : ٢ ، ٣) إلى أن يشمل المعجم الحديث الألفاظ التى استعملها الأدباء والكتاب ، وكل من اشتهر بالتأليف .

وفرضها تقدم الحضارة والرقى العلم" (١) .

والتأنيث .

ثانيا : التجديد فى تحرير المعجم :

وعناصر التجديد فى التحرير هى :

أ - شرح معانى الكلمات بأسلوب سهل ،
يسد حاجة القارئ المثقف لتحرير لفظ شائع ،
أو مصطلح ، أو فهم أسلوب .

ب - التعريف العلمى الدقيق الواضح لما
يحتاج إلى تعريف ، وتحديد ما يحتاج إلى
تحديد .

ج - الاختصار فى الشرح ، وتجنب
الاستطراد والتكرار .

د - الضبط السليم لكل ما يحتاج إلى
ضبط .

هـ - الالتزام بإحالة قارئ المعجم من المادة
التي فتح المعجم عليها إلى المادة التي يبحث
عنها .

و - الالتزام بطريقة موحدة فى رسم
الحروف ، والرموز .

ز - تحديد نوع الكلمة ، من حيث الجمود
والاشتقاق ، والإفراد والجمع ، والتذكير

ح - التوضيح بالصور والرسوم لغير الشائع
من النبات والحيوان غير المؤلف ، وللتجديد
المبتكر من الأجهزة والأدوات الحضارية .

ثالثا : التجديد فى الترتيب :

أ - ترتيب أبواب المعجم ، ومواده ، وكلماته ،
ترتيبا دقيقا غايته تيسير الكشف ، وسرعة
الوصول إلى الكلمة المطلوبة .

ب - التزام طريقة موحدة فى الترتيب داخل
المواد ، كتقديم الأفعال على الأسماء ، والمجرد
على المزيد ، واللازم على المتعدى ، والثلاثى
على الرباعى ونحوه ، والمعنى الحسى على
العقلى ، والحقيقى على المجازى (٢)

وسنناقش فى هذا البحث اتجاهها جديداً فى
بعض المعاجم العربية المعاصرة جاء فيه الترتيب
حسب كل حروف الكلمة أصلها ومزيدها ، دون
اقتصار على الحروف الأصول .

رابعا : التجديد فى الإخراج :

ونعنى به : شكل الصفحات ، وما فيها من
أعمدة ، وما يوضع أعلى الصفحات من إشارات

(١) المعجم الوسيط : ١٠ وراجع مقدمة المعجم الكبير (الجزء الأول : و) .

(٢) اعتبر أحمد فارس الشدياق من خلال المعاجم العربية تقديم المجاز على الحقيقة (الجاسوس : ١١) وهذا لا يشمل معجم

(أساس البلاغة) الذى قدم الحقيقة على المجاز .

ويذكر أن البستاني فى (محيط المحيط) قد راعى ترتيب الأفعال على الأسماء ، والمجرد على المزيد . والحسى على العقلى .

إلى بدء الكلمات فى الصفحة ونهايتها ، ووضع الأقواس ، والنجوم المميزة ، وطباعة أوائل المواد بالخبر المشبع ، ووضع الصور بالألوان إن أمكن . ثم طبع المعجم على صورة يتجلى فيها الفن الطباعى من حيث حجم الحروف ، ونوع الورق . ثم التصحيح الدقيق من علماء متخصصين حتى لا يقع فى المعجم أى خطأ طباعى .

المعجم العربية الحديثة قبل

(المعجم الوسيط)

يقتضى المنهج - والبحث يتناول المحافظة والتجديد فى المعجم الوسيط - أن نلقى نظرة على أهم المعاجم الحديثة السابقة عليه فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، أى منذ عام ١٨٦٩ حيث صدر الجزء الثانى من (محيط المحيط) و (قطر المحيط) للمعلم بطرس البستاني - إلى عام ١٩٥٨ حيث صدر معجم (متن اللغة) للشيخ أحمد رضا ، أى قبل صدور (المعجم الوسيط) بعامين .

١ - (محيط المحيط) : معجم لغوى يجمع بين المحافظة والتجديد ، وتتمثل محافظته فى

مادته التى اعتمد فيها على (القاموس المحيط) للفيروز أبادى (ت ٨١٧ هـ) . وبسبب اعتماده على القاموس عده الدكتور أحمد مختار عمر ضمن المعاجم التى أعادت ترتيب المعاجم القديمة^(١) ويبدو التجديد فى (محيط المحيط) فى ترتيبه على أوائل الكلمات بعد تجريدها من الزيادة ، والترتيب داخل المواد ، وفى الإضافات التى أضافها من اصطلاحات العلوم والفنون وكلام المولدين واللهجات العامية^(٢) . وجدد فى الإخراج ، بأن قسم كل صفحة إلى نهريْن (عمودين) وكتب فى أعلاها كلمتين إحداهما إلى يمين الصفحة تشير إلى الكلمة الأخيرة فى النهر الأيمن ، والثانية فى يسار الصفحة تشير إلى الكلمة الأخيرة فى النهر الأيسر^(٣) .

وقد تعرض (محيط المحيط) للنقد وتتبع الهفوات من إبراهيم اليازجى صاحب كتاب (تنبيهات اليازجى على محيط البستاني) ومن الأب أنستاس مارى الكرملى الذى ضمن نقده وملاحظاته على (محيط المحيط) كتابه : (المعجم المساعد)^(٤) .

(١) البحث اللغوى عند العرب : ٢١٨ .

(٣) نفسه .

(٢) د . حسين نصار : المعجم العربى ٧١١/٢ ، ٧١٢ .

(٤) نشره محققا : كركيس عواد وعبد الحميد العلوجى .

وانظر ملاحظات د . إبراهيم السامرائى على معجمه (المساعد) فى كتابه : (مع المصادر فى اللغة والأدب : ٢٦٥/١ و ١٣٥/٢) .

٢ - (قطر المحيط) ، لبطرس البستاني أيضا ، وهو مختصر عن (محيط المحيط) فى جزء واحد ، وقد سماه (قطر المحيط) لأن نسبته إلى الكتاب المطول توشك أن تكون كنسبة دائرة إلى محيطها ، لا يختلف فى منهجه عن (محيط المحيط) وأتم تأليفه عام ١٨٦٩ م . وبنى اختصاره على أساس حذف ما فى صدر الأبواب من تعريف بالحروف ، وبعض الصيغ والصفات والمصطلحات والشواهد ، والمعربات وأصولها .. وتصرف فيه بتغيير ترتيب بعض الألفاظ داخل المواد .

٣ - (تكملة المعاجم العربية) لرينهارت دُوزي (ت ١٨٨٣) بالعربية والفرنسية (١) اعتمد فيه على مواد لغوية لم ترد فى المعاجم العربية ، جمعها من كتب اللغة ، ومؤلفات الرحالة ، وبعض المعاجم فى المغرب والأندلس . وهو مختلف عن المعجمين السابقين للبستاني ، فى الهدف والمادة .

٤ - (أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد) لسعيد الخورى الشرتونى ، نشر فى جزأين عام ١٨٨٩ ونشر جزؤه الثالث عام ١٨٩٤ وهو كمعجمى بطرس البستاني مؤلف

للطلاب ، واعتمد مثلهما على (القاموس المحيط) ولكنه أضاف زيادات أخذها من (تاج العروس) للزبيدي ، ومن (معجم جوليوس) المطبوع فى ليدن عام ١٦٥٣ و (معجم فريتاج) المطبوع فى ألمانيا بين عامي ١٨٣٠ و ١٨٣٧ . وعن هذين المعجمين دخلت (أقرب الموارد) ألفاظ مولدة وعامية . كمحيط المحيط وفى (أقرب الموارد) تجديد ومحافظة : فمن تجديده : إحكام الترتيب والتبويب ، وإضافة ألفاظ محدثة من عصره وقبل عصره ، وترتيب الكلمات داخل المواد ، وفق ترتيب معين ، كتقديم الأفعال على الأسماء ، والماضى المجرد الثلاثى ثم الرباعى ، وكوضع خط أفقى فى مكان اللفظ المكرر ، واستخدام رموز للدلالة على أبواب الأفعال .

ومن مظاهر محافظته : اعتماده على مادة (القاموس المحيط) وحفاظه على عبارات الأقدمين ، ووقوفه عند كلام الفحول - كما يقول - وضبطه الكلمات بالنص لا بالقلم . وإن كان حذف أسماء البقاع والأعلام والأدوية من المحيط .

(1) Reinhart Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes .

أى ملحق المعاجم العربية ، ويسمى باللغة العربية أيضا (المستدرك على المعاجم العربية) .

٥ - (معجم الطالب فى المأوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات العلمية والعصرية) لمرجس همام الشويرى . وقد صدر عام ١٩٠٧ وهو - كما يدل عنوانه - مؤلف للطلاب ، ومادته مختصرة من (محيط المحيط) كما بين فى مقدمته ، إلى جانب مواد أخرى من صحاح الجوهري ، وتاج العروس للزبيدي .

٦ - (المنجد) للأب لويس المعلوف (ت ١٩٤٦) - وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٠٨ - وأعاد النظر فيه فى طبعته الخامسة الصادرة عام ١٩٢٧ وزود المعجم بألف صورة ، وذيله بفرائد الأدب .

وفى طبعة عام ١٩٥٦ أضاف إليه الأب (فردينان توتل) قسماً جديداً جعل عنوانه : (المنجد فى الآداب والعلوم) .

وفى تجديد (المنجد) يقول الدكتور عدنان الخطيب : " وهو يعتبر إلى اليوم خير معجم مدرسى للعربية فى ترتيبه وإخراجه ، إذ هو يحاكي فى ذلك أحدث المعاجم الأوروبية فناً " (١) .

ويجمل عبد الله كنون مزايا المنجد فى الاختصار وتزيينه بالصور والرسوم ، واعتماد الطريقة السهلة فى ترتيب المواد اللغوية على الحرف الأول والثانى كما صنع الفيومى فى (المصباح) (٢) .

ويقول عنه الدكتور حسين نصار : " إنه من أحسن المعاجم تنظيماً وتوضيحاً للألفاظ " (٣) . وقد كان (المنجد) هدفاً لمقالات وكتب بينت أخطاءه ، وكشفت أوهامه وتتبعته عشرات ، وعشرات ملحقه الذى وضعه الأب فردينان توتل (٤) .

٧ - (المعتمد فيما يحتاج إليه المتأدبون والمنشئون من متن اللغة العربية) . لمرجى شاهين عطية - طبع عام ١٩٢٧ .

وقد تأثر بالمنجد فى إخراجه فأضاف إليه صوراً توضيحية ، وفصل بين أقواس المادة وأقواس فروعها ، فالأقواس الأولى من النوع المؤلف وبالحبر المشبع ، وأقواس الفروع من النوع المعقوف (٥) .. وقد اعتمد على (محيط المحيط) واتبع نظامه .

(١) المعجم العربى بين الماضى والحاضر : ٥٢ .

(٢) نظرة فى منجد الآداب والعلوم : المقدمة .

(٣) المعجم العربى : ٢ / ٧٢٥ .

(٤) من الذين نقدوا المنجد وملحقه : إبراهيم القطان ومنير العمادى وعبد الله كنون وسعيد الأفغانى .

(٥) حسين نصار : المعجم العربى : ٢ / ٧٢٤ .

٨ - (البستان) لعبد الله البستاني - طبع عام ١٩٣٠ في مجلدين كبيرين على نمط (محيط المحيط) وجل اعتماده عليه حتى عده الآب أنستاس الكرملي نسخة ثالثة منه .^(١)

٩ - (فاكهة البستان) وهو مختصر من البستان في مجلد واحد - وقد صدر عام ١٩٣٠ وسلك منهج الأصل ، وحافظ على ترتيبه . ولكنه حذف كثيرا من المعاني والصيغ والتعابير .

١٠ - (معجم متن اللغة) للشيخ أحمد رضا - صدر عن مكتبة الحياة في بيروت عام ١٩٥٨ في خمسة أجزاء كبيرة ... وفيه - كما في المعاجم السابقة - محافظة وتجديد .

فمن مظاهر محافظته : أن ماداته اللغوية منقولة من المعاجم القديمة : لسان العرب والقاموس المحيط وشرحه (تاج العروس) ، وأساس البلاغة ، ومختار الصحاح ، والمصباح المنير ، وعدم التوسع في المصطلحات الجديدة ، حيث اقتصر على ماله صلة بالمتن ، والاقتصار على الثقات من اللغويين في نقوله .

ومن التجديد فيه : الترتيب حسب أوائل الأصول ، والكلمات الجديدة التي تضمنتها مقدمته الطويلة ، مما عربه هو ، أو عربه مجمعا اللغة العربية ، في القاهرة ودمشق ، أو اللغويون الموثوق بهم .

وتلتقى كل المعاجم السابقة في عدة ظواهر معجمية ، أهمها : الاختصار والاعتماد على القاموس المحيط ، والتنظيم وحسن الترتيب ، والعناية بالمصطلحات ، وحذف ما يتصل بالعورات والمسائل الجنسية^(٢) وإضافة الألفاظ المولدة والعامية والمصطلحات المسيحية ... وأنها مؤلفة للطلاب ومن في مستواهم .

ويبدو جانب المحافظة لدى أصحاب المعاجم السابقة في اعتمادهم الواضح على الأقدمين سواء في نقل الثروة اللفظية ، أو في محافظتهم على العبارات التي استخدمها هؤلاء الأقدمون في الشرح .

وفي مقدمة (المعجم الوسيط) يشير الدكتور إبراهيم مذكور إلى ثلاثة من هذه المعاجم ، مبينا أنها لا تغنى عن معجم جديد يسجل لغة القرن العشرين التي لم تستطع

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : ١٩٣١ .

(٢) لم يتخلص المعجم الوسيط من هذه الألفاظ .

هذه المعاجم تسجيلها ، فيقول : " ولقد حاول بعض اللغويين منذ أخريات القرن الماضي تدارك هذا النقص (أى فى المعاجم القديمة) فوضع البستانى : (محيط المحيط) والشرتونى (أقرب الموارد) والأب لويس ، المعلوف (المنجد) وهم - فيما يبدو - متأثرون بالمعاجم الغربية الحديثة . ولكنهم لم يستطيعوا

التخلص من قيود الماضي ، ولم يجرؤوا على أن يسجلوا شيئا من لغة القرن العشرين ، وما كان لهم أن يفعلوا والأمر يتطلب سلطة أعظم ، وحجة لغوية أقوى^(١) .
والحجة الأقوى هى : مجمع اللغة العربية .
والمعجم الذى سجل لغة القرن العشرين هو :
المعجم الوسيط .

(١) المعجم الوسيط : تصدير الطبعة الاولى .

المعجم الوسيط

مقدمة :

لحاجات الحياة في العصر الحاضر^(١) .

ووضع الدكتور شوقي ضيف هذا الغرض بقوله : " دأب (المجمع) في الحفاظ على اللغة العربية الفصحى بين الأمة العربية ، وتمكينها من التعبير تعبيرا سائغا عن متطلبات العلوم والفنون الغربية ، والتكنولوجيا المعاصرة ، ومواكبة الفكر العالمى ، ووضع المعاجم السديدة ، والمصطلحات العلمية والفنية الحديثة^(٢) " فالمجمع - بحكم رسالته - محافظ على سلامة اللغة العربية الفصحى بين الأمة العربية .

والمجمع - بحكم رسالته أيضا - مجدّد ، يمكن اللغة العربية من التعبير تعبيرا سائغا عن متطلبات العلوم والفنون الغربية ، والتكنولوجيا^(٣) ، ويضع المعاجم السديدة .

والمعجم الوسيط ، وهو من ثمار فكر المجمع وفلسفته ، محافظ ومجدد أيضا . ويتضح ذلك من قول الدكتور إبراهيم مدكور ، في تصدير الطبعة الأولى من المعجم : " ... يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية

بيننا فيما سبق أن المعجم الوسيط صدر في أعقاب سلسلة موصولة من المعجمات المدرسية الحديثة ، بدأت بمعجم بطرس البستاني (محيط المحيط) في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وانتهت بمعجم (متن اللغة) لأحمد رضا ، قبل صدور الوسيط بعامين . وحددنا ، بإيجاز ، مدى المحافظة والتجديد في هذه المعجمات .

وحان الآن دور الإجابة عن الأسئلة التي أثارناها في مقدمة هذا البحث ، وتحديد موقع (المعجم الوسيط) بين المحافظة والتجديد .

وقد اقتضى منهج البحث أن نعرض ، بإجمال ، لفلسفة مجمع اللغة العربية وغرضه من نشر معجمه :

إن النظرة الأولى لقانون إنشاء المجمع (ديسمبر ١٩٣٢) ترينا أن المجمع محافظ ومجدد في الوقت نفسه ، إذ جعل غرضه : " أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة

(١) قانون إنشاء المجمع .

(٢) مجمع اللغة العربية في حسين عام : ٢١ .

(٣) يستخدم المحافظون كلمة " التقنية " بدلا من التكنولوجيا . وهو تعريب بقربها من اللفظ العربى (تقن) ورجل تقن أى متقن عمله . ولكن ها هردا عضو فى المجمع يختار مصطلح (التكنولوجيا) فى كتاب يصدره عن المجمع فى عيده الخمسينى (وكلمة :

الخمسيني أيضا جديدة) II

والإسلام ، ويهدم الحدود الزمانية والمكانية
التي أقيمت خطأ بين عصور اللغة المختلفة ،
ويثبت أن في العربية وحدة تضم أطرافها ،
وحيوية تستوعب كل ما اتصل بها وتصوغه
في قالبها " (١) .

فألفاظ القرن العشرين تحظى بإثبات نسبها
إلى العربية الأم على لسان المجمع اللغوي ،
وتأخذ مكانها في معجمه . والحدود الزمانية
التي أقيمت خطأ (هذا هو رأى المجمع المجدد)
بين عصر العرب المخلص الفصحاء وعصر
المولدين قد أزيلت . والحدود المكانية التي
نصبت بين عرب شبه الجزيرة الذين صفت

لغتهم ونأت عن مواطن التأثر بغير العرب قد
هُدمت !

التجديد هنا واضح ، وسنزيده وضوحا
بالأمثلة ، فيما بعد ، ولكن المهم هو :

إلى أي حد مضى المجمع في تجديده ، وهو
يطبق ثمار فكره على المعجم الوسيط ؟ هل
أفرط في التجديد الى الحد الذي يقال عنه فيه :
إنه فرط في المحافظة على رسالته ، وعلى
سلامة اللغة العربية ؟ أو نراه ساوى بين
الطرفين ، وسلك مسلكا وسطاً بين المحافظة
والتجديد ؟

هذا ما سنتبينه في الصفحات التالية .

مظاهر التجديد (١) وأمثلته

فى المعجم الوسيط

و (البَدِيلَة) للمواد المصنوعة عوضا عن
المواد الطبيعية ، كالمطاط الصناعى والألياف
الصناعية . و (البديلة) فى الاقتصاد ،
و (التبدل) فى اصطلاح علماء الحياة والطب .
* (المدرعة) للسفينة التى تدرع بالصلب .
* (الرسم) بالمعنى القديم وهو الأثر الباقي ،
و (الرسم) فى علم المنطق (قديم أيضا لكنه
عرف بعد عصر الاحتجاج) ، و (الرسم) :
تمثيل شىء أو شخص بالقلم ونحوه ، و (الرسم
البيانى) ، و (الرسم التقريبى) ،
و (الرسمى) وصفا لقولهم : (العمل الرسمى) ،
و (رجل رسمى) ، و (الورقة الرسمية) ،
و (العقود الرسمية) .
* (المنظار) : المرآة . و - آلة بصرية إما
لرؤية الأجسام الصغيرة ، وتسمى المجهر
(الميكروسكوب) ، وإما لرؤية الأجسام البعيدة ،
وتسمى (التلسكوب) (٤) .
* (المهندس) و (الهندسة) و (الهندسة
النظرية) ، و (الهندسة التطبيقية)

فى ضوء ما حددناه سابقا عن مفهوم التجديد
فى المعجم ، نقدم فيما يلى مظاهر التجديد
فى (المعجم الوسيط) مقرونة بالأمثلة التى
التقطناها منه :

١ - طبق المعجم قرار المجمع : أن يُفتح بابُ
الوضع للمحدثين ، بوسائله المعروفة من اشتقاق ،
وتجوز ، وارتجال (٢) .

ونستطيع أن نجد صدى هذا القرار فيما يلى :
أ - المصطلحات العلمية والفنية التى وضعها
المجمع ، من خلال لجانه العلمية ، ومجلسه
ومؤتمره .

ومن أمثلة ذلك : -

* مصطلح (الأثير) فى الطبيعة ،
و (الأثير) فى الكيمياء ، و (الإيثارية)
عند علماء الأخلاق و - عند علماء النفس .
و (التأثرية) فى النقد الأدبى .

* (البؤرة) ، (بؤرة العدسة) فى الطبيعة ،
و (بؤرة القطع المخروطى) فى الرياضه ،
و (بؤرة عدسة العين) فى الطب .

* (البَدِيل) فى الاصطلاح السينمائى (٣) .

(١) بدأت بالتجديد قبل المحافظة ، خلافا لعنوان البحث ، لأن تحديد معالم التجديد أحق بالتقديم ، لأنه الهدف الأكثر حاجة إلى البيان
من المحافظة التى هى الأصل . والعطف بالراء التى لا تفيد ترتيبا ولا تعقيا يتيح للباحث التقديم والتأخير .

(٢) الرسيط : مقدمة الطبعة الأولى : ١٢ .

(٣) عرب المجمع لفظ السينما ، ونسب إليه بالطريقة العربية فى النسب .

(٤) يلاحظ أن المجمع أدخل مصطلحين أجنيين فى التعريف ، مع اختيار اللفظ العربى وهو المنظار إلى جانب المجهر (فى أحد

المعنيين) . وجاء (التلسكوب) فى مرضعه فى المعجم : ١ / ٩٠ (ط ٣) .

و (الهندسة العملية) .

* (الهُوية) فى الفلسفة ، و - البطاقة الشخصية .

هذه أمثلة توضيحية من آلاف المصطلحات التى وضعها المجمع والتى ضم المعجم الوسيط جانباً كبيراً منها . ويمكن الرجوع لمعرفة هذه المصطلحات إلى تسعة معاجم للمصطلحات ، نشر المجمع أكثرها ، وأقلها فى سبيله إلى المطبعة^(١) .

ب - طبق المعجم القرار السابق فى مجال الاشتقاق حتى لو كان المشتق منه معرباً ، ومن أمثلة ذلك :

* اشتقاق الفعل : (مَغْطَس) واسم الفاعل (مُمَغْطَس) واسم المفعول (مَمَغْطَس) والمصدر الصناعى (المِغْناطيسية) من لفظ المِغْناطيس ، وهو معرب . واشتقاق هذه الكلمات من اسم عَيْن وقد أجازها المجمع دون تقييد بالضرورة^(٢) .

ومثلها الأفعال الآتية :

- الفعل (بَسْتَر) مشتق من (بَسْتُور)

صاحب الطريقة الخاصة فى التعقيم .

- الفعل (تَلْفَن) مشتق من الكلمة الأجنبية

(التليفون) . *

- الفعل (كهْرَب) مشتق من (الكهْرِبَا) ،

وهى معربة .

- الفعل (فَبْرَك) مشتق من (الفابريكة)

وهى معربة حديثاً . (**)

٢ - قرار المجمع إطلاق القياس ليشمل ما

قيس من قبل وما لم يُقَسَّ^(٣) ، طبق على صيغ قبلها المعجم وأودعت فيه . ومن أمثلة ذلك :

* قياسية صيغ اسم الآلة جعلتها سبعة لا

ثلاثاً كما عرفت فى كتب الصرف ، فإلى جانب الصيغ الثلاث : مِفْعَل كمبرد ، ومِفْعَلَة كمسطرة ومِفْعَال كمحراث ، أضيفت صيغ ، فِعَال كإراث ، وفاعلة كساقية ، وفاعُول كساطور ، وقَعَّالة كسماعة وثلاثجة .^(٤)

* قرار المجمع قياسية صيغة (فَعِيل) للدلالة

(١) نشر المجمع : المعجم الجيرلوجى ، ومعجم الفيزيكا النووية والإلكترونية ، والمعجم الجغرافى ، والمعجم الفلسفى ، ومعجم ألفاظ الحضارة الحديثة . وأعد للنشر : المعجم الفيزيقي ، ومعجم الكيمياء والصيدلة ، ومعجم علوم الأحياء والزراعة ، والجزء الأول من المعجم الطبى .

(٢) فى أصول اللغة : ١ / ٦٩ .

(*) (التليفون) وردت فى الوسيط ، ولكن الفعل لم يرد . التحرير .

(**) لم يرد فى الوسيط (الفابريكة) ولا الفعل (فَبْرَك) . التحرير .

(٣) الوسيط : مقدمة الطبعة الأولى : ١٢ .

(٤) فى أصول اللغة : ١ / ١٩ .

على المشاركة^(١) ، أدخل إلى المعجم كلمات لم تكن مقيسة ، فيألى جانب : خصيم ونديم وجليس يقال : شريب وزريع .

* قرار المجمع قياسية صيغة (فَعِيل) من مصدر الفعل الثلاثى اللازم والمتعدى ، كسكير من اللازم ، وشريب من المتعدى^(٢) ، وسع دائرة الكلمات المقبولة من هذه الصيغة ، واعترف بها فى المعجم .

* قرار المجمع قياسية الهمزة والسين والتاء للاتخاذ والجعل ، أدخل فى المعجم كلمات على صيغة (استفعل) دالة على هذا المعنى ولم تكن مقيسة ، مثل : استهدف الشيء : جعله هدفا له^(٣) . ومثله قرار المجمع قياسية صيغة (استفعل) للطلب أجاز مثل : استجمع قواه ، واستعرض قوته .

* قرار المجمع جواز لحوق تاء التانيث صيغة (فَعُول) صفة بمعنى فاعل . وجواز جمعها جمع تصحيح^(٤) ، رفع إصر اللحن عن كلمات

مثل : حقودة ، وغيورة ، وطموحة ، وحقودين ، وغيورين ، وطموحين ، وحقودات ، وغيورات ، وطموحات

* قرار المجمع تانيث صيغة (فعلان) بالتاء ، مثل : غضبانة وعطشانة ، وجمعها جمعا سالما مثل : غضبانون وغضبانيون ، وغضبانات وعطشانات^(٥) .

* قرار المجمع قياسية تصنيف الفعل للتكثير والمبالغة أدخل إلى المعجم كلمات كثيرة كان تضعيفها سماعيا^(٦) .

* قرار المجمع إجازة ما ينشأ من كلمات على صيغة (فُعالة) للدلالة على نفاية الشيء وبقاياه وما تنأثر منه^(٧) ، أدخل إلى المعجم كلمات قيست مثيلاتها فى المعاجم ومنها : الأكالة ، والحراشة ، والجزارة ، والخياطة (ما يتبقى بعد التفصيل والقص والخياطة) .

* ومن القرارات التى جعلت بعض الصيغ

(١) نفسه : ١ / ٣٨ .

(٢) فى أصول اللغة : ١ / ٣٤ .

(٣) نفسه : ١ / ٢٠٣ .

(٤) نفسه : ١ / ٧٤ .

(٥) بنى المجمع قراره على لهجة بنى أسد (راجع كتاب المجمع : فى أصول اللغة ١ / ٨٠) .

(٦) نفسه : ١ / ٢٢٤ .

(٧) نفسه : ٣ / ٣٨ .

اللفظة العربية دون تغيير ، والتي رمز إليها
في المعجم بالرمز (د) ، والكلمات المولدة التي
استخدمها العرب قديما بعد عصر الرواية ، والتي
رمز لها في المعجم بالرمز (مو) والكلمات
المحدثة التي استعملها المحدثون من العرب في
عصرنا ، والتي كتب بعدها في المعجم (محدثة)
والكلمات والمصطلحات العلمية التي أدخلت في
المعجم الوسيط والتي رمز لها بالرمز (معج)

فبلغ عددها ما يلي :

الدخيل : ٢٣٧

المولد : ٥٣٥

المحدث : ٦٥١

ما أقره

المجمع : ١٢٨٣

٢٧٠٦

أى بنسبة ٩ ٪ من مواد المعجم (٣٠٠٠٠)
ولم ندخل في إحصائنا (المعرب) في عصور
الاحتجاج ، والذي رمز إليه بالرمز (معج) لأنه
وارد في المعاجم القديمة ، ولا يدخل في باب

قياسية أيضا ، وكان لها أثر في مادة (المعجم
الوسيط) وفي التجديد فيه : قياس تعدية
الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة ، وقياس صنع
مصدر بزيادة ياء مشددة وتاء ، هو المصدر
الصناعي ، وقياس صوغ المصدر من الثلاثي
اللازم المفتوح العين على صيغة (فَعَال) للدلالة
على المرض ، وعلى (فَعْلَان) ، للدلالة على
التقلب والاضطراب ، وعلى (فَعَالَة) للدلالة على
الحرفة ، وقياس صوغ (مَفْعَلَة) من أسماء
الأعيان الثلاثية الأصول ، للمكان الذي تكثر
فيه هذه الأعيان سواء أكانت من الحيوان أم من
النبات أم من الجماد ، كمبطخة ومأسدة . وكذلك
قرار قياسية (النحت) و (المركب المزجي)^(١) .

٣ - اعتراف المجمع بالمعرب والمولد دون قصر
جوازهما على عصر الاحتجاج ، وبما استعمله
العرب في العصر الحديث (٢) ، أثرى (المعجم
الوسيط) بالآلاف من الألفاظ والأساليب .

وقد أحصينا في الطبعة الثالثة من المعجم عام
١٩٨٥ الكلمات الدخيلة ، وهي التي دخلت

(١) في أصول اللغة : ٤٩ / ١ ، ٥٢ ومقدمة المعجم : ١٤ .

(٢) حددت لجنة المعجم الوسيط : المعرب بأنه اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب ، بالنقص ، أو الزيادة ، أو القلب . وأجاز مجمع اللغة العربية

التعريب على طريقة العرب . . والمولد : هو اللفظ الذي استعمله الناس قديما بعد عصر الرواية . والدخيل هو اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون
تغيير كالأكسجين . والمحدث هو : ما استعمله المحدثون في العصر الحديث ، وشاع في لغة الحياة العامة . (مقدمة المعجم ص : ١٦) وقد دعا
أحمد فارس الشدياق إلى الاحتجاج بقول المولدين إذا كانوا متضلعين من العربية (الجاسوس على القاموس : ٥٢) .

التجديد .

ومن الأمثلة على الجديد فى (المعجم الوسيط) : من العرب : القنصل ، البترول ، واليوييل ، والفلكلور ، والشاي ، والسكر ، والسندوتش ، والكيلومتر .. ومن المولد : الفرجة ، المسرح ، واللجنة ، والمجلة ، والجامعة ، والكلية ، والعميد ، والمعيد ، والإقطاع ، واللون الكحلى ، والبرسيمى ...

ومما أقره المجمع ودخل فى المعجم الأمثلة التى سقناها فيما سبق عند كلامنا عن المصطلحات العلمية والفنية .^(١) وقد رمز إليها بالرمز (مج)

وقد أدخل المجمع كلمات كثيرة من اللغات الأجنبية دون تغيير فيها : كالفونوغراف والتلفزيون^(٢) والكردينال ، والإلكترون ، والتكنولوجيا ، ورمز إليها بالرمز (د) .

ومن الكلمات التى استخدمها الكتاب والصحفيون فى عصرنا ، أدخل المعجم كلمات كثيرة بعد أن أقر المجمع استعمالها : القمر

الصناعى ، قصف المدافع ، الشُجْب والإدانة ، الموسوعة ، فحص الإنتاج العلمى ، الاستشعار من بعيد ، مضبطة المجلس ، الرقم القياسى ، ناطحة السحاب ، الرتل ، عمود الإشارة ، القنبلة ، الحشاش ، المدخن ، الاستقبال الأقصوصة .

٤ - نتيجة لاتخاذ المجمع مقياسا صوابيا يتسم بالتساهل ، ويميل إلى التيسير على الكتاب والمتحدثين بالعربية ، أجاز المجمع ألفاظا وأساليب عدها بعض اللغويين من اللحن الذى يجب تجنبه ، لأنها لا تجرى على القياس ، ولم تسمع عن العرب . وأخذ (المعجم الوسيط) برأى المجمع فأدخل هذه الكلمات والأساليب المجازة . ومن ذلك :

* التقييم بمعنى بيان القيمة ، إلى جانب التقييم^(٣) .

* الوحدوى ، إلى جانب الوحدى ، وهو الأفصح^(٤) .

* الرئيسى فى مقابل الفرعى ، إلى جانب الرئيس^(٥) .

(١) ص : ١٧ من هذا البحث .

(٢) عرب الدكتور أحمد زكى فى مجلة العربى بـ (التلفاز) وفى ترنس عرب إلى التلفزة واشتق منه : متلفز .

(٣) فى أصل اللغة : ١ / ٢٢٨

(٤) نفسد : ٣ / ٩٧ .

(٥) الألفاظ والأساليب : ١٦ .

* التبرير أى تزكية العمل وذكر أسباب عمله ، إلى جانب : التوسع ^(١) .

* المتحف إلى جانب : المتحف ^(٢) .

* المنتزه إلى جانب : المنتزه ^(٣) .

* المنطقة ، إلى جانب : المنطقة ^(٤) .

* الوقائع : الأحوال والأحداث إلى جانب : الوقائع فى الحرب ^(٥) .

* اكفاء جمع كفاء أى قوى قادر على العمل ، إلى جانب : كفاء ، وأكفيا جمع كفى . وقد أجاز المجمع استعمال الكفاء حيث يستعمل الكافى والكفاءة حيث تستعمل الكفاية ^(٦) .

* الفشل بمعنى عدم تحقيق الهدف ^(٧) .

* أنجب والداه ، بتعدية أنجب ، إلى جانب : نجب ^(٨) .

* الهروب ، مصدر هرب ، إلى جانب : الهرب ^(٩)

* الصمود بمعنى الثبات . وقد خطأها بعض النقاد لأنها لم ترد فى المعاجم بهذا المعنى ، بل بمعنى القصد أو الصلابة ، ولأن الصمود ليس مصدراً لصمد ^(١٠) .

* أبحاث جمع بحث ، إلى جانب : بحوث . وبؤساء جمع بئس ، وزهور جمع زهر ^(١١) .

* صوب الخطأ : صححه . والمعنى المعروف : عدّه صواباً ^(١٢) .

* أجاز المجمع : اجتمع معه ، والتقى به ^(١٣) .

وأمثلة كثيرة أخرى ، يتجدد المجمع فى إجازتها إلى التيسير ، نجدها فى المعجم ، وفى كتاب « فى أصول اللغة » بأجزائه الثلاثة وكتاب " الألفاظ والأساليب " .

ومما أجازته المجمع ولم يدخل فى المعجم الوسيط حتى طبعته الثالثة الصادرة فى عام ١٩٨٥ : -

(١) فى أصول اللغة : ١ / ٢٢٤ .

(٣) الألفاظ : ١٧٥ .

(٥) الألفاظ : ١٦٢ .

(٧) مجمع اللغة العربية فى خمسين عاماً : ٩٦ .

(٩) الألفاظ : ٣٤ .

(١١) فى أصول اللغة : ٢ / ٢٧ ، ومجمع اللغة العربية فى خمسين عاماً : ٩٧ .

(١٢) مجمع اللغة العربية فى خمسين عاماً : ١٠٥ .

(١٣) فى أصول اللغة : ٢ / ١٩٢ .

(٢) نفسه : ١ / ٢٢٢ .

(٤) فى أصول اللغة : ١ / ٢٠٤ .

(٦) الألفاظ : ٢١٩ .

(٨) نفسه : ٩٩ .

(١٠) الألفاظ : ٣٥ .

* التغطية بمعنى الاستيعاب مثل تغطية الندوة إعلامياً .^(١)

* لا يفيد حقه .^(٢)

* الانضباط ، مصدر انضبط مطاوع ضبط .^(٣)

* تصويب النسب إلى تربية وتنمية وتعبئة : تروى وتتموى وتعوى .^(٤)

* الملىء بمعنى المملوء .^(٥)

* رَغْم كذا ، رَغْماً عن كذا^(٦) ، إلى جانب : على رَغْمه ، وعلى الرَغْم منه ، وبالرَغْم منه ، وعلى رَغْم أنفه ، الواردة في المعجم .

* حدث أثناء كذا^(٧) ، وقد خطأها اللغويون المحدثون .

* العيد الخمسينى ، بالنسب إلى الخمسين ، والعشرينيات ، بجمع المنسوب من الملحق بجمع المذكر السالم^(٨)

* هب أنى فعلت . ولكن فى المعجم

الوسيط : هبنى فعلت أى احسبنى وأعددتنى^(٩) .

* التأرجح بمعنى التذبذب بين الأمرين^(١٠) .
والذى ورد فى المعجم : الترجُّح والارتجاج .
* عاش الأحداث ، بتعدية الفعل عاش^(١١) .
والمعروف أنه يتعدى بحرف الجر .

* قَبِل بالأمر^(١٢) ، والذى فى المعجم : قبل العمل : رضيه ، وقبل الشيء قبولاً أخذه عن طيب خاطر .

* عَبَّرَ البحار ، عَبَّرَ التاريخ ، على أساس أن عَبَّرَ ظرف حل محله المصدر^(١٣) .

* سَدَاد الدِّين أى قضاؤه^(١٤) . ولم ترد كلمة السَّدَاد بهذا المعنى فى المعجم .

* جواز دخول الكاف فى مثل : محمد كعالم خير منه كأديب .

* أجاز المجمع النسب الى فَعِيلَة وفُعَيْلة وفَعِيل وفُعِيل بإثبات الياء إلى جانب حذفها^(١٥) . ولم ترد فى المعجم .

(١) مجمع اللغة العربية فى خمسين عاماً : ١٠٧ .

(٢) نفسه : ١٠٥ .

(٥) نفسه : ١٧٢ .

(٧) نفسه : ٤٧ .

(٩) نفسه : ٥٠ .

(١١) نفسه : ٨٥ .

(١٢) نفسه : ٢٠٤ .

(١٥) فى أصول اللغة : ٢ / ٨٥ .

(٢) نفسه : ١٠٢ .

(٤) الألفاظ والأساليب : ٢٢٦ .

(٦) نفسه : ٤٥ .

(٨) الألفاظ والأساليب : ٧٩ ، ٨٤ .

(١٠) نفسه : ٥١ .

(١٢) نفسه : ١٢٩ .

(١٤) نفسه : ٢٢٢ .

* أجاز المجمع نية على نوايا ، على غير قياس^(١) .

٥ - يُعَدُّ (المعجم الوسيط) من المعاجم العصرية المجددة ، فى التحرير والترتيب والإخراج .. ويتمثل التجديد فى الترتيب الدقيق لمواده وألفاظه ، والشرح السهل المأنوس للألفاظ ، والتعريف الواضح الدقيق ، وفى الترتيب المحكم لمواده وكلماته داخل المواد ، وفى إخراجها المتمثل فى تزويده بالصور والرسوم الموضحة ، ووضع الإشارات والرموز ، والدقة فى التصحيح وإجادة الطبع ، ووضع كل باب فى أول الصفحة . (روى هذا الأخير فى الطبعة الثالثة : ١٩٨٥) ، وسأقتصر هنا على توضيح أمرين :

الأول : الترتيب بحسب الحرف الأول فالثانى
فالثالث من الحروف الأصول فى اشتقاق الكلمة ،
ما لم تكن الكلمة معربة فتوضع فى ترتيبها
الهجائى .

ولا يدعى أحد أن الترتيب بحسب الحرف الأول جديد ، فقد سبق إليه أبو عمرو الشيبانى (ت ٢١٣ هـ) فى (كتاب الجيم)^(٢) وإن كان اكتفى بالحرف الأول الذى عقد له الباب دون ترتيب للمواد داخل الباب^(٣) . والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فى (أساس البلاغة) وهو أول من اشتهر بترتيب معجمه على أساس الحرف الأول ، وابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) فى (تقويم اللسان) فى لحن العامة حيث اصطنع ترتيبا لا يقتصر على الأصل الاشتقاقى ، بل يعتبر الأصل والمزيد من الكلمة ، فلفظ استهتر مثلا لا يطلب فى مادة (هتر) بل يطلب فى باب الألف ، ولكن الكلمات لم ترتب داخل الأبواب كالنظام المعجمي^(٤) . والفَيَّومى (ت ٧٧٠ هـ) فى (المصباح المنير) . وسبق إلى الترتيب حسب الحرف الأول أصحاب المعاجم الحديثة ، والذين دعوا إلى التجديد فى المعجم .

(١) مجمع اللغة العربية فى خمسين عاما : ١٠١ .

(٢) نشره مجمع اللغة العربية فى أربعة أجزاء آخرها للفهارس (١٩٧٤ - ١٩٨٣) .

(٣) مثلا : رتبت الكلمات الآتية المبدؤة باللام هكذا : اللقيف - لحم ظبى - الاق - لماسة - ملهد - لكى - لكع - لحيجاء - لسوع - لفأت - لابل - لبد - لجن - لجم - لكث - التحى .

(٤) مثلا : رتبت الكلمات فى باب الألف هكذا : استهتر - أهل أعرايى - أسكف - اشتكى عينه - أدلج - أشلت الشيء - أعلمت - أضجى - ألجم - ألكت ... وهذه هى الكلمات الصحيحة لا المحرّفة .

ومع هذا السبق فى الترتيب قبل المعجم الوسيط ، لا نحرمة صفة التجديد بأن نسلكه مع المعاجم المجددة ولكن تجديد (الوسيط) لم يصل - على كل حال - إلى المعاجم المتطرفة فى تجديدها فى الترتيب الألفبائى الذى لا يراعى الأصول الاشتقاقية (كالمنجد الأبجدى) ، و (الرائد) ، (ولاروس - المعجم العربى الحديث) ، و (القاموس الجديد) .

وقد وصفنا هذه المعاجم الألفبائية بالتطرف ، لأنها تغفل أهم خصائص اللغة العربية ، وهى أنها اشتقاقية ، تنتظم فيها الكلمات فى أسر ، ولأن هذا الترتيب - إذا شاع - يقطع صلة الناشئة بالمعجم العربى القديم ، ولأن الترتيب بحسب الأصول الاشتقاقية ، ييسر على الطالب إدراك العلاقات بين الكلمات التى يجمعها أصل واحد ، وهذه غاية يتضاؤل أمامها التيسير على الطالب فى الكشف عن طلبته .

والقول بصعوبة الترتيب بحسب الأصول يمكن الرد عليه بشيوع (المعجم الوسيط) ، والمعاجم التى لم تتطرف فى الترتيب الألفبائى ، وبما تقوم به المدارس من توجيه للطلاب ، والتيسير عليهم حتى مرنوا على استخدام هذه المعاجم ، وقويت لديهم ملكة الربط بين الكلمات ذات

الأصل الواحد ، والمشتقات من مصدر واحد . وقد تضمنت الطبعة الثانية من المعجم الوسيط كلمة للدكتور إبراهيم مذكور تناول فيها المبدأ الذى ارتضاه المجمع فى التأليف المعجمى ، من الترتيب بحسب الأصول ، إذ قال « وفى وسعنا أن نقرر أنه استقام لمجمعنا منهج فى التأليف المعجمى يتمشى مع طبيعة اللغة العربية ، ويحقق ما نشد من يسر ووضوح ، فهى لغة اشتقاقية تقوم على أسر من الكلمات ، وليس من الملائم أن نفرق شمل هذه الأسر ، وأن نوزع أفرادها بين جنبات المعجم ، لا لشيء ، اللهم إلا محاكاة لترتيب أبجدى صرف يلائم بعض اللغات الأخرى . وفى هذا التوزيع ما يهدم وحدة المادة ، وما يقضى على أصول الدلالات ، وفقد اللغة ، وما يحول دون الفهم الدقيق ، وما لا يسمح بتكوين ملكة لغوية سليمة . وفى حدود المادة يجب أن نبوب فى عناية ، وأن نلتزم الترتيب الأبجدى فى دقة ، فليس فى غير بلبلة ونجدة فى غير شطط . ولا أدل على هذا من أن المجمع التزم فى منهجه بوضع الكلمات المعربة فى ترتيبها الهجائى ، لأنها ليست لها فى العربية أسر تنتمى إليها ، وهو لا يمانع فى أن تذكر بعض الكلمات العبرية

غير الواضحة الأصل في ترتيبها من حروف
الهجاء على أن يحال شرحها إلى مادتها
الحقيقية " (١).

ويقول الدكتور عدنان الخطيب معلقا على
معجم (الرائد) لجبران مسعود : " إلا أن نهجه
(الترتيب الألفبائي) إذا شاع كما يراد له ،
فَمِنْ بقطع صلة الأجيال الصاعدة بالمعجم العربى ،
ولعل مؤلفه يعود إلى تقويمه ، إن كان ممن يغار
على العربية من عقوق أبنائها حقا . " (٢)

ويقول الأستاذ الهادى بُوخُوش فى دراسته فى
(القاموس الجديد) مخالفا منهجه فى الترتيب
الألفبائي : " إن هذا المنهج فى الترتيب أدى إلى
قطع الصلة بالمعاجم العربية القديمة والحديثة
القائمة على الترتيب الألفبائي حسب أوائل
الأصول ، والقائمة أيضا على ترتيب المادة
اللغوية وفق مفهوم الاشتقاق " (٣).

الأمر الثانى الذى قلت إنى سأقف عنده : هو
الترتيب المحكم داخل المادة اللغوية وفق ما يلى :

١ - تقديم الأفعال على الأسماء ..

٢ - تقديم المجرد على المزيد من الأفعال .

٣ - تقديم المعنى الحسى على المعنى
العقلى ، والحقيقى على المجازى .

٤ - تقديم الفعل اللازم على الفعل
المتعدى .

٥ - ترتيب الأفعال الثلاثية المجردة بحسب
أبواب الماضى مع المضارع : باب نصر - باب
ضرب - باب فتح - باب علم - باب كرم - باب
حسب . وتقديم المبني للمعلوم على المبني
للمجهول ، وترتيب الفعل الثلاثى المزيد ترتيبا
هجائيا كما يلى :

أفعل - فاعل - فعل - افتعل - انفعل -
تفاعل - تفعل - افعل - استفعل - افعوعل
- افعال - افعوول - وترتيب الرباعى المزيد
بحرف بعد الثلاثى المزيد : تفعلل .

ومن الجديد فى ترتيب المضعف الرباعى أنه
فصل عن مادة الثلاثى - خلافا للمعاجم القديمة :
فكلمة : زلزل وردت فى ترتيبها الحرفى لا فى
(زل) كما ذكرت (زل) فى (زلل) .

أما ملحق الرباعى مثل (كوثر) فقد وضعت
فى موضعين : الاول وهو (كثر) حيث وضع

(١) المعجم الوسيط : تصدير الطبعة الثانية .

(٢) المعجم العربى بين الماضى والحاضر : ٥٩ .

(٣) وقائع ندوة إسهام التونسيين فى إثراء المعجم العربى : ٢٢٢ .

معناها ، والآخرفى (كثر) محالة على
(كثر) .

هذا فى الأفعال ، أما الأسماء فقد رتب
ترتيباً هجائياً .

وهذا الترتيب داخل المواد سبق إليه المجددون
أيضاً كبطرس البستاني وسعيد الشرتونى وعبد
الله البستاني (١) .

ونخلص من كل ما سبق إلى أن (المعجم
الوسيط) تحقق له ، وتوافر فيه ، من أسس
التجديد المعجمى ومظاهره ، ما يهيب له مكاناً
مرموقاً بين المعاجم المعاصرة ، وما يجعل مجمع
اللغة العربية هيئة مجددة ، بفضل هذا المعجم ،
والمعجم الكبير ، والمعجم الوجيز ، ومعجم
ألفاظ القرآن الكريم ، ومعاجم المصطلحات
العلمية والفنية ، وألفاظ الحضارة الحديثة .

ولكن كلمة التجديد ليست وحدها فى تحديد
انتماء (المعجم الوسيط) ، لأنه بغير شك
محافظ أيضاً .

وهذه : مظاهر المحافظة

* إن جمهرة المادة اللغوية فى (المعجم

الوسيط) هى عماده ، وإن أساس التعريف
والشرح هو اللغة العربية الفصحى ، مع مراعاة
إيثار اللفظ السهل المألوس .

* حافظ المعجم على الترتيب المؤسس على
الأصول الاشتقاقية للكلمات ، ولم يجنح إلى
الترتيب الألفبائى المطلق .

* لا يأخذ اللفظ أو المصطلح طريقه إلى
المعجم إلا بعد بحث وتمحيص ، من لجنة
متخصصة تتكون - عادة - من عدد من
أعضاء المجمع يعاونهم بعض الخبراء المتخصصين
ثم يعرض الأمر بعد ذلك على ، مجلس المجمع
، فمؤتمر المجمع . وفى الأعم الأغلب يحرص
أعضاء المجمع على الصحة والسلامة اللغوية
فى كل ما يقرونه . وفى (المعجم الجغرافى
(و (المعجم الفلسفى) مثلاً نص على مراعاة
المصطلح العربى القديم ، إلا إذا كان قاصراً عن
تأدية المعنى المقصود فى المفهوم العلمى
الحديث (٢) أو طغى عليه استعمال حديث .

(١) راجع : د . حسين نصار ، المعجم العربى ج ٢ / ٧١١ - ٧٣٠ .

(٢) د . شرقى ضيف : مجمع اللغة العربية فى خمسين عاماً : ١٦٥ ، ١٦٦ .

* قصر الاشتقاق من الجامد العرب على الحاجة العلمية ، حيث قرر بعد إجازة سبعة ألفاظ من هذا النوع : " وفي جميع هذه المشتقات يقتصر على الحاجة العلمية ، ويعرض ما يوضع منه على المجمع للنظر فيه ^(١) " .
أما الاشتقاق من الجامد العربى فأقره .
* قيدت لجنة المعجم ما أدخلته فى متنه من الألفاظ المولدة (ومنها المحدثه) ، أو المعربة ، أو الدخيلة بأنه " ما دعت الضرورة إلى إدخاله " . ^(٢)

* استشهد واضعو المعجم بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأمثال العربية ، والتراكيب البلاغية المأثورة من فصحاء الكتاب والشعراء ^(٣) .
وهم - وإن كانوا وسعوا دائرة الاستشهاد بإضافة شعراء لم يكن اللغويون القدماء يستشهدون بشعرهم - قد تحروا الدقة واختيار من عرفوا بالمحافظة على الصحة اللغوية .
* صدور المعجم عن هيئة لغوية تضم المحافظين من اللغويين إلى جوار المجددين ، جعل للمحافظة وجوداً فى المجمع والمعجم .

(١) فى أصول اللغة : ١ / ٢٥١ .

(٢) المعجم الوسيط : ١٣ (مقدمة الطبعة الأولى) .

(٣) المعجم الوسيط : ١٣ (مقدمة الطبعة الأولى) .

خاتمة

(أهم نتائج البحث)

- * تبين من هذا البحث أن (المعجم الوسيط)
فيه من مظاهر التجديد ما يحملنا على القول
بأنه " مجدد " وفيه من مظاهر المحافظة ما
يحملنا على القول بأنه " محافظ " ، ولكن
تجديده في رأينا أكثر من محافظته .
- * يختلف منهجه عن منهج المعجمين القدماء
في :
* استشهاده بأقوال الشعراء والأدباء الذين لم
يحتج القدماء بأقوالهم .
- * فتح باب الوضع والقياس للمحدثين وإثبات
ما ترتب على ذلك من ألفاظ .
- * يعترف بالمعرب من الكلام الأعجمي بعد
عصر الاحتجاج أسوة بما عربه القدماء ، وبالمؤكد
الذي استخدمه من جاءوا بعد عصر الرواية ،
وبالدخيل الذي اقتضى تطور الحياة الاعتراف
به ، وبالمحدث الذي استعمله المعاصرون من
مجمعيين وغير مجمعيين .
- * تطبيق نظام ومنهج سديدين في التحرير
والترتيب والإخراج ، والتخلص من أكثر عيوب
هذه المعاجم .
- * ويختلف عن المعاجم السابقة عليه في القرن
العشرين بأنه :
* صادر عن هيئة لغوية تضم لفيفا من
- اللغويين والعلماء المتخصصين في فروع العلم
المختلفة ، ولهذا خضعت مادته للمراجعة
الدقيقة .
- * حقق مانادى به بعض المعجميين المحدثين
في القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، وحتى
اليوم ، من الاعتراف بأقوال الشعراء الذين لم
يحظ شعرهم بالوصول إلى مرتبة الشاهد .
- * أضاف إلى اللغة العربية مادة أغزر عن
طريق المصطلحات العلمية والفنية والحضارية .
- * تقدم خطوات كبيرة في مجال الترتيب
والإخراج .
- * خلا من العيوب والمآخذ التي أخذت على
(محيط المحيط) ، و (المنجد) ، و (أقرب
الوارد) ، وغيرها من معاجم اليسوعيين .
- ويختلف عن المعاجم التالية له في :
* اتخاذ عدد من هذه المعاجم منهجا متطرفا
في الترتيب الألفبائي ، كالمنجد الألفبائي ،
والرائد ، والقاموس الجديد ، والقاموس
المدرسي ، ولاروس - المعجم العربي الحديث .
- * اعتمد هذه المعاجم على (المعجم
الوسيط) في كثير من مادته^(١) .
- * صغر حجمها ، وقلة مادتها ، إذا قيست
بالمعجم الوسيط .

(١) من هذه المعاجم التي اعتمدت على (الوسيط) اعتمادا كبيرا ، معجم صدر عام ١٩٨٩ عن " المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "

وقد كتبت عنه بحثا في حواشي كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر (العدد ١٣ - ١٩٩٠) ، أثبت فيه تأثيره بالوسيط .

* صدور هذه المعاجم عن فرد واحد ، كالمرجع لعبد الله العلايلي ، والرائد لجبران مسعود ، ولاروس - المعجم العربي الحديث ، للدكتور خليل الجرّ . أو عن ثلاثة أفراد كالقاموس الجديد والقاموس المدرسي ، للمؤلفين الثلاثة : على بن هادية ، وبلحسن البليش ، والجيلاني بن الحاج يحيى ، على حين صدر (المعجم الوسيط) عن هيئة لغوية مجمعية .

ومهما يكن من أمر التجديد في الوسيط فإنه لا يدفعني إلى أن أؤيد الدكتور إبراهيم مذكور تأييداً مطلقاً في قوله مصدراً المعجم الوسيط :

" لا سبيل إلى مقارنته بأي معجم من معاجم القرن العشرين العربية ، فهو دون نزاع أوضح ، وأدق ، وأضبط ، وأحكم منهجاً ، وأحدث طريقة . وهو فوق كل هذا مجدد ومعاصر . (تصدير الطبعة الأولى ص : ١٠) .

ولا سبيل إلى أن نكرر هنا مظاهر المحافظة الواضحة في الوسيط ، حتى ننتهي إلى القول بأنه معجم مجدد ومحافظ ، ولكن تجديده أكثر من محافظته .

ومع إيماني بضرورة التجديد في المعجم بعامة فإنني أخشى على (المعجم الوسيط) من سيل الألفاظ العامية الحديثة ، ومن ميل بعض

أعضاء المجمع نحو اتجاهات التجديد ، وهو ما يحسه المتتبعون لمنشورات المجمع ومحاضر جلساته ، حتى لقد أجازوا أخيراً (صاروخ أرض جو) (مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً ١٠٣) و (يلعب الكرة) (مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً : ١٠٣ ، و (اعتذر عن الحضور) بدلاً من : عن عدم ووحدي ووحدية (في أصول اللغة : ٣ / ٩٧) ورفض مؤتمر المجمع تعبيراً أنجازه المجلس في مثل قولنا : عدد أعضاء ندوة المجمعين - بما فيهم التونسيون - أربعون (الألفاظ والأساليب : ٩٧) .

* وهذا أول اقتراح أقرحه عليهم : أن يوازنوا بين المحافظة والتجديد .

* وأقترح أن يضيفوا إلى المعجم عدة مئات من الصور في الطبعة الرابعة ، فمنذ الطبعة الأولى وحتى الآن لم يتجاوز عدد الصور ستمائة صورة (أجاز المجمع ست مئة) على حين يصل عدد الصور في القاموس التونسي الجديد إلى ١١٥٤ صورة . وفي عام ١٩٢٧ كان في (المنجد) ألف صورة .

* وأرحو ألا بتكرر ما حدث في الطبعة الثالثة من وقوع أخطاء طباعية في الإشارات

إلى حركة عين الفعل بكثرة استدعت التنبيه
عليها في الجزأين الأول والثاني .

* وحتى يواكب (المعجم الوسيط) مجمع
اللغة العربية في حركته ، والمصطلحات الجديدة
في زحفها السريع ، يجب أن تصدر طبعة
جديدة كل عامين على الأكثر . والفارق بين
الطبعات الحالية اثنا عشر عاما بين كل
طبعتين .

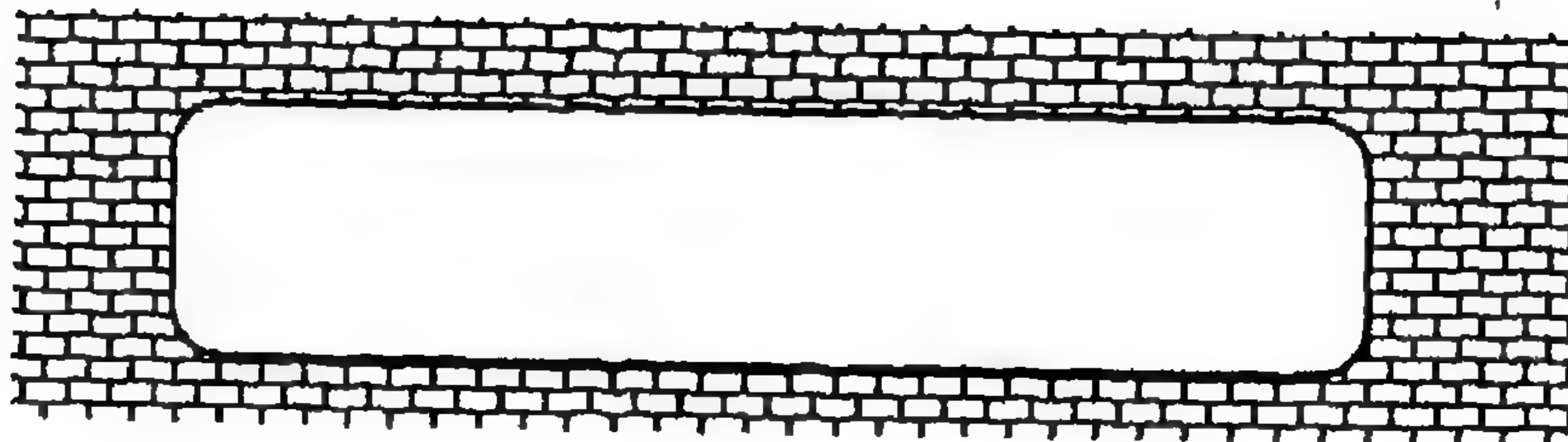
* يجب أن تنسب جميع الشواهد الشعرية

الموجودة في المعجم إلى قائلها ، وينص على
غير المعروف نسبته ، فإن في المعجم شواهد غير
قليلة لم تنسب .

* ينبغي أن تكون لدى المجمع خطة لجعل
(المعجم الوسيط) معجما لكل العرب ، بحيث
يُنقَى من الكلمات المحلية ، والمصطلحات
الإدارية في قطر أو قطرين ، وبحيث تؤخذ
الألفاظ التي نص على أنها (مُحدّثة) عن
كتاب الوطن العربي من الخليج إلى المحيط .

والله ولي التوفيق .،

عبد العزيز مطر



ثبت المراجع

- إبراهيم أنيس (الدكتور) : من أسرار اللغة - الطبعة الرابعة - القاهرة - ١٩٧٢ .
- إبراهيم بيومي مذكور (الدكتور) : - المعجم العربى العربى فى القرن العشرين - مجلة المجمع ح ١٦ - ١٩٦١
- تصدير الطبعات الأولى والثانية والثالثة من المعجم الوسيط .
- إبراهيم السامرائى (الدكتور) : مع المصادر فى اللغة والأدب - دار الفكر - عمان - ١٩٨٣ .
- أحمد مختار عمر (الدكتور) : البحث اللغوى عند العرب - القاهرة - ١٩٧١ .
- حسين نصار (الدكتور) : المعجم العربى : نشأته وتطوره - مكتبة مصر - القاهرة - ١٩٦٨ .
- شوقى ضيف (الدكتور) : مجمع اللغة العربية فى خمسين عاما - القاهرة ١٩٨٤ .
- عبد العزيز مطر (الدكتور) : لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة - دار المعارف - ١٩٨١ .
- عبد الله كُتُون : نظرة فى منجد الآداب والعلوم - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة - ١٩٧٢ .
- عدنان الخطيب (الدكتور) : المعجم العربى بين الماضى والحاضر - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة - ١٩٦٧ .
- على عبد الواحد وافى (الدكتور) : فقد اللغة - دار نهضة مصر - الطبعة السابعة .

- مجمع اللغة العربية :

- مجموعة (فى أصول اللغة) ح ١ وح ٢

وح ٣ .

- أعداد مختلفة من مجلة المجمع .

- كتاب (الألفاظ والأساليب) .

- معاجم المجمع : الوسيط ، الوجيز ، الكبير

(ح ١ ، ح ٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ،

معاجم المصطلحات .

تقديم (القاموس الجديد) - نشر الشركة

التونسية للتوزيع ، والشركة الوطنية للنشر

والتوزيع بالجزائر - ١٩٧٩ .

بحث فى (القاموس الجديد) منشور فى

كتاب (وقائع ندوة إسهام التونسيين فى إثراء

المعجم العربى) التى نظمتها جمعية المعجمية

العربية بتونس - نشر دار الغرب الإسلامى -

. ١٩٨٥

- محمود المسعدى :

- الهادى بوحوش :

الأثر الإسلامى فى شعر الهوسا

دراسة لمطلع القصيدة

للدكتور مصطفى حجازى السيد حجازى

وصل الإسلام إلى بلاد الهوسا بغدة وسائل ،
منها مرور الحجاج بهذه البلاد قاصدين مكة
المكرمة ، والعلاقات التجارية التى كانت
بينها وبين شمال افريقية والسودان الغربى ،
والإتصال السياسى بصنغى ورنو .

ويمكن القول أن الإسلام تسرب إلى هذه
البلاد خلال القرن الرابع عشر الميلادى ، حيث
توجد شواهد تحمل الأسماء الإسلامية فى قوائم
ملوك هذه الفترة ، وتذكر حوليات ولاية " كانو "

أن الدين الإسلامى دخل إليها خلال حكم
الأمير الملقب " ياجى yaji " (١٣٤٩ -
١٣٨٥) حيث وفد فى عهده أربعون رجلا من
الونجارا ^(١) wangarawa ، وأدخلوا الإسلام
إلى هذه البلاد . كما تذكر سجلات ولاية
"كتسينا" أن " محمد كُورُو " (١٣٢٠ -
١٣٥٣ م) أدخل الإسلام فى هذه الولاية ،
وساعده فى ذلك " إبراهيم سُرَ " الذى خلفه
من بعده ^(٢) .

نشأة الشعر والشعراء :

وهكذا قامت مجموعة من العلماء صاحبت
المغلى أو جاءت بعده مباشرة بإنشاء الكتابة
العربية الوطنية ، إلا أنه لم يكتشف من

* ولم يكتب للإسلام الانتشار الواسع إلا بعد
أن وفد إلى هذه البلاد محمد بن عبد الكريم

أعمالهم إلا أسماؤها فقط ، فقد كُتبت بخط اليد فى مادة الفقه الإسلامى - وهو المطلب الأول لأية جماعة حديثة العهد بالإسلام - إلى جانب التصوف الإسلامى (٥)

وكان عبد الله ثقة أول من ظهر فى هذه الفترة من التاريخ ، وعاش فى مدينة كانو فى بداية القرن السابع الميلادى ، وكان يقوم بتدريس التصوف الإسلامى وعلوم الفقه ، وقد كتب قصيدة بعنوان " العطية للمعطى " وهى من أطول المنظومات العربية فى هذه البلاد ، ذكر فيها أسس بعض الشعائر الإسلامية ، فتحدث عن العبادات ، وتناول بعض المسائل الإسلامية المهمة . كالحج والجهاد والإدارة العامة وغيرها من مسائل العقيدة ، ودعا إلى التقشف والزهد فى الحياة الدنيا ، مما يدل على تقدم المعرفة الإسلامية فى هذا الوقت ، كما يعتبر أول من تبنى البحوث العربية فى نظم الشعر الهوساوى (٦) .

وبعد ذلك بقليل ظهر عالم آخر فى مدينة " كتسينا " وهو " طن مرينا " وقد كتب شرح " الوصايا المتقبلة " المعروفة باسم " العشرينيات "

وهى لشاعر مغربى هو أبو زيد عبد الرحمن بن سعيد أحمد الفزازى ، وهى قصيدة فى مدح الرسول الكريم ، وكان لهذه المدائح النبوية أثر كبير فى خيال وأسلوب شعراء الهوسا فيما بعد ، وشرح " طن مرينا " لها يشتمل على بذور التطور الأدبى ولكن لسوء الحظ ضاع هذا الشرح (٧) .

والعمل الثانى لطن مرينا هو " مسجرة الفتيان " وهو شعر عربى يحث فيه العلماء الشبان على البحث عن المعرفة كهبة من الله سبحانه وتعالى ، ولم أعثر على هذه القصيدة (٨) . وهكذا ظهرت المنظومات التعليمية فى الفقه والتصوف الإسلامى مستعملة البحور والأوزان العربية فى مدينة " كانو " على يد عبد الله ثقة ، وتبعه بعد ذلك " طن مرينا " فى مدينة " كتسينا " ثم أخذ عدد الشعراء يزداد بعد ذلك حين ظهر الشيخ عثمان بن فوديو .

ويمثل الوعظ أكثر الأنواع انتشارا بين متكلمي الهوسا ، وقد جذب هذا اللون من الشعر انتباه المجاهدين فى القرن الثامن

عشر وأوائل التاسع عشر ، وأبرز من كتب
فى هذا خلال هذه الفترة هو " عبد الله بن
محمد " فله كتابات كثيرة باللغة العربية شعرا
ونثرا ، كما كتب بلغة الهوسا والفولانى ،
وقد تبقى من هذه الأعمال ثلاث قصائد بلغة
الهوسا ، أحداها قصيدة باسم " wakar sira "
أى شعر السيرة ، وقد تناول فيها حياة سيدنا
محمد ، والقصيدة الثانية تتناول الإحتفال
بنصر المسلمين فى معركة kalem kalambina ،
والعمل الثالث المعروف له هو قصيدة باسم "
Mulkin Audu " أى حكم عبد الله (٩) ،
وهى فى الوعظ (١٠)

إما " محمد تَكُرْ " (١١) فقد كتب عدة
قضائد باللغة العربية والهوسا ، وله قصيدتان
بالهوسا ، الأولى بعنوان « Bakin mari »
أى القيد الأسود ، وقد بلغت ثمانين بيتا ،
والقصيدة الثانية بعنوان « Sharifiyya »
أى الشريفة ، وغير ذلك من القصائد التى
تنسب إليه ، ويُعد شعره وشعر عبد الله بن

محمد أنموذجا للوعظ المبكر فى شعر الهوسا ،
احتذاه شعراء الهوسا فيما (١٢) بعد .

ونبغت أسماء بنت الشيخ عثمان بن فوديو
فى هذا المجال ، فقد كان لها شهرة واسعة فى
التعليم ، وكتبت عدة أعمال باللغة العربية
والهوسا ، والفولانية ، وأشهر أعمالها
قصيدتها الهوساوية بعنوان شعر التجول
wakar Gewaye ، وتحدث فيها عن حياة
والدها فى فترة تجواله للدعوة الإسلامية
والحملات العسكرية التى كان يقوم بها لنشر
الدعوة ، ولها قصيدة أخرى بعنوان « مناجاة »
وهى ليست ذات قيمة أدبية فهى تذكر أسماء
السور القرآنية فقط ، وأهم أعمالها الأدبية
قصيدة بعنوان « قصيدة فى مدح الرسول »
وهى أنموذج للمدائح النبوية بلغة الهوسا (١٣) .

ومن كتبوا فى شعر السيرة النبوية
« قاسم دوجال » ١٨٤٥م ويظهر فى شعره
تأثير القصص الشعبى الذى يدور حول القصص
الأساسى ويستفيد فى شعره كثيرا من واقعة

الإسراء والمعراج ، وله قصيدة فى ذلك بعنوان «Wakar Muhammad» أى شعر محمد .

مصادر الشعر الهوساوى :

ولم تكن المعانى والأفكار التى وردت فى شعر الشعراء خلال هذه الفترة المبكرة من لدن هؤلاء الشعراء ، فقد كانوا علماء ، تعلموا اللغة العربية ، وقرأوا الكثير من الكتب العربية فى مختلف العلوم الإسلامية ، لذلك استمدوا معانيهم وصورهم وأفكارهم مما قرأوه ، وصبّت هذه المعانى فى البحور العربية بلفة الهوسا .

وكان من أهم الكتب التى انتشرت فى غرب افريقية ، وظهر تأثيرها فى المنظومات والشعر الهوساوى فى هذه الفترة ، القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف وتفسيرهما ، وبذلك صارت المصدر الأساسى للقصائد الإسلامية بينهم .

ويتبع سكان غرب افريقية - بما فيهم الهوسا - مذهب الإمام مالك ، وينتشر بينهم تفسير الجلالين ، وصحيح البخارى ، بالإضافة إلى كتب الإمام جلال الدين السيوطى ، وعبد

الرحمن بن أحمد القاضى ، ونصر الدين بن محمد السمرقندى ، وكتاب السنوسى فى التوحيد . كل هذه الكتب كانت المصدر الأساسى لما ورد فى شعر الهوسا من وعظ وعقائد .

ومن أهم الأعمال العربية التى أثرت فى شعر المدائح والسيرة النبوية فى هذه الفترة هى بردة الإمام البوصيرى ، وقصيدة الفزازى المعروفة باسم « العشرينيات » والقصيدة « الوترية » للخمى الذى عاش فى القرن الثالث عشر الميلادى ، و « سمت الهدى » للتوزرى ، وهو شاعر مصرى عاش فى القرن الثالث عشر الميلادى كذلك ، إلى جانب سيرة ابن هشام والواقدي و « نظم الدرر فى المغازى والسير » وقد جاء شعر المدائح النبوية مملوءاً بالخيالات والمعانى والأفكار الواردة فى هذه القصائد والأعمال الأدبية وتفسير القرآن والحديث (١٤) .

وهكذا نرى أن الشعر الهوساوى نشأ على أيدي علماء الفقه والتصوف الإسلامى لذلك كانت نشأته إسلامية يظهر فيها الروح

الإسلامى فى عدة جوانب ، فقد كانت بداية القصيدة ونهايتها إسلامية ، وكان المحتوى إسلاميا متأثرا بما ورد فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف :

المطلع الإسلامى للقصيدة

ولما كانت المعانى والأفكار الإسلامية الواردة فى مقدمة القصيدة ونهايتها متشابهة فقد رأيت الإكتفاء بالحديث عن مطلع القصيدة متتبعا هذا الأثر الإسلامى فى الشعر الهوساوى منذ نشأته وحتى الوقت الحاضر من واقع دواوين الشعراء .

الصلاة والسلام على رسول الله :

من الآداب الإسلامية فى الحديث أن يبدأ المتحدث حديثه بالصلاة والسلام على رسول الله (ص) ، وعلى أصحابه أجمعين والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، المتبعين للسنة البعيدة عن البدعة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء ، وأشجع الشجعان ، وقائد المسلمين فى الحرب والسلام ، لا مثيل له ، صاحب الفضل على الناس أجمعين والمبعوث رحمة للعالمين .

ونظرا لما جُبل عليه سكان غرب افريقية

عامّة والهوسا خاصة من التدين ، نجد هذه المطالع الدينية غير مقصورة على حديثهم النثرى ، بل نجدها تصدر قصائدهم الشعرية. تقول أسماء بنت الشيخ عثمان بن فوديو ، فى مطلع قصيدة لها بعنوان « قصيدة فى مدح الرسول (ص) » :

Amu gode sarki mai sarauta sarmada

لنشكر الملك ذا السلطان الأبدى

Subhana sarki wanda ya yi Muhammada

سبحان الملك الذى خلق محمداً

Amu zan salati tutar muna yin sallama

ونصلى ونسلم أبداً

Bisa Annabimmu da yaf fi kowa Ahmada

على نبينا الذى فاق الجميع " أحمد "

ويقول سعد زنجرفى مطلع قصيدة له

يتحدث فيها عن وجوب نبذ البدعة واتباع

السنة (١٦)

Ka iyarda Kalmar salatu zuwa ga Alaye

واتل الصلاة على آله

Da sallama ga sahabbai masu kyan

dara'a

والسلام على أصحابه الأطهار

Mu kara salati wajen masu Fiko

ونصلى كثيرا على أصحاب الفضل

Alai sahabbansa baki daya

وعلى آله وصحبه أجمعين

ويقول فى مطلع قصيدة يتحدث فيها عن

فصاحة الأولين (١٩)

Nai wa salati da sallama bisa Musdafa

أصلى وأسلم على المصطفى

Sahabai da Alayensa mata zuriya

وصحابته وآله وذريته .

وينظم أمير « زَزُو » على بن سيدى قصيدة

بعنوان نال الفضل Mu sha Falala يقول

فى مطلعها (٢٠)

Wasallimi alaihi taslima

وسلم عليه تسليما

Bisa manzonka mai Falala

على رسولك صاحب الفضل

Dada salli alaihi ya Rabbana

وزد الصلاة عليه يا ربنا

Wa ahlil baita ya Rabbi

وأهل البيت يا رب

Da tabi'ina da tabi'ihim da ihsani

والتابعين وتابعيهم بإحسان

A kan tafarki na sunna wanda ba bidi'a

على طريق السنة دون البدعة

ويقول فى مطلع قصيدة له بعنوان " مرحبا

بالجنود " Maraba da soja يرحب فيها

بالجنود العائدين من الحرب العالمية

الثانية (١٧) .

Mu yi salatu da sallamawa

نصلى ونسلم

Ga fiyayyen Annabawa

على أفضل الأنبياء

Wanda ya shiga kwaikwayawa

الذى لا مثيل له

Shugaban jarumawa

أشجع الشجعان

ويقول الحاج مودى سفيكن فى مطلع

قصيدة له يرثى فيها الحاج عبد الله (١٨)

بايرو .

Mu gode wa manzonsa wanda ya aiko

ونشكر رسوله الذى بعثه

ويقول في مطلع قصيدة له بعنوان
 Shawara ga yara أي نصيحة للأطفال
 أو الشباب (٢٣)
 Nai wo salati 'yan'uwa gun Musdafa
 أصلي يا أخوتي على المصطفى
 Alai sahabbai nai dukan jimlawwa
 وآله وصحبه كلهم أجمعين
 ويقول في مطلع قصيدة له بعنوان
 Mu yi ya'ki da jahilci أي نحارب
 الجهل (٢٤)
 Ina yin nan salati
 أصلي هنا
 Da Manzon duk halittoci
 على رسول كل الخلائق
 وفي مطلع قصيدة له بعنوان الحج
 Hajji (٢٥) يقول
 ya Rabbi salli' ala Nabiyyu
 Muhammadu
 يا رب صلى على النبي محمد
 wa' alihi da sahabi don albaita
 وآله وصحبه وآل البيت

Da ali da sahi ya Rabbi
 والأهل والصحب يا ربي
 Musamman don su kai falala
 سيما أنهم نالوا الفضل
 ويقول ما لم خميسو يا دودو في مطلع
 قصيدة له بعنوان
 «wakar uwar mugu أم سوء»
 Muna yin yabo da salati duka
 نشكر ونصلي جميعا
 Ga Annabi shugabammu duk
 على النبي قائدنا جميعا
 ويقول الحاج إبراهيم يارو في مطلع قصيدة
 له بعنوان shawarori (٢٢)
 Dangane da siyasa أي آراء في
 السياسة
 Da Farko ina yin salati na tsira
 في البداية أصلي وأسلم
 Zuwa ga Ma'aikimmu kafin in Fara
 على رسولنا قبل أن أبدأ
 Domin in sam Fatahi don in tsara
 لأنال الفتح لأنظم الشعر

wa alihi da sahabi har zuriyarshi

وآله وصحبه وذريته

ويقول في مطلع قصيدة له بعنوان

" waƙar ' yan kungiyar Rasha"

أى شعر للوفد الروسى (٢٩) .

ya Rabbi salli ala Nabiyyuka Musḍafa

يا رب صلى على نبيك المصطفى

Da Alihi da sahabihi baki ḍaya .

وآله وصحبه أجمعين

ويقول يوسف بوتشى فى مطلع قصيدة له

من ألف بيت عن تاريخ الحرب الأهلية فى

جنوب نيجيريا المعروف باسم حرب بياثرا (٣٠)

Bismillahi ta'ala Rabbana.

بسم الله تعالى ربنا

wassalatu ga babban anbiya

والصلاة على أعظم الأنبياء

ويقول مؤلف " waƙar Bagauda " أى

شعر بجودا فى مطلع الديوان المؤلف من

قصيدة واحدة (٣١) .

Muna yin salatu da sallamawa

نصلى ونسلم

وفى مطلع قصيدة له بعنوان

" wa'azin zaman Duniya " أى

وعظ الحياة (٢٦) الدنيا

ya Rabbi Allahu salli ala

يا رب يا الله صلى على (محمد)

wa alihi Rabbi salli ala

وآله يا رب صلى على

wa sahabihi rabbi salli ala

وصحبه يا رب صلى على

shugaba namu mai gaskiya

قائدنا الصادق

ويقول فى مطلع قصيدة له بعنوان (٢٧)

Mutumcin Mutuntaka

ya Rabbi salli ala Muhammadu naka

يا رب صلى على نبيك محمد

wa alihi da sahabi tsarkakanka

وآله وصحبه أظهارك

وفى قصيدة بعنوان yabon Gwani أى

مدح المبدع (٢٨) يقول

ya Rabbi salli ala Nabiyyu ḥabibuka

يا رب صلى على النبي حبيبك

Ga Fiyayyen Annabawa

على خير الأنبياء

wanda ya shiga kwaikwayawa

الذى لا مثيل له

Shugaban Jarumawa

قائد الشجعان

ويقول أمير " زَزُو " على بن سيدى فى

قصيده له بعنوان " نال الفضل (٣٤)

Mu sha Falala

wasallim alaihi taslima

وسلم عليه تسليما

Bisa manzonka mai Falala

على رسولك صاحب الفضل

Muhammadu shugabammu duka

محمد نبينا جميعا

Najibi ran asirinka

النجيب الذى وضعت سرّك

Habibina masoyinka

حبيبى وحبيبك

ويقول عقيلو عليّو فى قصيدة له بعنوان

Bisa mai kyau sharifi dán Larabawa

على الحسن الشريف العربى

صفات الرسول (ص)

وكما أن الصلاة والسلام على رسول الله

من التقاليد الإسلامية الهامة كذلك ذكر

صفاته ، فهو خير الأنبياء اشجع الشجعان

والقائد الذى تجب طاعته ، والنجيب صاحب

الفضل ، الحميد المجد السيد - على حد

قولهم - صاحب الشفاعة يوم القيامة الصادق

الأمين الذى وضع الله فيه سرّه .

يقول سعد زنجير فى مطلع قصيدته عن

البدعة (٣٢)

Dada kawo salsala don kammalar da 'a

واكثر من ذكر - الرسول - لتتم الطاعة

Ga wanda aikensa rahama ce

wajen jama 'a

لن كانت رسالته رحمة للجماعة

ويقول فى مطلع قصيدته "مرحبا بالجنود" (٣٣)

Mu yi salati da sallamawa

نصلى ونسلم

« الدنيا رقص العذارى »

" Duniya Rawar ' yam mata "

Don Nabiyuka Hamidu

لأجل نبيك الحميد

shugabammu Mumajjadu

قائدنا المجدد

Annabimmu Muhammadu

نبينا محمد

wanda shi ne sayyidu

الذي هو السيد

Gun halitta bai daya

لا مثيل له بين الخلق

ويقول الحاج عليو فنجي في مطلع قصيدته
الأولى في الجزء الأول من (٣٧) ديوانه .

Bismillali Majidu

بسم الله المجيد

Nai nufin waka jadidi

نويت - نظم - شعر جديد

In yabon dan nan Hamidi

لإمدح هذا الأبن الحميد (محمداً)

Zushafa yaumal mi'adi

ذو الشفاعة يوم المعاد

Mai sonsa ba zai bakin ciki ba

محبة لن يحزن

ويقول إبراهيم يارو في مطلع قصيدة له

بعنوان « وعظ الحياة (٣٨) الدنيا »

Wa'azin Zaman Duniya

Muhammadu Rabbi Salli ala

رب صلى على محمد

Wa Sahabihi Rabbi Salli ala

رب صلى على صحابته

Shugaba namu mai gaskiya

قائدنا الصادق

ذكر الله

من سنن الرسول عليه الصلاة والسلام بدء

الحديث بإسم الله وذكره عقب كل صلاة ،

فعلى المسلم أن يسبح بحمده ويشكره ، فيقول

« سبحان الله والحمد لله » وإذا أعجب

الهوساوى بأمر قال « تبارك الله » وقد

انعكست هذه الآداب الإسلامية على

القصيدة الشعرية ، فنرى كثيراً من الشعراء

يبدأون قصائدهم بهذه العبارات .

بِسْمِ اللَّهِ :

يقول سعد زنجير في مطلع قصيدته عن (٣٩)

البدعة .

A'uzu billahi daga shaidani

a kan bidi'a

أعوذ بالله من الشيطان والبدعة

Sa'an nan kawo Basmala bisa

Kan rikon sunna

ثم سم الله وتمسك بالسنة

Ka biya da yin Hamdala ita ce

uwar sa'a

واتبعها بحمد الله فهي أم السعادة

ويقول معاذ هطيحا في مطلع قصيدة

يتحدث فيها عن طبائع الناس (٤٠) بعنوان

Halayen Mutane

Na Fara Wakan nan da sunan Rabbana

بدأت هذا الشعر بإسم ربنا

Allahu mai tsarki bisa zatinsa

الله الطاهر بذاته

ويقول نائب سليمان والى في مطلع قصيدة .

له عن فصل المطر بعنوان Wakar Damina

Bismilla Allahu , Madawwami

بسم الله ، الله الدائم

Shi mahaliccimmu Rahimu

هو خالقنا رحيم

ويقول أمير « زَزُو » على بن سيدى في مطلع

قصيدة (٤٢) بعنوان « ننال الفضل »

Mu sha Falala

Bismil Lahi na Fara

بسم الله بدأت

Ga Farko har zuwa kara

من الأول للآخر

Bihamdil Lahi mai shukura

وبحمد الله شكرت

Shi yai mu rahimu ya tara

هو خلقنا رحيم جمعنا

ويقول الحاج عقيلو عليو في مطلع قصيدة له

(٤٣) بعنوان

Kadaura babbar Inuwa

Bismil Lahi da shi nake Farawa

بسم الله ، أبد بها

وبسم الله من أجل مانريت

Kome nake niyyar nufin

A kan bayani kan batun sallata

shiryawa

بشرح مسألة الصلاة

كل ما أنوى طلب الهداية

ويقول فى مطلع قصيدة بعنوان (٤٧)

ويقول الحاج عليو فنجى فى مطلع قصيدته

« الصيام » Azumi

الأولى فى الجزء الأول

In zani fara sai da sunan Rabbana

Bismillahi Majidi

إن كنت سأبدأ - سأبدأ بإسم ربنا

بسم الله المجيد

Sarkin da ba wani kishiya

Nai nufin waƙa jadidi

gare shi

الملك الذى لا شريك له

نريت - نظم - شعر جديد

ويقول فى مطلع قصيدة بعنوان (٤٨)

ويقول الحاج إبراهيم يارو فى مطلع قصيدة

" Wa'azin zaman Duniya "

بعنوان (٤٥) « التوحيد »

أى وعظ الحياة الدنيا

Allah sunanka farkon faɗa

Zan Fara baitoci da sunan

الله . إسمك أول ما ينطق

Rabbana

Domin abin da nake son faɗa

سأبدأ الأبيات بإسم ربنا

لما أريد أن أقوله

Bismillahi sarki alkarinü

ويقول فى مطلع قصيدة بعنوان (٤٩)

rahimu

" Rokon ubangiji " أى سؤال الله

بسم الله الملك الكريم الرحيم

Na fara wannan waƙa

ويقول فى قصيدة بعنوان (٤٦) « الصلاة »

بدأت هذا الشعر

Wa bismilla don bisa niyar da nai

بسم الله . نويت مدح العلي

Allah Ta'ala Rabbu babu

kamarshi

الله تعالى رب لا شبيه له

ويقول معاذ هطيحا في مطلع قصيدة له

عن النعيمة واللواط والشر

Inni bada'atu bismillahi

halukuna

إني بدأت باسم الله خالقنا

Na fara waka da sunan jalla

Rahamanu

بدأت الشعر باسم - الله - جلّ الرحمن

ويقول يوسف بوتشي في مطلع قصيدة (٥٣)

له عن الحرب الأهلية

Bismillah Ta'ala Rabbana

بسم الله تعالى ربنا

Wassalatu ga babban anbiya

والصلاة على أعظم الأنبياء

شكر الله وحمده

يقول سعد زنجير في مطلع قصيدة له

بعنوان " wakar 'yan baka "

Allah ka ba ni Hazaká

اللهم هبني الحذاقة

Bismika ya halika

باسمك يا خالق

Walhikimatu in yi waka

والحكمة لأنظم الشعر

ويقول في مطلع قصيدة بعنوان (٥٠) Mutunci Mututaka

Allahu na fara fadar sunanka

الله بدأت بذكر اسمك

Allah ina rokonka don zatinka

الله أسألك بذاتك

Allah ina neman ka ban baiwarka

الله أطلب أن تهبني عطاءك

Domin Nabiyyu shugaban bayinka

من أجل النبي قائد عبادك

ويقول في مطلع قصيدة بعنوان (٥١)

" Yabon Gwani " أى مدح المبدع

Bismillahi nai niyyar yabon

mai daukaka

وعندما توفي الحاج عبد الله بايرو أمير
كانو سنة ١٩٥٣ رثاه بقصيدة يقول في
مطلعها

Mu gode wa sarkin da ba shi
da farko

نشكر الملك الذي لا أول له

Ba shi da karshe fa , shi ke da
iko

ولا آخر له ، له القدرة

وفي مطلع قصيدة يتحدث فيها صالح
كونتاجورا عن شئون الحياة ^(٥٨) الدنيا يقول
Jama'a ku taho mu yi godiya

أيها الناس تعالوا لنشكر

Gun wanda ya mallaki duniya
لدى من ملك الدنيا

وفي اليوم الثانى من شهر ديسمبر سنة
١٩٧٨ ألقى الحاج عليو نمنجى قصيدة في
حفل أقامته جامعة أحمدو بللو تكريماً له يقول
في مطلعها ^(٥٩) .

'yan uwa alhamdu lillahi
يا أخوتى الحمد لله

أى شعر مثيرى ^(٥٤) الشائعات

Muna gode Allah da ya sa mu
inuwa

نشكر الله الذى أظننا

Ta mulkin adala da ni'ima da
yalwa

بالمملك العادل والنعمة والثراء

وفي قصيدة له بعنوان ^(٥٥)

Arewa jumhuriya ko

Mulukiya

أى هل يكون الشمال جمهورى أم ملكية .

Sai mu gode Allah shi daya

يجب أن نشكر الله وحده

Don shi ne sarkin gaskiya

لأنه المتصف بالحق

ويقول الحاج مودى سفيكن فى مطلع
قصيدة له يصف فيها ^(٥٦) المدينة المنورة

Na gode Allah mai dare

أشكر الله مالك الليل

Rana da hasken safiya

والنهار وضوء الصبح

أشكر الله ، وصلاته
 Shi kuma ga Annabi Manzo nasa
 على النبي رسوله
 ويقول مؤلف شعر بجودا " Wākar Bagauda "
 في (٦٢) مطلع القصيدة
 Mu gode Ubangijimmu da ya
 yi kowa
 نشكر ربنا الذى خلق الجميع
 Da ya aiko fiyayyen Annabawa
 وبعث أفضل الأنبياء
 ويقول محمد الأول ناسنى فى مطلع ديوانه
 المكون من قصيدة (٦٣) واحدة
 Alhamdu lillahi na gode Allah
 الحمد لله ، شكر الله
 Sarki guda mai cikakken kamala
 ملك واحد تام الكمال
سبحان الله
 ينظم نائب سليمان والى قصيدة بعنوان
 « تحذير (٦٤) للعامة »
 Gargadi don falkawa

Hi mun gode ma Allah
 نشكره هو الله
 ويقول عقيلو عليو فى مطلع قصيده له بعنوان
 « تجاوز (٦٠) المزاح أداء الحج »
 Aikin Hajji ya wuce wasa
 Ba zan rasa gode Allah ba
 لن أكف عن شكر الله
 Ba zan zama mai butuluci ba
 لن أظل جاحداً
 Ba zan rasa gai da Mamman ba
 لن أكف عن تحية محمد (ص)
 وفى مطلع قصيدة " Ma'ama'are " وهى
 قصيدة ألفها الشيخ عثمان بن فوديو باللغة
 الفولانية وترجمت إلى لغة الهوسا (٦١) يقول .
 Ina gode Allah da yarda tasa
 أشكر الله برضاه
 Gwani wanda yai ni da iko tasa
 المبدع الذى خلقنى بقدرته
 Da yai talikai duka don so nasa
 الذى خلق الخلائق جميعاً لحبه
 Ina gode Allah salati nasa

Ba wanda ya yo shi ka Tabbata

بكل تأكيد لم يخلقه أحد

Sai Tabaraka Sarkin gaskiya

إلا - هو - تبارك ملك الحق

ويقول عقيلو عليو في مطلع قصيدة له

ب عنوان ^(٦٨) « رد على رسالة الشعر »

Amsa ga wasika ta sha'irci

Tabaraka na kiraye ka

تبارك أدعوك

Karimu ka ba ni baiwarka

كريم هبني عطاءك

ذكر صفات الله ومخلوقاته

ذكر صفات الله وفضله على مخلوقاته لون

من ألوان العبادات ، فهو وحده القادر على

كل شيء ، بيده الملك والسلطان والنصر ، لا

يفيد ذكاء ولا حيلة إلا بقدرته سبحانه وتعالى ،

يقول سعد زنجري في مطلع قصيدته « مرحباً

Maraba da soja ^(٦٩) بالجنود »

Allah dai ad da kudura

الله وحده لديه القدرة

Mulki , iko da nasara

يقول في مطلعها

Subhana lillahi me zan ce

سبحان الله ماذا أقول

Zamanin nan namu ya rikice

زماننا هذا قد تغير

تبارك الله الملك

ويقول نائب سليمان والي في مطلع

قصيدته عن ^(٦٥) الفصل المطير

Tabaraka sarkin sarakuna

تبارك ملك الملوك

Ya sa ni'imomi ga damina

جعل النعم في الفصل المطير

ويقول أمير « ززو » على بن سيدي في

مطلع قصيدته ^(٦٦) « نال الفضل »

Mu sha falala

Tabaraka Jalla mai rahama

تبارك - الله - جل الرحمن

Ya ba kowammu duk takama

وهبنا كل العظمة

ويقول صالح كونتا جورا في مطلع قصيدة

يتحدث فيها عن ^(٦٧) شئون الحياة الدنيا .

والملك والسلطة والنصر

وهو الذى بعث النبى

Babu tasiri da sutura

Mun gaskata kan gaskiya

فلا تأثير ولا تستر

فصدقنا بالحق

Ba tsimi , kuma ba dabara

وهو القادر الذى لا أول له ولا آخر ، يقول

ولا ذكاء ولا حيلة

مودى سفيكن فى مطلع قصيدة يرثى فيها

الحاج عبد لله بايرو أمير^(٧١) كانوا

Sai da karfin Jalla mai iyawa

إلا بقدرته جل القادر

Mun gode wa sarkin da ba shi

da farko

وهو مالك الليل والنهار ، فالتق الإصباح ،

نشكر الملك الذى لا أول له

الواحد بلا جدال ، الرب الذى لا شريك له ،

Ba shi da karshe fa shi ke da iko

بعث النبى مصداقاً بالحق ، يقول مودى^(٧٠)

ولا آخر له ، القادر

سفيكن فى مطلع قصيدته التى يتحدث فيها

عن المدينة المنورة .

وهو القادر سلطانه على كل شىء يحيى

Na gode Allah mai dare

ويميت وحياته لا تنقطع أبداً ، إله واحد ،

أشكر الله مالك الليل

خلقنا ، مالك السموات وإليه المصير ، له

Rana da hasken safiya

العظمة والملك والرحمة ، يقول مودى سفيكن

والنهار وضوء الصباح

فى مطلع قصيدة^(٧٢) يرثى فيها الشاعرين

سعد زنجير ومعاذ هطيحا

Shi wahidun ne ba musu

هو الواحد بلا جدال

Ya Rabbi , ya Rabbi ya mai

iyawa

Shi Rabbi ba shi da kishiya

هو الرب لا شريك له

يارب ، يارب يا صاحب القدرة

Ya wanda kai ke da iko da kowa

Kuma shi ya aiko Annabi

اللهم هبني الفصاحة والحكمة البالغة
Kai ne hakimuna , Gwani
Hannanu Mannanu

فأنت الحكيم البديع الخنّان المنان
وهو الرحمن الكامل المالك العادل ، يقول
صالح كونتاجورا في مطلع قصيدة له بعنوان
" Hana Zalunci " أي منع الظلم
Allahu Rahamanu Mafifici
الله الرحمن الكامل

Mai mulki tare da adalci
مالك الملك والعدل
وهو صاحب النعم الكثيرة والقدرة الفريدة
والنور والبصيرة
يقول الحاج عقيلو عليو في مطلع قصيدة له
Daddadan Dadi ^(٧٥) بعنوان
Saniya

Ya mai ni'ima mayawaiciya
ياصاحب النعم الكثيرة
Ya mai kudura makadaiciya
ياصاحب القدرة الفريدة
Haske da Basira naka ne

يا من سلطانك على كل إنسان
Mai raya kowa a ya mai kashewa
محبي كل إنسان ومحبته

Ya wanda rayinsa ba ya tukewa
يا من حياته لا تنقطع أبداً
Kai da iko Ilahi daya
أنت صاحب السلطان إله واحد
Ya wanda yai wo mu , ya mai
sama

يا من خلقتنا يا مالك السماء
Wajenka Ilahi a nan zamu koma
إليك يا إلهي سنصير
Mun tabbata kai kadai ke da girma
شهدنا أن العظمة لك وحدك
Iko da mulki sa'an nan da rahama
والقدرة والملك والرحمة لك

وهو سبحانه وتعالى الحكيم البديع الخنّان المنان ،
يقول معاذ هطيجا في مطلع قصيدة له يتحدث
فيها عن النميّة واللواط ^(٧٣) والشر
Allah ka ba ni fasaha mai
yawan hikima

rufi na samaniya

بالأراضين السبع والسموات السبع

Komi ya buya gare mu , ya
Allah Gwani

وكل ماخفى علينا ، يا الله يا مبدع

Ka sanar da mu shi , don isar
Rahamaniya

علمتنا إياه لتصلنا رحمتك

وهو القادر الصادق ، خالق الخلق ، خلقنا
وخلق الليل والنهار ،

ويقول صالح كونتاجورا في مطلع قصيدة له

" Waƙar Fahimta " بعنوان (٧٨)

Ya Jama'a mu gode Allah don
ya kamata

أيها الناس لنشكر الله لأنه واجب

Mai iko da gaskiya mahaliccin
halitta

القادر الصادق خالق المخلوقات

Wanda ya yo mu , yai dare
yai rana jimilla

الذي خلقنا وخلق الليل والنهار معاً

لك النور والبصيرة

ويقول في مطلع قصيدة له بعنوان « الدنيا

رقص (٧٦) العذاري »

Ya Ilahi mai niya

يا إلهي يا مالكي

Mai dare mai safiya

يا ملك الليل والصباح

وهو وحده يعلم ماخفى من الأمور وما ظهر ،

وما جاء وسيأتي في السموات والأرض يقول
صالح كونتاجورا في مطلع (٧٧) قصيدة له

بعنوان

Girman sani Ga Mutum Allah

Sanin komi nu boye da bayyane

الله يعلم كل شيء خفي وظاهر

A gare ka , duk yattaru kai dai

ka iya

لديك أنت وحدك تعلم

Masanin abin da ya zo da

komi ke zuwa

عالم بما جاء وكل ما سيأتي

Da kasan bakwai da bakwan

Zan fara baitoci da sunan
Rabbana

سأبدأ الأبيات بسم ربنا

Bismillahi sarki alkarimu
rahimu

بسم الله الملك الكريم الرحيم

ويقول في مطلع قصيدة له بعنوان ^(٨١)
« الصيام »

In zani fara sai da sunan
Rabbana

إن كنت سأبدأ - سأبدأ - بسم ربنا

Sarkin da ba wani kishiya a
gare shi

الملك الذي لا شريك له

ويقول في مطلع قصيدة له بعنوان ^(٨٢)

« Yabon Gwani » أي مدح المبدع

Bismillahi nai niyyar yabon
mai daukaka

بسم الله نويت مدح العلي

Allah , Ta'ala Rabbu bubu
kamarshi

وهو الطاهر المبدع في كل عمل وأعماله
عجيبة ، العلي الذي لا شبيه له في الأرض
والسموات وفي كل مكان ، يقول صالح
كونتاجورا في مطلع قصيدة له بعنوان

" Kasa aikin Jalla ta fi kome

ba da " manaki "

أي الأرض من صنعته جلّ فاقت كل شيء ^(٧٩)
عجبا

Mun gode Allah mai tsarki

لنشكر الله الطاهر

Shi ag Gwani ko wurin aiki

هو المبدع في كل عمل

Ayuyyukan ba da mamaki

وأعماله عجيبة

Maɗaukaki wanda bai da
kome

العلي الذي لا شبيه له

Cikin kasa je ka har a sama

في الأرض والسماء

وهو الملك الكريم الرحيم ، يقول إبراهيم يارو

في مطلع قصيدة له بعنوان ^(٨٠) « التوحيد »

taimako

نسأل الملك جَلُّ اليسر والمساعدة

Shi Karkare daudan nan shi
mai da baƙi fari

وأن يزيل هذه القذارة فهو محول الأسود
إلى أبيض

وتقول أسماء بنت الشيخ عثمان بن فوديرو
في مطلع قصيدة لها « قصيدة في (٨٥)
المناجاة » تتوسل فيها إلى الله ببعض سور
القرآن الكريم .

Na roki sarki Rahimu Jalla na
yi kira

أسأل الملك الرحيم - جَلُّ أدعوه

Da barkacin Hamdu hakka sura-
tul baƙara

ببركة الفاتحة وسورة البقرة

Da Alimranu dud da Nisa'u
Ma'idatu

وآل عمران والنساء والمائدة

Al'an'amu l A'rafu hal al An-
falu dud da Albara'a

تعالى الله رب لا شبيه له

الدعاء والرجاء

يقول الحديث النبوي الشريف الدعاء مخ
العبادة ، وكان كثير من شعراء الهوسا الأوائل
دعاة ، فدأبوا على إفتتاح قصائدهم بالدعاء
والتوسل إلى الله ، وقد ورث اللاحقون
السابقين في ذلك ، فنجد عبد الله بن محمد
يسأل الله النجاة يوم القيامة في مطلع
قصيدته (٨٣) فيقول .

Rabbu tsarshe mu Gashia

رب نجنا من الغاشية

Mun yi aiki da sunkiya

عملنا - الخير - وركعنا لك

Mai sarauta da mallaka

ياذا السلطة والملك

Kad da iko da daukaka

لك القدرة والرفعة

ويقول محمد تَكْرُ في مطلع قصيدة له
بعنوان (٨٤) " Baƙin Mari "

أى القيد الأسود

Fa mun roki sarki jalla sauki da

Domin tsarkin Dakin ka'aba

بحق طهارة البيت - الكعبة

Albarkar Annabi Manzonka

وبركة النبي رسولك

Ka tsare mu da sharrin insu

da jinnu

نجنا من شر الإنس والجن

Duna waddinu da yardarka

فى الدنيا والدين برضاك

وفى مطلع قصيدة يتناول فيها العادات

الاجتماعية السيئة كالنميمة واللواط والشر ،

يسأل الله دون الثقلين ، فقد يسألها فيمنعانه

لأنهما عاجزان ، ويسألان الله مثله ، ولكن

الله غنى كريم لا يرد سائله ^(٨٨) يقول

A gare ka nan na fake ban

roki sakalanu

إليك ألبأ ولا أسأل الثقلين

.Sakalanu su ma gare ka suke

bida Rabbu

فالثقلان هما أيضاً يرجوانك يارب

Duk a'jizi wata rana zai yi kaulanu

والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة

وفى مطلع قصيدة بعنوان

" Mu yaki jahilci " أى نحارب الجهل

يسأل معاذ هطيجا الله النجاة من الجهل نجاة

حسنة ^(٨٦) فيقول

Ya Allah ka taimake mu

اللهم ساعدنا

Kai man babban tsari da jahilci

ولنجنا من الجهل نجاة حسنة

وفى مطلع قصيدة بعنوان

" Gaskiya ba ta sake gashi"

أى الحقيقة لا تغير شعرها ^(٨٧) يسأل الله

البركة بحق طهارة البيت والكعبة وبركة النبي

رسول الله النجاة من شر الإنس والجن فى

الدنيا والدين فيقول

Ya Allah sarki mai rahama

ياالله . ياملك يارحيم

A gare ka muke son albarka

نطلب البركة منك

Subhana Allahi Karimin Sarki

سبحان الله الملك الكريم

كلاهما عاجز ويوما ما يرجوانك

Suka ce da ni babu , yaya zan

yi Dayyanu .

فإذا منعاني فماذا أقول للديان

Tilas in roke ka don kai baka

kasawa

فلا بد أن أسألك لأنك لا تعجز

Kuma ba ka taɓar da mai

rokonka Rahamanu

وأنت الرحمن لا تمنع سائليك

ويقول مالم خميسو يادود في مطلع قصيدة

له بعنوان " uwar Mugu " أي أم السوء

والمقصود المومس ، سائلا الله أن يغفر ذنوبه

والنجاة من كل الأعمال ^(٨٩) المهلكة .

Allahu sarki da yai mu duka

الله الملك الذي خلقنا جميعاً

ka yafe zunubammu don

rahamarka

أغفر ذنوبنا برحمتك

Ka tsashe mu duk ayyukan

halaka

ونجنا من كل الأعمال المهلكة

ويسأل صالح كونتاجورا الله المغفرة والرحمة

وستر الذنوب في مطلع قصيدة له بعنوان

" Hana zalunci " أي منع الظلم يقول :

Alluhu Rahamanu mafifici

الله الرحمن الكامل

Mai mulki tare da adalci

والمالك العادل

Ka jikammu ka yafe laifimmu

وارحمنا وأغفر ذنوبنا

Ka rufe zunubimmu da adalci

وأستر ذنوبنا بعدلك

ويقول في مطلع قصيدة يتحدث فيها عن

النفاق والنميمة سائلاً الله الرقاية من شر

الضالين ، مثيري الفتنة في المدينة ، وأن

يعينه على ^(٩١) ما يفعلونه .

Ya Rabbana Jalla mai Kudura

da adalci

ياربنا جل ذو القدرة والعدل

Kai ne Ka yo daukaka , Ka

hallici kankanci

أنت الذي خلقت الرفعة ، و خلقت الذل

Ka tsare mu sharrin batattu

Masu sa fitina

قنا شر الضالين مشيرى الفتنة

A gari a kan aikin da sukai

Munafunci

فى المدينة وأعنا على ما يفعلونه من نفاق

وفى مطلع قصيدة للحاج عقليو عليو بعنوان

Duniya Rawar yam mata أى الدنيا

رقص العذارى ، يسأل الله أن يهبه الفتوح

ليستطيع نظم الشعر ^(٩٢) يقول :

Ya Ilahi mai niya

ياإلهى يامالكى

Mai dare mai safiya

مالك الليل والصباح

Ga ni na dau anniya

ها قد عقدت النية

Ba ni buɗi in iya

هبنى الفتوح لأستطيع

Gargadin kan duniya

التحذير من الدنيا

وفى مطلع قصيدة له بعنوان

" Amsa Ga Wasika ta Shari'a "

أى الرد على رسالة الشعر ، يسأل الله فيها

أن يهبه عطاءه ونوره الوضاء والطاعة والتوبة

الدائمة ، وأن يقبل تحية لرسول الله ^(٩٣) يقول :

Karimu Ka ba ni baiwarka

ياكريم هبنى عطاءك

Ka ba ni gudummawar taka

هبنى عونك

Ka sa ni na aika horonka

أجعلنى أعمل بأمرك

Ka gafarce ni saɓonka

وأغفر لى مخالفتك

Ka sa ni na dinga yin tuba

وأجعلنى دائم التوبة

Tabaraka na kiraye ka

تبارك أدعوك

Karimu ka ba ni baiwarka

كريم هبنى عطاءك

Ka ba ni haskenka mai haɓaka

هبنى نورك الوضاء

أى الفصل المطير المبارك ، سائلاً الله

الغنى والفتح

Kafilun ishi bayinka

يا كفيل أغن عبدك

Ka ishe ni da girmanka

أغثنى بعظمتك

Rabbana , Ka yi min buḍi

ربنا إفتح على

Nai nufin wani ḍan taḍi

قصدت قولا وجيزاً

ويقول الحاج عليو فنجى فى مطلع القصيدة

الثانية من الجزء ^(٩٦) الأول سائلاً الله أن يهبه

العقل وحسن البيان .

Ya Ilahil arshi ba ni

يا إله العرش هبنى

Hankali da yawan bayani

العقل وحسن البيان

ويقول فى مطلع قصيدته التاسعة فى الجزء

الثانى سائلاً الله الرزق ^(٩٧) والمغفرة والعون

Rabbu mun biḍi arzikinka

رب نطلب رزقك

Ka yarda na gaida

manzonka

وأقبل تحيتى لرسولك

A Kullum ba a sau ḍai ba

دائماً وليس مرة واحدة

وفى مطلع قصيده له بعنوان

" Cuta ba mutuwa " أى المرض ليس

موتاً ، يقول سائلاً الله أن يهديه إلى الطريق

^(٩٤) المستقيم

Ubamgijina ga ni

رب ها أنا

Bara nake ya ma ni

أسألك يا مالكى

Abin nufina ba ni

هدفى أن ترزقنى

A Kan tafarki sa ni

وتضعنى على الطريق

Wanda shi ka shirya ni

الذى هديتنى إليه

ويقول فى مطلع قصيدة له بعنوان

" Damina mai albarka "

ويكرر هذا الدعاء في مطلع قصيدة له بعنوان

« سؤال (٩٩) الله » Rokon Ubangiji

Na Fara Wannan Waka

بدأت هذا الشعر

Allah Ka ba ni hazaka

اللهم هبني الحذاقة

Bisimika ya halika

- بأسمك يا خالق -

Walhikimata in yi waka

والحكمة لأنظم الشعر

ويقول معاذ هطيحا في مطلع قصيدة له عن بر

الوالدين ، سائلاً الله أن يفتح له (١٠٠)

الأبواب

Na yi roko wahabu

سألت الوهاب

Don shi shi buden abwabu

لأنه هو فاتح الأبواب

وهكذا نلاحظ أن الروح الإسلامى فى شعر

الهوسا يبدو جلياً فى مطلع القصيدة ، ويكاد

أن يكون هذا الأمر عاماً بين الشعراء فقد

قمت بإحصاء القصائد التى رجعت إليها فى

Gafaranka da taimakonka

مغفرتك وعونك

Mun amince ko akwaika

آمنا بوجودك

Dogarammu tana gare ka

إعتمادنا عليك

ويقول إبراهيم يارو فى مطلع قصيدة له بعنوان

" Tauhidi " أى التوحيد ، سائلاً الله أن

يهبه الحكمة والتذكر ليقول (٩٨) شعراً مفهوماً

Zan fara baitoci da sunan

Rabbana

سأبدأ الأبيات بسم ربنا

Bisimillahi sarki alkarimu

rahimu

بسم الله الملك الكريم الرحيم

Allah ka ban hikima ka ban

kuma tuntuni

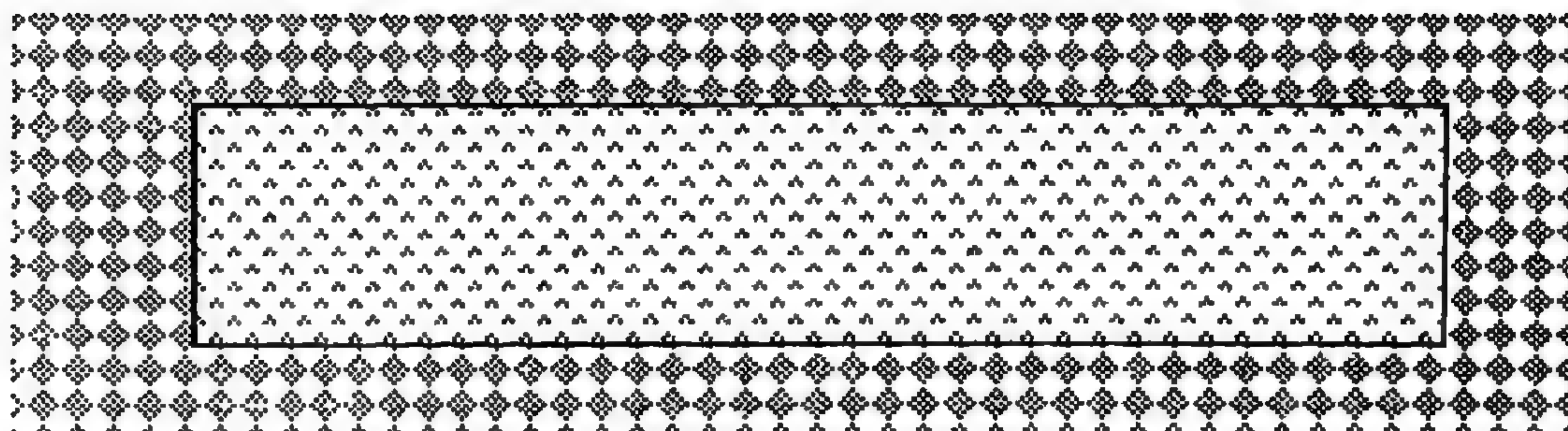
اللهم هبني الحكمة وهبني التذكر

Allah ka ban hikima in waka

falhimu

اللهم هبني الحكمة لأنظم شعراً مفهوماً

هذه الدراسة فكان عددها ١١٠ قصائد ، منها
٨٠ قصيدة بدأت بداية دينية ، و ٣٠ قصيدة
بداية عادية - كما هو واضح في الجدول التالي -
وقد أرجعت ذلك إلى ظهور الشعر على يد
طائفة من رجال التصوف الإسلامى فى عهد
الشيخ عبد الكريم المغيلى ، والشيخ عثمان
بن فوديو .



م	إسم المرجع	عدد القصائد	بداية دينية	بداية عادية
١	إبراهيم يارو محمد	٢٨	٢٠	٨
٢	أسماء بنت الشيخ عثمان	١	١	-
٣	سعد زنجير	٤	٤	-
٤	شينحو شاجري	١	-	١
٥	صالح كونتاجورا	٥	٤	١
٦	عبد الله بن محمد	١	١	-
٧	عقيلو عليو	١٤	١٠	٤
٨	عليو غنجي	١٢	٧	٥
٩	محمد الأول	١	١	-
١٠	محمد تكرر	١	١	-
١١	مودى سفيكن	٢٠	١٣	٧
١٢	يوسف بوتشي	١	١	-
١٣	Gangar Wa'azu	١	١	-
١٤	Wakar Bagauda	١	١	-
١٥	Wakokin Hausa	٨	٧	١
	الجملة	١١٠	٨٠	٣٠

مصطفى حجازي السيد حجازي

مصادر البحث :

أ - دواوين شعر الهوسا :

- 1 Aliyu Namangi : Waƙar Furan Gero , N. / N. P. C, 1981
Waƙoƙin Imfiraji juzu'i 1 - 4 , N. N. P. C, 73
Waƙoƙin Imfiraji juzu'i 1 - 9 , / N / N. P. C 75
- 2 Akilyu Aliyu : Fasaha Akiliya , N./ N / P. C , 1980
- 3 Ibrahim yaro : Waƙoƙin Basirorin Hausa , N. P. C , 1974
: Waƙoƙin Hikimomin Hausa , N. N. P. C , 74
- 4 Sa'adu Zungur : Waƙoƙin Sa'adu Zungur , NNPC. 17
- 5 Salihu Kwantagora : Kimiyya Da Fasaha , N. N. P. C , 1972
- 6 Mu'azu Hadeja : Waƙoƙin Mu'azu Hadeja , N. NP. C, 72
- 7 Mudi Sipikin : Tsofaffin waƙoƙi Da Sababbin
Wakoki , N. N. P. C , 1971
- 8 Muhammadu Lawal : Adon Duniya kar ya ja minl Hasara , N. N.
P. c , 1972
- 9 Yusufu Bici : Wakar Tarihin Rikicin Najeriya N. N. P. C , 1971
- 10 : Gangar Wa'azu , N. N. P. c 197(0)
- 11 : Ma'ama'are , N. N. P. C , 1966
- 12 : Waƙar Baƙauda , N. N. P. C , 1972
- 13 : Waƙoƙin Hausa , N. N. P. C , 1972

ب - مراجع إنجليزية :

- 14 Hiskett : A History of Hausa Islamic Verse , London , 1975
- 15 Trimingham : A History of Islam in west Africa
N. N. P , C = Northern , Nigerian Publishing Company Zaria

الموايش :

- (١) (الرنجانا هو الاسم الذى يطلق الفولانيون على السرننگه .
- (٢) l . spencer trimming ham ' A History of Islam in west Africa , p . 130 .
- (٣) Hiskett : History of Hausa Islamic verse p . 12 .
- (٤) المرجع السابق ، ص ١٢ .
- (٥) المرجع السابق ، ص ١٣
- (٦) المرجع السابق ، ص ١٥
- (٧) المرجع السابق ، ص ١٨
- (٨) أورد Hiskett ترجمه بالانجليزية فى كتابه ص ١٤
- (٩) عبد الله بن محمد (١٧٦٦ - ١٨٢٩) هو الأخ الأصغر للشيخ عثمان بن فودير
- (١٠) Hiskett , p . 28
- (١١) محمد تكرر كان معاصر للشيخ عثمان بن فودير وكان يعيش فى إمارة زمفرا حيث توفى رثنى له ضريح فى قرية Matuzzigi
- صار يؤمده الناس لاعتقادهم فى ولايته .
- (١٢) Hiskett , p . 41
- (١٣) Hiskett p . 44
- (١٤) قام Hiskett بمقد مقارنه فى كتابه بين المعانى الواردة فى الشعر الهرسارى خلال عصر عثمان بن فودير والكتب العربية التى
- تأثر بها الشعراء فى هذه الفترة .
- (١٦) Wakokin saedu zungur , p . 1
- (١٧) المرجع السابق ، ص ٦
- (١٨) Tsolaffin wakoki , Alhaji Mudi Sipikin , p. 17
- (١٩) المرجع السابق ، ص ٢٣
- (٢٠) Warorin Hausa , p . 10
- (٢١) المرجع السابق ، ص ١٨
- (٢٢) wakokin basirorin Hausa , na ibrahim yaro muhammed , p . 19
- (٢٣) المرجع السابق ، ص ٣٢
- (٢٤) المرجع السابق ، ص ٤٢
- (٢٥) wakar in hakimomin , ibrahim yaro p . 19
- (٢٦) المرجع السابق ، ص ٢٨
- (٢٧) المرجع السابق ، ص ٤٨
- (٢٨) المرجع السابق ، ص ٥٧

- (٢٩) المرجع السابق ، ص ٦٨
- wakar tarihin rikicin najeriya . yusufu A. bichi . p. 1 (٣٠)
- wakar bagauda . p. 1 (٣١)
- wakar sa'adu zungur p . 1 (٣٢)
- (٣٣) المرجع السابق ، ص ٦
- wakokin Hausa . p. 10 (٣٤)
- (٣٥) المرجع السابق ، ص ١٨
- Fasaha Ariliya , Alhaji Arilu aliyu. p. 17 (٣٦)
- Wakokin im firaji juzu'i 5 - 9 , alhaji aliyu namangi . p. 1 (٣٧)
- Wakokin Hikimomin Hausa . p. 28 (٣٨)
- Wakokin Sa'adu Zungur . P. (٣٩)
- Wakokin Mu'azu Hadeja . P. 38 (٤٠)
- Wakar Hausa . P. 4 (٤١)
- (٤٢) المرجع السابق
- Fasaha Akiliya . P. 64 (٤٣)
- Wakokin Hikimomin Hausa . p. 1 (٤٥)
- (٤٦) المرجع السابق ، ص ٥
- (٤٧) المرجع السابق ، ص ١٠
- (٤٨) المرجع السابق ، ص ٢٨
- (٤٩) المرجع السابق ، ص ٤٢
- (٥٠) المرجع السابق ، ص ٤٨
- (٥١) المرجع السابق ، ص ٥٧
- Wakokin Mu'azu Hadeja . p. 35 (٥٢)
- Wakar Tarihin Kikicin Najeriya . p. 1 (٥٣)
- Wakar Sa'udu Zungur . p. 10 (٥٤)
- (٥٥) المرجع السابق ، ص ١٣
- Tsofaffin Wakoki . p. 13 (٥٦)
- (٥٧) المرجع السابق ، ص ١٧
- Wakokin Hausa . p. 29 (٥٨)
- Wakar Furan Gero , Aliyu Namangi p. viii (٥٩)

- Fasaha Akiliya , p. 70 (٦٠)
- Ma'ama'are , p. 1 (٦١)
- Wakar Bugauda , p. 1 (٦٢)
- Adon Duniya kar ya ja min Hasara Muhammadu Lawal na Sani , p. 1 (٦٣)
- Wakokin Hausa , p. 29 (٦٤)
- (٦٥) المرجع السابق ، ص ٤
- (٦٦) المرجع السابق ، ص ١٠
- (٦٧) المرجع السابق ، ص ٢٩
- Fasaha Akiliya , p. 29 (٦٨)
- Wakar Sa'adu Zungur, p. 6 (٦٩)
- Tsoaffin Wakoki , p. 14 (٧٠)
- (٧١) المرجع السابق ، ص ١٧
- (٧٢) المرجع السابق ، ص ٥٩
- Wakar Mu'azu Had'eja , p. 35 (٧٣)
- Wakokin Hausa , p. 24 (٧٤)
- Fasaha Akiliya , p. 12 (٧٥)
- (٧٦) المرجع السابق ، ص ١٧
- Kimiyya Da Fasaha , Salihu Kwantagora , p. 1 (٧٧)
- (٧٨) المرجع السابق ، ص ٢١
- (٧٩) المرجع السابق ، ص ٣٧
- Wakokin Hikimomin Hausa , p. 1 (٨٠)
- (٨١) المرجع السابق ، ص ١٠
- (٨٢) المرجع السابق ، ص ٥٧
- Hiskell , p. 205 (٨٣)
- (٨٤) المرجع السابق ، ص ٢٠٧
- (٨٥) المرجع السابق ، ص ٢١١
- Wakar Mu'azu Hadeja , p. 15 (٨٦)
- (٨٧) المرجع السابق ، ص ٢٢
- (٨٨) المرجع السابق ، ص ٣٦
- Wakokin Hausa , p. 18 (٨٩)

- (٩٠) المرجع السابق ، ص ٢٤
- (٩١) المرجع السابق ، ص ٢٧
- (٩٢) Fasaha Akiliya , p. 17
- (٩٣) المرجع السابق ، ص ٣٠
- (٩٤) المرجع السابق ، ص ٣٨
- (٩٥) المرجع السابق ، ص ٥٩
- (٩٦) Wakokin Imfiraji , juzu'i 1 - 4 , p. 11
- (٩٧) Wakokin Imfiraji , juzu'i 5 - 9 , p. 16
- (٩٨) Wakokin Hikimomin Hausa , p. 1
- (٩٩) المرجع السابق ، ص ٤٣
- (١٠٠) Wakar Mu'azu Hadeja , p. 20

دعوة السلم فى معلقة الحارث بن حلزة اليشكرى

للدكتور فضل بن عمار العمارى

الناظر فيها يتنبه لها أول الأمر ، لأن لصاحبها من القدرة ما تختفى معه آثار الصنعة ، ولأن طبعه القوى وشاعريته الجارفة تغطى على هذه النواحي ، وتصرف النفس عن التنبيه إلى تفاصيلها ، وإن أدركها القلب ، كما يدرك الجمال فى غير تبين لمقاييس أو تنبه لأصول . . وإنك لتسمع فى شعره الأعلام تتوالى ، تشغل البيت والبيتين والثلاثة وإنك لا تدري لها مدلولاً ، وتجد لها من الدلالة الموسيقية ، ما يحمل المهمة الملفوظة موسيقى بالغة منتهى الروعة والجلال » (٥).

وإذن ، تنتفى عن المعلقة مقولة الارتجال وهى لا تقل تركيزاً وعمقاً عن معلقة ليبيد بن ربيعة العامري . والرأى السائد أن المعلقة دعوة للسلم فهى قيلت حين سير الملك عمرو بن هند اللخمى مجموعة من بكر وتغلب للغزو فأصابتهم سموم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون . فقالت تغلب لبكر : أعطونا ديات أبنائنا ، فامتنعت بكر ، فجاءت تغلب بقيادة عمرو بن كلثوم ، وجاءت بكر بزعامة النعمان ابن هرم ، وتلاحيا مما أغضب الملك على بكر ،

لقد ظلم الحارث كثيراً ، إذ قيل إنه قال معلقته هذه ارتجالاً كما فعل عمرو بن كلثوم (١) ، وربما أنصفه أبو عمرو الشيبانى الذى قال : « لو قالها فى حول لم يُلم » (٢) .

وإن التأمل فى القصيدة سيؤدى إلى أن نقول عنها كما قال نجيب محمد البهيتى عن شعر الحارث وشاعريته : « فيها من الصناعة اللفظية العامة ما لا يتهياً إلا للأفذاذ القلائل من الشعراء . والحارث سيد شعراء الجاهلية جميعاً فى القدرة الخارقة على استغلال موسيقى الألفاظ . تسمع لقصيدته فتخالها غناء منطوقاً ، تتوالى نغماته رهوة فى غير عنف أو قصر » (٣) . ويمضى البهيتى فى توضيح ذلك أياً توضيح فيقول . « وإن صناعته البارعة لتخفى فى تضاعيف ذلك الإحساس بجلالة موسيقاه ، حتى لتخالها سراً لا يتصل أى اتصال بالصنعة . فإذا أنت نظرت فيها ، وأطلت الوقفة عندها وجدت من آثار الصناعة ألواناً » (٤) . ويقول أخيراً بعد أن بين شيئاً يسيراً من ألوان تلك الصنعة : « كل هذه وجوه من الصناعة فى شعر الحارث اليشكرى لا يكاد

فقام الحارث وأنشد القصيدة من وراء حجاب حتى لا يراه الملك لأن به وضحاً ، فلما سمعها الملك قرب الحارث وحكم بتبرئة بكر . (٦) .
ومع أن الحدث يحتمل السرعة كما يتصور ، إلا أن تركيب القصيدة بهذا الشكل يعارض فكرة الارتجال . وإذا كانت معلقة عمرو بن كلثوم كما قال هبة الله في مخطوطته : « إن عمراً قالها في مرحلتين : مرحلة ما قبل مقتل عمرو بن هند ، والمرحلة التي تليها (٧) ، فما المانع أن تكون معلقة الحارث قد قيلت في فترات أيضاً ، وأن الحارث لم يتعجل إنشادها ، بل كان يتهياً لها ويعدّها إعداداً ولا بد أن زمناً قد انقضى بين ملاحاة النعمان اليشكري وعمرو بن كلثوم ، وليس أدل على أن القصيدة أعدت إعداداً ، إنها كانت جاهزة من قبل وقد أنشدّها لأنه يعرف غطرسة عمرو بن كلثوم وكبرياءه . وقد أساء القائلون فهم المقصود من ارتجال المعلقة ، فالواضح أن معنى الارتجال أنه أنشدّها على البديهة في غير استعانة بالكتابة . فقد ارتجلها من محفوظه وذاكرته دفعة واحدة . وهذا أمر ليس غريباً فحتى وقتنا المعاصر قلما كان الشعراء يعتمدون على التدوين في الإنشاد (٨) . أما

سبب إعجاب الناس بأنه قد أنشدّها ارتجالاً وبديهة ، فهو أن القصيدة محكمة النسيج والبناء ، متأنية التركيب ، دقيقة في اختيار الألفاظ ، ووزنها الخفيف وهو وزن ثقیل في النطق والإنشاد ، وقد أثار التغلب على كل هذه العوائق دهشة سامعيه ، ولا بد أن حلاوة الإنشاد وجمال الإلقاء قد جذبا ذلك الجمهور المستمع ، وهو ما قيل عنه : إن الملك أمر بأن يرفع الحجاب ويدنى الشاعر منه . وإذن فلا ارتجال وإنما بديهة ارتجال وإحكام صنعة .
ويبقى بعد ذلك أن الحارث ظلم كثيراً في وضعه بإزاء عمرو بن كلثوم ففي حين أن معلقة عمرو كانت دعوة حرب علنية سافرة ، كانت معلقة الحارث دعوة سلم وإصلاح ذات البين ، ولقد تنوَسى الحارث ، فأعلى من شأن زهير بن أبي سلمى على أساس أنه هو داعية السلام الأول في الجاهلية . وقد تبين أن زهيراً كان يتكلم بلسان سيده هرم بن سنان ويعبر عن آرائه ، ويمجد أفعاله لمصلحته الذاتية عنده ، بل إن وصف ما قاله زهير بالسلام لا يتفق و إشاعة روح الإحباط في نفوس قرائه . ويبقى السؤال : أين كان زهير طيلة الحرب التي استغرقت رداً من الزمن ، فلو كان داعية

سلام حقاً لأعلن رأيي هذا بصراحة قبل أن يقدم
سيده على حل القضية ^(٩) . ولقد يصدق بعد
ذلك وصف خلف الأحمر لزهير في بعض شعره
بالتعلق لسيده هرم ^(١٠) . أما الحارث فقد
رفع نداء الأخوة : « إخواننا الأرقام . . . »
كما سيأتى ، وهو يلوح بها كثيراً ويعلى من
شأنها درءاً لسفك الدماء قبل أن تقع حرب بين
الفريقين .

وقد آن الأوان أن نعيد للحارث بعض حقوقه
المسلوبة ، فهو فى الواقع داعية السلام الأول ،
وهو رجل الصلح الأول ، لأنه يتكلم من موقف
القوة والغلبة ، وفى الوقت نفسه يمد يده إلى
خصومه وأعدائه الدمويين لكي يشربوا إلى
رشدهم ، ويقلعوا عن تهورهم وطيشهم .

ولكى يتضح لنا الموقف السلمى ، ننظر فى
مقدمة القصيدة : إنه من الملاحظ أن القصيدة
لا تتحدث مباشرة عن الطلل كما هو الحال فى
معلقة امرئ القيس ، أو طرفة ، أو النابغة
مثلاً ، وإنما عدت بعض الأمكنة باختصار
سريع ، فالصورة الطللية فيها ناقصة غير تامة ،
ويبدو عليها طابع السرعة فهى فى ذلك قريبة
الشبه بمقدمة عمرو بن كلثوم فى قوله :

ففى قبل التفرق يا ظعينا

تخبرك اليقين وتخبرنا

بيوم كرهية : ضرباً وطعنا

أقر به مواليك العيوننا

قفى نسألك هل أحدثت صرماً

لو شك البين أم خنت الأمانة ^(١١)

فالرحيل هو الطابع المشترك بين المعلقين ،

كما تشتركان فى أنهما كليهما تفوح منهما

رائحة الكراهية والبغضاء ، فى حين أن طللية

امرئ القيس مثلاً لا تعلن إلا عن فقدان

المحبوبة وغيابها . وطللية طرفة تعكس الحنين

الأبدى إلى الجمال والمتعة فى محبته ، أما

رحيل محبوبة النابغة ، فكان رحيلاً نتيجة

ظروف صحراوية عادية ، والعلاقة بالمحبوبة علاقة

حب وود :

حان الرحيل ولم تودع مهديدا

والصبح والإمساء فيها موعدى

فى أثر غائبة رمتك بسهمها .

فأصاب قلبك غير أن لم تُقصد ^(١٢)

من هنا نذهب إلى الافتراض - وعلى عكس ما

ذهب إليه أحد الباحثين من أن الشاعر يرمز

بالمرأة إلى مشاعره نحو الملك ^(١٣) وإلى أن

المرأة فى معلقة عمرو بن كلثوم ترمز إلى بكر

وهكذا فإن المرأة فى معلقة الحارث بن حلزة

تصبح رمزاً لتغلب ^(١٤) . ويبدو أن التوافق

فى الرمز بالمرأة إلى أى من القبيلتين كان مقصوداً من قبل الشعاعين فلقد أعلنت تغلب الحرب على بكر إثر الحادثة ، فتغلب المثخنة بالجراح بعد حروبها الطويلة مع بكر وهزيمتها المنكرة على يديها ، ثم رضاها بالصلح المؤقت معهم ، كانت تتحين الفرص للثأر بأى شكل من الأشكال من خصمها اللدود بكر . وقد ظهر ذلك جلياً فى حرب الكلاب حين اشتركت تغلب فى الحرب ضد بكر إلى جانب سلمة بن الحارث الكندى ضد أخيه ثرجيل^(١٥) وها قد واتها الفرصة ثانية للانتقام منهم بسبب حادث الركب تلك ، ومعلوم أن البعداوة بين الفريقين ظلت أمداً ، حتى إنه فى أثناء الفتوحات الإسلامية قام البكريون المسلمون بتفريق التغالبة تذكراً منهم لما مضى من حوادثهم فى الجاهلية ، فقالوا : تفريق بتفريق وتحريق بتحريق^(١٦) .

إذن ، فهذه المرأة هى تغلب التى سكنت جراحها فترة إلى جوار أختها بكر ، وها هى الآن تعلن القطيعة الأبدية معها .

ويتوجه الرجل المصلح فى صوت مؤثر إلى صاحبتة - أسماء - تغلب متذكراً أماكن إقامتها إلى جانبهم بعد أن قطعاً عهداً على

أنفسهم بالصلح والسلام :

آذنتنا بينها أسماء

رب ثاو يمل من الثواء

لقد أعلنت المرأة الرمز الفرقة والخلاف ، وهو كما يتضح من قصيدته فراق حاد . وتحمل جملة « آذنتنا » الإعلام بأن ما كان ، أصبح فى حكم المنتهى ، كما تحمل أيضاً طلب الجانب الآخر الاستعداد لمواجهة ما سيأتى به المستقبل .

وما « البين » إلا كناية عن الحرب لأنها تريد أن تبتعد عن منازل بكر وتتأهب للقتال بعيداً عن مجاورتهم ، لأن للجوار حقاً وحرمة عندهم . وتبين كلمة « ثاو » أن تغلب كانت ساكنة على مضض إلى جانب بكر حتى إنها شعرت أن إقامتها تلك ثواء واستكانة ، ونلاحظ أن الحارث يشعر بالمرارة لذلك النبأ غير المتوقع حيث يتوجه إليهم مؤكداً أن إقامتهم بينهم لا تجلب الملل والضجر ، وإنما هى على العكس من ذلك . وسنواجه نحن هذا الشعور بالمرارة عند الحارث فى عموم قصيدته .

إنه يأسف ويأسى لهذا الإعلان ويريد أن يستوقف الركب قبل أن ينطلق ، ولكن هيهات ، فتغلب الغلباء تحت إمرة عمرو لا تريد إلا

القتل وسفك الدماء وإن صيحات السلم ذاهبة
أدراج الرياح .

ويتذكر مواطن إقامتهم آمين فترة ، فإذا
هى :

بعد عهد لنا ببرقة نثماء

فأدنى ديارها الخلاء

فالمحياة فالصفاح فأعلى

ذى فتاق فعاذب فالوفاء

فرياض القطا ، فأودية الشرب

فالشعبتان فالأبلاء

بكر قبيلة بدوية ، وهكذا تغلب ، وهذه

أماكن صحراوية تتراوح بين هضاب ومرتفعات ،

إلى موارد ماء وأودية معشبة . وكأن الحارث

يقول : لِمَ الحرب ونحن ننعيم بما يكفل لنا

العيش ، ويكفيينا مشونة الإقتتال ؟ ولم يا

تغلب تهجرين هذه الأماكن . فنقتتل ونحن فى

غنى عن ذلك ، إن ذلك لهُو ما يثير البكاء ،

وقد أعلنت الحرب فذهبت بعيداً تتهيين

لقتالنا ، ولكن هل ينفع بكائى ، أى توجهى

إليكم ومناشدتى لكم بالتأنى والترث ؟

لا أرى من عهدت فيها فأبكى اليوم دلها وما يرد البكاء

وهكذا ابتعدت تغلب - ابتعدت المحبوبة التى

ناشدها العهد وذرف الدموع من أجل ثنيها

عما عقدت العزم عليه . وإنه لمن المعروف أن

العرب إذا أرادت الحرب أوقدت النيران فوق

مكان مرتفع نقيراً للحرب والقتال ، وقد

حدث ذلك لتغلب نفسها عندما أوقدت النيران

ف فوق جبل خزازى فى حربهم مع اليمن (١٧) ،

ولذلك يقول عمرو بن كلثوم :

ونحن غداة أوقد فى خزازى

رفدنا فوق رفد الرافدين (١٨)

وهذه تغلب نفسها توقد النار وقد أبتعت

عن بكر بعد أن اتخذت مواقعها :

وبعينيك أوقدت هند النار

أصيلا تلوى بها العليا

أوقدتها بين العقيق فشخصين

بعود كما يلوم الضياء

إنها تتخذ مواقعها على مرأى منه ، وليس هناك

خلاف فى أن هنذا هى أسماء ، أى تغلب (١٩) .

لقد أصعنت فى الابتعاد عن بكر يلفها

الظلام أصيلا .

وتدل لفظة « العليا » على تأكيد

حالة الحرب التى أعلنتها تغلب ، فهى

لا تسير فى الأراضى المنخفضة ، وإنما

تتخذ المرتفعات . ويتأكد معنى الحرب

أكثر إذا ربطنا بين خزازى فى

معركة تغلب مع اليمن حيث انتصروا
عليهم وهم الآن يتجهون إلى الجبل نفسه ،
وكأنه أصبح رمز النصر بالنسبة لهم وكأنهم
يريدون أن ينزلوا ب بكر هذه المرة هزيمة ماحقة ،
كما حدث لجموع اليمن :

فتنورت نارها من بعيد

بخزازی ، هيهات منك الصلاء

ونشعر بداعية السلام هذا وهو يتطلع إلى
نيران الحرب الموقدة تلك بأسف وحزن عميقين ،
فقد قال من قبل : إن تغلب تتحدى طائشة
متهورقة : « وبعينيك أوقدت هند النار » ،
والآن يقول : « فتنورت نارها » . ولكن كل
ذلك « من بعيد » فلن يستطيع أن يخفف من
غلواء تغلب وقد عبر عن يأسه من تهديته
ثأثرتها بقوله : « هيهات منك الصلاء » .
هيهات أن ترعى فتصبح النار نار تدفئة بعد
أن أرادوها نار حرب .

ومع ذلك ، فإن داعية السلام الحق يريد أن
يبلغ شيئاً مما فى نفسه ، لعله يحقق مصالحة
أو مسالمة ، وقد أهمله ذلك وبلغ به التأثير
مبلغه ، فركب ناقتة متجهاً نحوهم يغصر الهم
قلبه والحزن ضميره . ومن العجب أنه لم
يخبرنا عن جهة الرحلة ، لأن الرحلة لا جهة لها .

فلن يقترب من تغلب ، ولن يستطيع بلوغ ما
يبتغيه وكانت النتيجة أن الهم هو الذى
يعبث به :

أتلهى بها الهواجر إذ كل

ابن هم بلية عمياء

لقد وضع لنا بعد كل ذلك أن مقدمة
القصيدة ، تعبر عن موقف معين تريد أن تنقله
للسامعين وتحاج دونه . ومن ثم ينتفى عن تلك
المقدمة ما ذهب إليه عز الدين إسماعيل حين
قال عن موقف الشاعر إنه يحدثنا عن خطر
يلوح مهدداً لأمنه النفسى ورضاه ، وهو فراق
محبوبته أسماء بعد عهد طويل من الاستمتاع
بالقرب منها والتنقل معها من منطقة
إلى أخرى .

وإن هذه الأماكن التى كانت تعج من قبل
بالحياة هى نفسها الأماكن التى شهدت غرام
الشاعر وحبهِ (٢٠) . وقدرى عز الدين
إسماعيل بين رحيل أسماء وما يطلق عليه فى
علم النفس « ثاناتوس » وهو يبدو لنا كأنه قد
ظهر فجأة ودون مقدمات ، وإن كان دائم
العمل فى خفاء . . . يهدد أمن الإنسان على
الدوام ويعمل فى صمت حتى إذا ضرب
الضربة كانت القاضية (٢١) وهو الموقف نفسه
الذى ذهب إليه يوسف اليوسف حين قال : إن

هذا الاندباح المكاني الفاصل بين الاثنيين
يولد إحساساً عميقاً باللوعة ، ولكنه
بالدرجة الأولى يعبر عن الحبرمان في
مجتمع قمعى . . . والنار هنا ما ينوب
مناب هذه ، وربما كانت إشارة لاشعورية
إلى ما فى خافقه ، من تأجيج عاطفى
مشبوب .

بل وقد تكون رمزاً جنسياً موغلا فى العمق (٢٢) .
فتشخيص الرمز هنا ليس وارداً فى صورة
محبوبة هى هند أو أسماء ، إذ إن الرمز
مقصود لذاته ، إنه يحمل دلالات أبعد
ومعانى أعمق تستقطب تكوين القصيدة
الشعرى كله .

وليس بعيداً بعد أن تكون حالة النعامة
وهى تعدو فى ذعر عند المساء عائدة إلى
أبنائها ، تعكس خوف الشاعر مما سيحدث
للقبيلتين لو وقعت الحرب بينهما ، ولذا فهو يعدو
فى ذعر عند المساء كذلك عندما أوقدت
تغلب النار أصيلاً ، ليتلاشى وقوع الكارثة ،
وما حالة ناقتة التى شبه بها النعامة إلا حالته
النفسية وهو يحث الخطى لإدراك القبيلتين :
غير أنى قد أستعين على الهم

إذا خف بالثوى النجاء

بزفوف كأنها هقلة

أم رئال دوية سقفاء
آنست نبأة وأفزعها
القناص عصراً وقددنا الإمساء
فترى خلفها من الرجوع والرقع
منينا كأنه أهباء
وطراقاً من خلفهن طراق
ساقطات تلوى بها الصحراء
وفى هذه الأبيات إضافة إلى الحالة
الشعورية المشتركة بين الشاعر وناقتة وما
تعكسه تلك الحالة من قلق ورهبة - كلمتان
تتشارك فيها الأبيات الأولى ، وهما ثاو - ثواء
فى مطلع المعلقة ، وفى البيت الأول هنا
« غير أنى . . . » ثم « تلوى » فى البيت
السابق : وبعينيك . . . وفى البيت الأخير هنا
: « وطراقاً . . . » فهل من المصادفة مجيئهما
بهذا الشكل ؟ لقد رأينا تغلب قمل الثواء
والركون إلى الدعة والاستسلام للأمر الواقع ،
وهو هنا يشير إليها فى حزن عبّر عنه بالهم
وهو ما يهمه من أمر الحرب التى تعلنها تغلب
دون مبرر ، وها هى أيضاً تفذ السير مندفعة
فى غير تعقل نحو مواقعها الحربية ، وهو يريد
أن يقول هنا : إننى أركب ناقتى متغلباً على
همومى الصاخبة مهتماً بأمور القبيلتين ، إذا

كانت تغلب لا تهتم إلا بنفسها وبمصالحتها الفردية . ثم ها هي هناك تلوى بها العليا متخذة من قمم الجبال معاقل لها وإن ساعية الصلح وداعية السلام ليحاول اللحاق بها ولكن شتان بيننا ، فهم فى الشاهق من المرتفعات ، وأنا أهيم فى الصحراء لا أجد سبيلاً للوصول إليهم . إن القلق من خشية نشوب الحرب قد أثر فى تأثيراً بالغاً ، وهو ما عبر عنه بأنه « ابن هم » وهو تعبير دقيق للغاية لأنه يبين لنا مدى قلقه ومعايشته لذلك القلق . وإن التيه الذى يمر به فى صحرائه وهو لا يستطيع الارتقاء إلى تغلب التى تعالت على كل شىء وتجهزت للمعركة قد جعله لا يعرف كيف يتفادى تلك الخطوب والكوارث فهو « بلية عمياء » . أى محتار قلق للمصير المنتظر بين القبيلتين وتربط قراءتنا الجملة « إذ كل . . » على أنها حال ، الموضوع ببعضه ، ولا معنى لقراءتنا لها استثنافاً لأن الحيرة والقلق ظاهرة من سيره فى الظهيرة دوغما هدف محدد .

لقد أدى الرمز دوره بكل دقة ووضوح ، وكانت الرؤية محددة عند الشاعر فهو ينشد السلام ويحرص عليه على حين أن الجانب الآخر مغالون فى عدائهم وتعديهم دوغما رادع

من عقل أو حكمة وقد اتخذوا من الأماكن العالية مواطناء قدم ليوجهوا ضرباتهم منها إلى إخوانهم بكر . ومع دقته فى التعبير عن نفور تغلب منهم ومفاجأتهم لهم ، يصرح الآن بما كان يكنى عنه . إنهم الأراقم البطن الضخم من بطون تغلب ومنهم قسادثها ورؤساؤها . فممنهم كليب ومنهم مهلهل ومنهم عمرو بن كلثوم القائد الحالى لهم . ولأنه داعية سلام ولأن تغلب أخذتهم بالمفاجأة ، استغرب منهم تلك التهديدات والإنذارات التى يطلقونها من غير روية واتزان :

وأنا من الحوادث والأنباء

خطب نعننى به ونساء

وإن الإتيان بالفعلين مبنيين للمجهول « نعننى / نساء » ليدلان على شدة العجب من فاعليهما وكأنه جاء من مجهول إذ لم يكن يتوقع أن تندلع الحرب على هذه الصورة دون سابق إنذار .

إن إخواننا الأراقم يغلون علينا فى قيلهم إحقاء وفى التعبير بالأخوة عن العلاقة بين العشيرتين الأراقم / يشكر ما يضاعف الإستنكار السابق إذ يتجاوز هؤلاء الأخوة فيتعدون حدود اللياقة ويكون فى كلامهم

قسوة وشحناء . ولقد أشار إلى أن أولئك تجاوزوا كل حد وأن الصلح معهم بعيد كل البعد : « هيهات منك الصلاء » أو كما يقول هنا : « ولا ينفع الخلى الخلاء » فهم :

يخلطون البرىء منا بذى الذنـ

بـ ولا ينفع الخلى الخلاء

زعموا أن كل من ضرب العيـ

ر موال لنا وأنا الولاء

إنه يدعوا إلى التريث فى إصدار الأحكام ،

وينشد العدل ولكن أولئك لا يكثرثون بأى

نداء إنهم : « يخلطون البرىء . . » هكذا

يبرز لنا الحارث صوتاً مرتفعاً ضد الظلم فى

مطالبته تحكيم العدل لمعرفة الحقيقة ليطمايز

المذنب من غير المذنب ، وعند ذلك تتخذ

الإجراءات العقلية الضرورية ، ولكن تغلب

سادة فى غيها مصممة على قرارها . وقد

رأيانهم سابقاً يرحلون بعيداً متنقلين من علو

إلى علو ، وها هو الرمز يفضى مضامينه من

غير احتراز ، وها هم أبناء تغلب :

أجمعوا أمرهم عشاء ، فلما أصبحوا ،

أصبحت لهم ضوضاء

من مناد ، ومن مجيب ومن تصهـ

ال خيل خلا ذلك رغاء

لقد ساروا بليل كما قال « أصيلاً » وليس

أدل على حالة الحرب من هذين البيتين .

فالمعروف أنهم يشنون حروبهم مع إشراق نور

الصباح ، وما هذه الجلبة وذلك الصباح إلا

نداءات الحرب يقول أحدهم : يالتغلب .

فيجيبه الآخر بالصيحة نفسها ، ومعروف أيضاً

أن تغلب من يربط الخيل ، وهم يركبون الإبل

ويقودون الخيل إلى أرض المعركة حتى لا تكل

وتجهد . قال سلمة بن الخرشب الأثمارى :

مقرن أفراس له براوحل

فغاولتهم مُستقبلاتِ الهواجر (٢٣)

أما إتخاذهم المرتفعات العالية للحرب

فلدينا حادثة مشابهة وقعت بين بنى عامر وبنى

أسد فى يوم شعب جبلة عندما تحصنت بنو عامر

وحلفاؤها من عبس وغنى وباهلة وبجيلة

وغيرها ضد تميم وأسد وذبيان وحلفائهم ، وقد

كان رأى كما قال الأحوص بن جعفر « نرجع

إلى شعب جبلة فنحرر النساء والضعفة

والذرارى والأموال فى رأسه وتكون فى وسطه .

ففيه ثمل (أى خصب وماء) فإن أقام من

جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ولا مقام لهم .

وإن صعدوا عليك قاتلهم من فوق رؤوسهم

بالحجارة فكنت فى حرز وكانوا فى غير حرز .

وكنتم على قتالهم أقوى . (٢٤)

وبذلك المنظر قمنا لنا مشاهدة موقف حربى اتخذت فيه تغلب حالة التأهب القصوى وأعلنت فيه النفير العام . ويبدو أن المعركة الفاصلة بينهما كانت تتوقف على نتيجة الحكم الذى سيصدره الملك ، أو أن تلك الحالة أصلاً كانت دعوة للملك نفسه لكى يأمر تغلب بالإيقاع ببكر ، أو إنذاراً له بالأل يقف فى صف بكر . المهم أن داعية السلام الحقيقى ومن منطق القوة لا الضعف والهزيمة يتوجه إلى خصمه مذكراً إياه بقوتهم ومنعتهم ويصفته رجل سياسة فيقول (٢٥) :

فبقينا على الشناعة تنمى .

نا حصون وعزة قعساء
ويعدد قدراتهم وإمكانياتهم الحربية ،
ثم يلتفت إليه ماداً له يده داعياً إياه بنبيذ
الخلاف والخصومة :

أيا خطة أردتهم فأدوها

إلينا تسعى بها الأملاء

لنحتكم إلى العقل والحكمة فيما شجر بيننا
من خلاف ، ولنرض بما يعرضه علينا الحكم
فى هذه القضية ، وهذه هى عين الدعوة إلى
السلام والمحبة والاستناد إلى ما يقرره أصحاب

الرأى والمشورة فى هذا الشأن ، أما :

إن نبشتم ما بين ملحمة فالصاقب

فيه الأموات والأحياء

أو نبشتم فالنفس يجشمه النا

س وفيه الإسقام والإبراء

إن أردتم إحياء الماضى بما فيه من ضحايا من
الطرفين ، وكانت خسارتكم هناك أكبر ، وهذه

مسألة قديمة ، وتبين كلمة « نقش » حرص
تغلب على إثارة كوامن الأحقاد فكأنها تنقش

جراحاً اندملت ، فإننا لسنا بالضعفاء . وهو

حرص على أن يكون هادئاً فى خطابه لهم فقد

أوكل معرفة الحقيقة إلى جمهور الناس عامة ،

دون تخصيص ، ولذلك جاء به « الإسقام /

الإبراء » لأن هدفه هو تحكيم العقل ، فهو

يقول : إن أثرت الماضى فالناس سوف يحكمون

بمن هو حليف الصواب ومن هو مجانبه .

ويمكن إجمال ما يتجلى فى دعوته للسلم فى

قوله :

أو سكتم عنا فكنا كمن أغم

ض عينافى جفنها الأقداء

فهو مدرك أن تغلب هى الجائرة فى

تصرفاتها ، ومع ذلك فهو لا يتردد فى

الإغضاء عن ذلك الجور إذا ثابت إلى رشد

وألقت السلاح وتركت المهاترات ولسوف
يرضون هم بالواقع الجديد على الرغم مما فيه
من تحديات وتجاوزات ، فالهدف الذى يريده
هو السلام والصلح ليس غير .

ويعضى فى تعداد مناقب قومه مبرزاً عزهم
المكين ومجدهم التليد ولعل أبلغ فخره هو
قوله :

إذ رفعنا الجمال من سعف البحر

رين سيراً حتى نهاها الحساء

ثم ملنا على تميم فأحرم

نا وفينا بنات مر إماء

وبما أن القوة لا تردع إلا بالقوة فإنه إذ

يعرض الصلح على خصومه الذين استخدم لهم

من قبل أرق كلمة إنصاف حينما سماهم

« إخواننا » يبين لهم أن اعتلاء هم الجبال لن

يجعلهم يتهيبونهم بل سيواجهونهم إذا ما

أجبروا على ذلك . وهذا منطق معقول لكى

يتذكر أولئك المتنطرسون ما سيثول إليه

مصيرهم عندما تنشب الحرب المدفوعين إليها

من غير إرادتهم :

ليس ينجى الذى يوائى منا

رأس طود و حرة رجلاء

إنه يشير إليهم وقد سعدوا تلك الأطواد

والحرات التى يتمنعون بها . ولا بد أن نتنبه
هنا إلى قوله السابق « . . . فأحرمتنا » وهى
إشارة لها معناها الواسع فى هذا السياق وهى
أن بكرة على الرغم من قوتها تلتزم الحدود
المرسومة لها فلا تتعدها ، فعندما دخلوا فى
الشهور الحرم ، توقفوا عن القتال حرمة
وخضوعاً للعرف العام ، وهى إشارة مقصودة
تهدف إلى تذكير تغلب بتغليب الحق والعدل
على تجاوز الحدود واختراق الضوابط .

وتأتى بعد ذلك أبيات صريحة كل الصراحة

فى الحث على السلم والترغيب فيه . حين راح

يذكر بنى تغلب بمعاهدة الصلح بينهم فى ذى

المجاز وما تم فيه من عهود ومواثيق مكتوبة .

وهذا تأكيد صريح على الرجوع إلى العقل

والمنطق لا إلى العاطفة والطيش وها هو

يحذرهم سوء العاقبة :

فاتركوا الطيخ والتعدى وإما

تتعاشوا ففى التعايشى الداء

ويحذرهم مغبة ذلك الإندفاع :

واذكروا حلف ذى المجاز

وما قدم فيه العهد والكفلاء

حذر الجور والتعدى وهل ينقذ

ص ما فى المهارق الأهواء

فالشطر الثانى من البيت الثانى هو الحكم
الفصل فى القضية ، فتغلب تتبع الهوى
والعاطفة فى حين أن الأمر يجب أن يرجع إلى
حكماء عدول ليفصلوا بين الطرفين حسب
الاتفاقية ، ولقد أشار إلى مطالبته بذلك فيما
مضى حين قال : تسمى بها الأملاء . وهو
يقول هنا :

وأعلموا أننا وإياكم

فيما اشترطنا يوم اختلفنا سواء
ولكن تغلب التى اتخذت قرار مسبقاً بالحرب
تتمادى فى غيها للانتقام من نكباتها الماضية .
وقد طالبهم مراراً بالعودة إلى العقل وها هو
يعود ليؤكد مطلبه من دون تفريط :

فاتركوا الطيخ والتعدى ،

وإما تتعاشوا فى التعاشى الداء

وإذا يعيشون عن ضوء الحقيقة ، يلجأ إلى
تذكيرهم بالهزائم التى لحقت بهم على يد
قبائل أقل قوة منهم ، لعلهم يرعون ويرتدعون
:

أعلينا جناح كندة أن يغنى

م غازيهم ومنا الجزاء

أم علينا جرى العباد كما نيط

بجور المحمل الأعباء

أم علينا جرى حنيفة أو

ما جمعت من محارب غبراء
أم علينا جرى قضاة أم لب
س علينا فيما جنوا أنداء
أم علينا جرى أباد كما قب
ل لطسم : أخوكم الأباء
إلى آخر تلك التذكارات الكثيرة

كما يريد أن يبين أن تصرفهم ذلك ضد بكر
بالذات ما هو إلا إسقاط لما فى نفوسهم من
جُور على بكر ولا ذنب لهم كما قال سابقاً :
« يخلطون البريء منا بذى الذنب . . . » وهو
يعود ليوضح ذلك :

عتنا باطلاً وظلماً كما تع

سبر عن حجرة الريض الظباء

فيقول : إن تحميلكم لنا ذنوب الآخرين لظلم
كبير ، فأنتم فى هذه الحالة كمن ينذر للآلهة
بأن يضحي من غنمه ، إذا نال ما يريد ، فإذا
ناله ، أخلف وعده ، فيقدم الظباء بدلاً من
غنمه ، فليس للظباء ذنب فى تقديمها بدل الغنم .

وإذا كان ذلك موقف تغلب ، فمن حقه أن
يعود فيذكرهم هنا بأن جماعات منهم أيضاً قد
طلت دماؤهم ، وذهبت هدرًا فلم يشار لهم .
وفاعلوا سحروفون معينون ، وبذلك يشير إلى
أن العقل يقضى بالاحتكام إلى أهل المشورة والرأى

فى ذلك ، خاصة . وأن هذه القضية فيها بكر
غير واضحة : « زعموا أن كل . . . » ،
فلماذا إذن الجور والتعدى وقد تناسيتم قتلاكم
فى مثل :
ليس منا المضرين ولا قبي
س ولا جنادل ولا لجداء
وثمانين من تميم بأيديهم
هم رماح صدورهن القضاء
لم يحلوا بنى رزاح ببرقا
نطاع لهم عليهم دعاء
ثم خيل من بعد ذاك مع
الغلاق لا رافة ولا إبقاء
ما أصابوا من تغلبى فمطلد
ول ، عليه - إذا أصيب - العفاء
ولعله يريد من تلك التذكارات أيضاً أن
يفصل لهم قوله : « يخلطون البرىء منا . . . »
ذلك أن ما أصاب ذلك الركب قد يكون من
غيرنا . ولعلنا بذلك نفهم أن الأبيات التى
ذكر فيها الضربات التى تلقتها تغلب من
غيرهم لا يريد بها تعيينهم بتلك الهزائم
المنكبة كما يرى ابن الأنبارى (٢٦) ، وإنما يريد
تذكيرهم بذلك حتى يثيبوا إلى رشدهم ويقلعوا
عن غيرهم ، إضافة إلى أن إتهامهم لبكر
بالذات هو إتهام غير عادل فهو يريد أن

يقول كذلك إننا لسنا الوحيديين الذين بينهم
وبينكم . ترات ودماء ، بل هناك قبائل أخرى
أصابت منكم ما أصابت دون أن يكون بينكم
من قبل ما يستوجب غزوكم ، ولعل هؤلاء هم
المسئولون عن ذلك ، فلماذا تصرون على
تحميلنا نحن بالذات وبيننا وبينكم عهد
ومواثيق مكتوبة تمنع أى اعتداء بيننا ، أما
أولئك فليس بينكم وبينهم أى عهد وميثاق ،
إنه فى الواقع تأكيد لقوله : « عنتا
باطلاً . . . » ثم كيف يكون ذلك تعبيراً منه ،
وصاحب التعبير لابد أن يكون شرساً متهجماً
مستعداً للهجوم ، وهى حالة عمرو بن كلثوم
مثلاً وهى حالة لا تتفق إطلاقاً مع حالة
شاعرنا هذا ، لأن حالته كما يقال : تتسم
بالشجو والحزن (٢٧) ، فهى حالة التذكير
وليست حالة التعبير . وهى على العموم ،
تحمل معانى الإدانة لتغلب لتجاوزهم فى
ظلمهم لبكر . وخاصة فى قوله : « ليس منا
المضرين . . . » لأن هؤلاء المضرين ضربت
رقابهم لثورتهم ضد المنذر الثالث ، ولأنهم
خرجوا عن طاعة الحاكم وآثروا الفتن ، فذهبت
دماؤهم هدراً .

ولقد فهم الجاحظ إشارات الحارث بن حنظلة

تلك فهماً جيداً حين قال عنها والحارث بن حلزة
فخر ب بكر بن وائل على تغلب ، ثم عاتبهم
عتاباً دل على أنهم لا ينتصفون منهم فهذه
الأبيات تذكير من أجل العدالة ، أو عتاب
ويتضمن العتاب الحب والإخاء وليس كذلك
التعيير . (٢٨) .

وتختتم القصيدة بمدح الملك عمرو بن هند ،
وتعداد مآثر بكر عنده مقتصر على ثلاث
مآثر منها ، فُصِّل فيها على قدر الحاجة إليها ،
ولاشك أن تلك الإشارات مقصودة منه حتى
يتنبه إلى حق بكر ومكانتها عنده فلا تغلبه
عاطفته تجاه تغلب فيميل نحوها خاصة وأنهم
-كما أكد مرارا - بريئون من دماء ذلك
الركب ومتهمون بهم . ولذلك أكد على صفة العدل
فيه وأن الخصوم تحتكم إلى رجاحة العقل وحكمته :
ملك مقسط وأفضل من يمشى

ومن دون ما لديه الثناء
إرمى بمثله حالت الخيب

ل فأبت لخصمها الأجلاء
كما قال في آخر بيت في المعلقة مشيراً إلى
صفة العدالة منه مؤكداً على أنهم مظلومون
في قضية الركب ، وأن الحكم الصائب لن

يكون إلا بالعدالة التي أسماها « النصيحة
للقوم » لكي نتجنب جميعاً إراقة الدماء
وإزهاق الأرواح البريئة .

وولدنا عمرو بن أم إياس ،
من قريب لما أتانا الحباء
مثلها تخرج النصيحة للقوم

م فلاة من دونها أفلاء
وإذا فهمنا أن الأبيات السابقة قبلاً والتي
يذكر فيها هزائم تغلب على أنها تذكير لا
تعيسير . . . نستطيع أن نفهم كذلك أن
الأبيات التي يفتخر فيها هنا ليست فخراً
حقيقياً ، وإنما هي إشارة بمواقف بكر ضد
الإعتداء على السلطة الحاكمة التي تسوس
الأمر والتي من واجباتها إقامة العدالة بين
الرعايا . وقد وقفت بكر كل هذه المواقف
نصرة للعدالة وإحقاقاً للحق ، وهو ما يتماشى
مع تحكيم العقل الذي يطلقه الحارث بن حلزة
تجاه صرخات الحرب الجائرة . فكل بيت من
الأبيات التالية يبين أن بكر ، إنما تقف إلى
جانب المناذرة لأنهم في رأيهم أصحاب السلطة
الشرعية على القبائل الخاضعة لنفوذهم .

كتكاليف قومنا إذا غزا لم
نذر هل نحن لابن هند رعاء

إذ أحل العلاء قبة ميسو

ن فأدنى ديارها العوصاء

فتأوت له قراضبة من كل

حى كأنهم ألقاء

مهداهم بالأسودين وأمر الله

به بلغ يشقى به الأشقياء

ويقول :

وفعلنا بهم كما علم الله

به ، وما للخائنين دماء

وليس مصادفة بعد أن يكون « أمر الله بلغ »

لأن أولئك كانوا ضد العدالة وحق بذلك أن

يشقى به الأشقياء » الجائرون المعتدون كما أنه

ليس مصادفة كذلك أن « كما علم الله » لأن

الله يقف ضد الظلم ، لأن الحق هو المنتصر

ولذلك فإنه « ما للخائنين دماء » لأنه حان

هلاكهم وقتلهم بفعل أعمالهم المعتدية . فبكر

كما يريد أن يقول : صاحبة حق وعدل وهى لا

تسعى إلا لتحقيق ذينك الهدفين .

وأخيراً فإن أسلوب المعلقة الهادى الرصين

ومحاوراته المتعلقة فى إشاراته إلى المتعددة

إلى الظلم والتعدى ونداءاته المتكررة لتحكيم

العقل وتوجهاته لهم بالترث والإنتظار ، لأكبر

دليل على أن الشاعر من منطلق الإقتدار

يواجه خصومه طالباً منهم العودة إلى رشدهم ،

مناشداً إياهم أن يلقوا السلاح ، وأن يتركوا

أهل البصيرة والعقل لكى يملو ما يرونه عدلاً

وصواباً ، بل أن هذه المقايسة لتصديق جداً إذا

ما قورنت هذه المعلقة بمعلقة عمرو بن كلثوم ،

فهذه تعكس شخصية رجل شيخ أحكامته

التجارب وحنكته الظروف والحياة ، وتلك

تعكس شخصية رجل متهور طائش تبرز فيها

العضلات ويغيب فيها العقل والرشاد ، وهذه

هادئة كل الهدوء تخاطب العقل أولاً وأخيراً

ولا تتدخل فيها العاطفة إلا على قدر الحاجة

إليها . وظلت القصيدة فى مسارها كله هادئة

متأنية على الرغم من أنها تواجه خصماً عنيداً

كعمرو بن كلثوم . وقد كان بإمكان الحارث أن

يضج كما ضج عمرو فهو فى حماية الملك

وأمره نافذ على الفريقين ، ولكنها الحكمة

والتعقل اللذان دفعا به إلى ذلك الخطاب ،

ليصبح حقاً رجل سلام وسط ضجيج أصوات

الحرب . وحسبنا بعد ذلك أن تكون دعوة

الحارث بن حنظل يصحبها الألم والحزن والبكاء

على الأوضاع بين المتخاصمين ، فهو حزن وألم

وبكاء يهدف إلى الأمل فى الصلح فى حين أن

دعوة زهير هى دعوة مثبطة محطمة تنقل

صورها لنا ألا أمل فى الحياة بل الخوف من الحياة . فهو حزين على مصير القبيلتين الأخنتين اللتين حطمتهما المعارك والحروب ، وليس حزناً تشاؤمياً كما عند زهير ، لقد قيل عن تجربته : نُستشف من خلاله تجربة امرئ شقى فى الوجود شقاء الإنسان الذى تترسب فى نفسه مرارة الأيام المخضبة بدم القتلى ، المتردية بأكفان الموتى . (٢٩) .

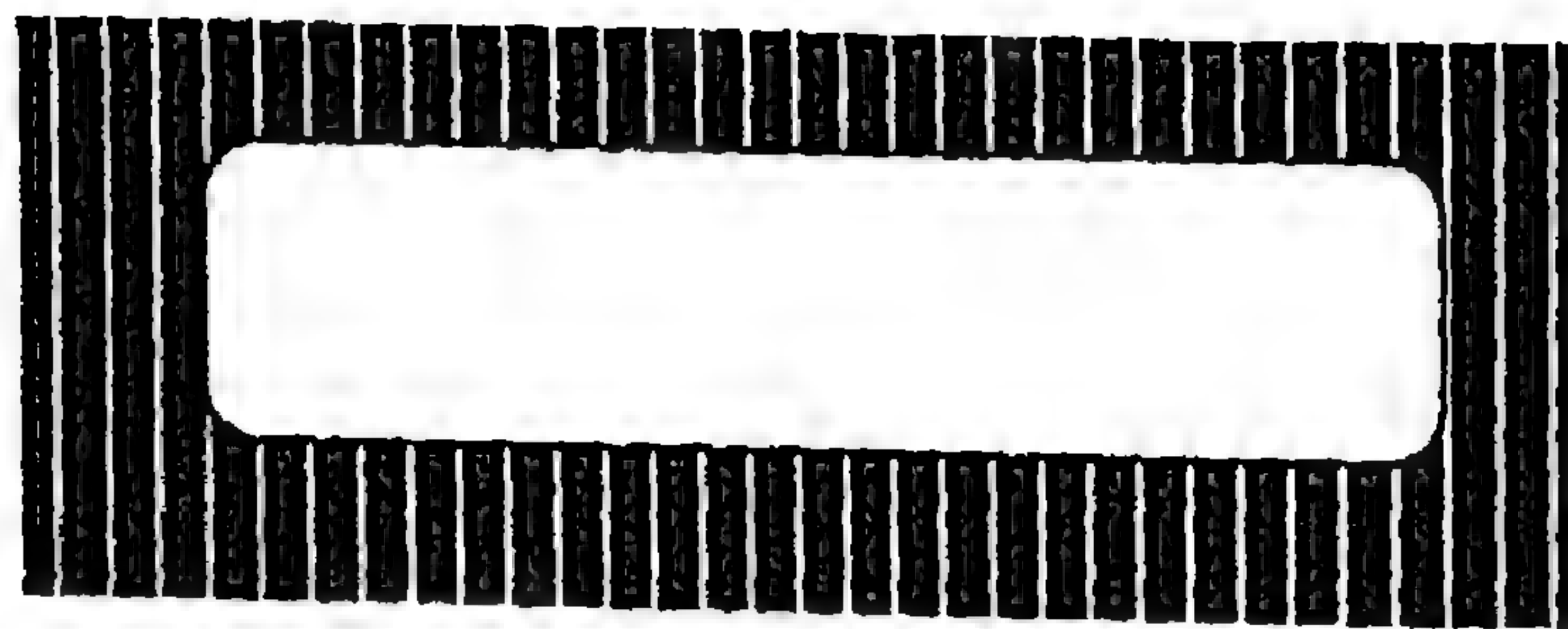
ولكن يجب أن نفهم من ذلك أن حزن الشاعر وتأثره لم يأتياً من كون ذلك طبيعة فيه ، بل من كونه يأسى ويحزن للمصير الذى تريد تغلب أن تجر القبيلتين إليه . وفى هذا إعلاء لشأن الحارث أياً إعلاء لأن شعوره بالسلم نابع من أعماق ضميره المرفف الحساس ، وهو شعور سابق لأوانه فى عصر التطاحن وعدم المسئولية . وكون القصيدة كلها تنصهر فى هذا القالب لهو فى حد ذاته فارق جوهري بين من يدرك المصير النهائى لتلك الأقوام المتصارعة فيتعذب بعذابها ، وبين من يجعل خاتمة قصيدته أبياتاً يعدها بعضنا دعوة للسلم - أى زهير ، كما يزداد الفارق بعداً ، إذا أدركنا أن كليهما كان شيخاً كبيراً . وقف الأول لينصر قومه على خصومهم ، بل ليطلب

حكم العدالة فيهم ، ووقف الآخر لينقذ مساعى سيدة خشية أن تنهاوى .
تبقى بعد ذلك إشارته التاريخية حين يقول :
هل علمتم أيام ينتهب الناس عواراً لكل حى
رغاء .

وإذا تساءلنا فى أى زمن حدث هذا ؟ هل هو فى زمن أبرويز بن كسرى أتو شروان (٥٩٠ م - ٦٢٨ م) أو أنه كسرى أتو شروان نفسه ؟ يدلنا أن القصيدة قيلت قبل مقتل عمرو بن هند (٥٦٣ م - ٥٧٨ م) وحكم كسرى دام من (٥٣١ - ٥٧٩ م) ، أسقطنا من الحساب حكم أبرويز حفيده ، ثم إنه إذا كانت حرب البسوس قد استمرت من سنة ٤٩٢ م - ٥٢٥ م تقريباً ، وأن الصلح على يد المنذر الثالث الملقب بإبن ماء السماء (٥١٤ م - ٥٦٣ م) ، أمكننا القول ، إذن ، إن الإشارة ليست بعيدة عن هذه الفترة لأن ما قبل حرب البسوس كان فترة إخاء وتكاتف بين القبيلتين بكر وتغلب ، وما يقع لأى منهما كان يقع للأخرى . ولعل الإشارة التاريخية يمكن تحديدها بعد حكم الحارث بن أبى حجر للحيرة ، ت ٥٢٨ م أيام قباذ والد كسرى (٤٨٨ م - ٥٣١ م) حينما شن كسرى حملة ضد المزدكية

وبمثلهم العسرى الحارث الذى هرب بعد أن طارده النعمان . وربما كانت تغلب من القبائل الموالية للحارث ويتضمن فخر الحارث بن حلزة بنصرة المناذرة دلائل على ذلك ويترجح ما ذهب إليهم أحد الدارسين متفقاً و ما ذهب إليه التبريزى من أن الإشارة فى ذلك هى للأيام التى هزم فيها كسرى وذلك نحو سنة ٥٣٥ م ، وكانت يكرإ ذاك بغير على القبائل (٣٠) .

فخزل بن عمار العمارى



هوامش المرجع

- ١ - أبو زكريا ، الخطيب التبريزي ، شرح قصائد العشر ، تحقيق : فخر الدين قباوة (بيروت - دار لأفاق الجديدة ط ٤ ١٤٠٠ هـ / ٩٨٠ م ص ٣٧٠ .
- ٢ - أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني عبد الستار أحمد فراج (بيروت ، دار الثقافة ط ٣ ١٩٧٤ م) ج ١١ ص ٤٠ .
- ٣ - نجيب محمد البهبهيتي ، تاريخ الشعر العربي (بيروت ، أوفست كوتزوغرافير ط ٣ ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) ص ٦٠ .
- ٤ - المصدر نفسه ، ص ٦٠ - ٦١ .
- ٥ - المصدر نفسه ص ٦١ - ٦٢ .
- ٦ - أبو بكر ، محمد بن القاسم الأنباري ، شرح القصائد السبع الطوال ٤٣١ - ٤٣٢ الجاهليات ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (مصر دار المعارف ص ٢ - ١٩٦٩ م) .
- ٧ - أبو البقاء هبسه الله الحلبي ، المناقب الزيدية ، تحقيق صالح موسى دراكه (و) محمد عبد القادر خريسات (الأردن ، مط
- لشرق ط أولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ، ج ١ ص ١٢٨ .
- ٨ - علي الجندی ، الشعر والإنشاد ، (مصر - مط - دار المعارف ١٩٦٩ م) ، ص ١٢ ، ٤٢ - ٤٣ ، ٦٧ .
- ٩ - فضل بن عمار العماري ، وقفات شاعرة ، مجلة القافلة ع ١٢ ، م ٣٣ ذو الحجة ١٤٠٥ هـ أغسطس سبتمبر ١٩٨٥ م ص ١١ - ٧ .
- ١٠ - أبو علي الحسن بن رشيق ، العمدة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر ، مط . دار الجيل ط ٤ ، ١٩٧٢ م) ج ٢ ، ص ١٤١ .
- ١١ - ابن الأنباري ، شرح القصائد السبع ... ، ص ٣٧٥ - ٣٧٧
- ١٢ - ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر ، مط دار المعارف ١٩٧٧ م) ص ٩ .
- ١٣ - عبد الحليم حنفي ، مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية (مصر - مط - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م) ص ١١٩ - ١٢٠ .

٢٠ - عز الدين إسماعيل ، التسيب ، في
مقدمة القصيدة الجاهلية ، الشعر ، ع ٢
(١٩٦٤) ص ١١ .

٢١ - المصدر نفسه .
٢٢ - يوسف اليوسف ، بحوث في المعلقة ،
(دمشق - وزارة الثقافة والإرشاد القومي
١٩٧٨ م) ص ٢٧٦ .

٢٣ - التبريزي ، شرح المفضليات ، ج ١ ص
٨٤ . وقال : فلما أتى من دونها الرمث
والفضى ولاحت لها نار الفريقين تبرق
المصدر نفسه . ص ١٠٦٢ .

٢٤ - الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١١ ص
١٢٥ - ١٥٢ .

٢٥ - رومية ، الرحلة ... ص ٣٦٢ .
٢٦ - ابن الأنباري شرح القصائد السبع ، ص
٤٨٢ .

٢٧ مطاع صفدي وإيلينا حاوي ، موسوعة
الشعر العربي (بيروت ، شركة خياط
١٩٧٤ م) م ١ ص ٣٤٧ = ٣٤٨ .

٢٨ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،
الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون
وأولاده (مصر . مط . مصطفى البابي
الحلي وأولاده) ، ج ٥ ص ١٧٥ .

١٤ - لقد ذهب إلى هذا الرأي كل من : أحمد
الربيعي ، ملكة وشاعران ، (بغداد - مط
الأمة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) ص ٨٩ .

(و) وهب رومية : الرحلة في القصيدة
الجاهلية (بيروت ، مط مؤسسة
الرسالة ط ٢ - ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩)
ص ١٨ - ٣١١ ، ٣٦١ - ٣٦٣ .

١٥ - أبو عبيدة معمر بن المثنى ، النقائص ،
تحقيق : أ - بيفان (لندن ، مط ، إبريل
١٩٠٥ م) ج ١ ص ٤٥٢ - ٤٦١ .

١٦ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ،
تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم (مصر ، مط دار المعارف ط ٢
١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) ج ٣ ص ٤٧٦ .

١٧ - الربيعي ، ملكة وشاعران ، ص ٨٩ .
١٨ - الأنباري ، شرح القصائد السبع ...
ص ٤٠٩ وقال : عوف بن عطيه :

إذا ما أجتينا جبا منهل

شبيننا لحرب بعلياء ناراً

أبو زكريا بن علي بن محمد التبريزي ،
شرح المفضليات ، تحقيق هلي محمد
البجاوي (مصر ، دار نهضة مصر ١٣٩٧
هـ / ١٩٧٧ م) ، ط ٣ ١٩٨٥ م .

١٩ - رومية ، الرحلة ... ، ص ٣٥٩ - ٣٦٣

- ٢٩ - الصفدى موسوعة الشعر ، ص ٣٤٨ .
٣٠. فؤاد أفرام البستاني ، المجانى الحديثه ،
(بيروت ، مط - الكاثوليكية ط ٣ ١٩٦٦ م)
ص ١٤٤ وانظر ابن الأنبارى ، شرح
القصائد السبع .. ، ص ٤٧٠ - ٤٧١ .
- التبريزى - شرح القصائد العشر ، ص ٣٨٨
وحول هذه التواريخ ، انظر : جرجى زيدان ،
العرب قبل الإسلام ، (مط . الهلال ،
١٩٠٨ م) ج ١ ص ١٩٨ - ٢١٢ .

ففى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ٢٢ من رمضان سنة ١٤١٠ هـ (الموافق ١٨ من أبريل سنة ١٩٩٠ م) أقام المجمع حفل استقبال لعضويه الجديدين الأستاذ إبراهيم الترسى ، والدكتور عبد الرحمن السيد وفيما يلى نص الكلمات التى ألقىت فى الحفل

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف الأمين العام للمجمع في حفل استقبال
عضو المجمع الجديد الأستاذ /
إبراهيم الترشى

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الدكتور رئيس المجمع

الزملاء الأجلاء

السيدات والسادة :

امتلك ذخيرة غزيرة من اللغة بشتى فروعها ، ومن الأدب بشتى فنونه ، ودبج كثيرا من المقالات والبحوث الأدبية القيّمة ، وتوفر على خدمة اللغة ومعاجمها خدمة مثمرة ، وحقق بعض نفائس التراث واللغة ، مع تعليقات ومراجعات سديدة ، واقتحم عقبة الدراما مع فيض من مسلسلات تمثيلية ممتعة ، ومع إدراك بصير لمواطن الجمال في الكلمة ، وحسن الصياغة ونصاعة البيان . ذلك هو الأستاذ إبراهيم التريزى الذى يسعدنى أن أنوب عن المجمع فى استقباله عضواً عاملاً فيه ، ليسهم بعطائه فى أعماله المجمعية واللغوية .

ولد فى قرية بنى عامر بمحافظة الشرقية عام سبعة وعشرين وتسعمئة والى ، ونشأ بها وبعزبة التريزى ، واختلف إلى مدرسة القرية الأولية ، برعاية جدّه العالم الأزهرى الجليل الشيخ محمد بسيونى العامرى ، الذى تعهّد تعهّداً دينياً وخلقاً قويم ، وأشار على والده أن ينتظم فى كُتّاب القرية ليحفظ القرآن الكريم ؛

توطئةً لالتحاقه بالتعليم الأزهرى ، وكان بصراً الجَدُّ قد أصابه الكلال ، وكانت له مكتبة حافلة بالكتب الدينية والأدبية ، فكان يطلب من حفيده الصغير إبراهيم أن يقرأ له فى هذا الكتاب أو ذاك ، مثل إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، والوسيلة الأدبية للمرصفى ، وعصر المأمون للرفاعى ، وحياة محمد لهيكل ، فتعرّف إبراهيم على هذه الكتب وأمثالها مبكراً . وكان يقرأ لجَدّه المقالات فى الصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية : الهلال والمقتطف والبلاغ الأسبوعى .

وكل هذا كان له أثر بعيد فى نشأته . وأكمل القرآن الكريم فى عام واحد وأربعين وتسعمائه وألف ، فالتحق بمعهد الزقازيق الدينى وأخذ يتلقى فيه العلوم الابتدائية ، وكان المعهد يحتفل بمطلع العام الهجرى ، وكان الطالب النجيب إبراهيم يشارك فى هذا الاحتفال النبوى بقصيدة يُشدها فيه ، من ذلك قصيدة ألقاها فى عام ثلاثة وأربعين والحرب العالمية يتعالى أوارها فى الغرب ، فاستهل القصيدة مخاطباً العام الهجرى الجديد بقوله :

أَتَيْتَ بالبُشرى هُدًى وسلاماً

أم جئتَ تنشر بيننا الآلاما ؟

يا عامُ خَبَرْنَا ؛ فقد ضَلَّ الورى

والأفقُ مصبوعٌ دماً وضراماً

وهى باكورة تُبشر بمستقبل أدبى زاهر وكان

يعكف خلال دراسته بمعهد الزقازيق بقسميه :

الابتدائى والثانوى على قراءة الشروح والخواشى

ويرى ما فيها من أخذٍ وردٍّ من الأفكار والآراء ،

ويناقش شيوخه فيما يعرضونه من استنباطات

واستنتاجات وكان لذلك أعظم الأثر فى صقل

ذهنه وشحذه .

ثم أنهى دراسته الثانوية فى معهد الزقازيق

سنة خمسين وتسعمئة وألف ، وكانت قد نشأت

فى نفسه رغبة شديدة فى متابعة دراسة الأدب

فآثر الالتحاق بكلية دار العلوم لينال منها حظاً

وافراً ، وكان بها صفوة من الأساتذة مثل

عباس حسن ، وحامد عبد القادر ، وإبراهيم

أنيس ، ومحمد غنيمى هلال ، وعلى النجدي

ناصر ، وأحمد الحوفى ، ومحمود قاسم ، وعلى

حسب الله ، وضياء الدين الرئيس ، ومحمد

حلمى أحمد ، فأخذ ينهل من محاضراتهم ،

ويتزود من علمهم ، وكان دائماً فى

طليعة طلاب الدار من رفاقه . ولفت نظر

أساتذته بمقال كتبه وهو ما يزال فى

السنة الأولى ؛ إذ كان الحديث قد كثر حينئذ

عن أثر الحضارة الإغريقية فى العالم شرقية

وغربية ، بمناسبة منح جامعة أثينا الدكتوراه

الفخرية لوزير المعارف طه حسين ، وكان إبراهيم

قد قرأ الكثير عن حضارة مصر الفرعونية وعن

أثرها فى الحضارة اليونانية فامتلات نفسه فخراً

واعتزازاً ببلده مصر وحضارتها ، وكتب مقالا

بعنوان « مصر واليونان » وأرسل به إلى

الأستاذ الزيات صاحب مجلة (الرسالة) فنشره

بها فى عدد أبريل عام واحد وخمسين وتسعمئة

وألف وهو استهلال طيب يُصور قدرته على

البحث الأدبى .

وتخرج فى الدار سنة أربعة وخمسين وتسعمئة

وألف حاصلاً منها على شهادة الليسانس

الممتازة ، ودار العام دورته فنال دبلوم معهد

التربية العالى للمعلمين بجامعة عين شمس ،

وأصبح مدرساً للغة العربية بالمدرسة الإنجليزية

بمصر الجديدة ، وظل بها بضع سنوات . ولم

يشغله التدريس عن اهتماماته وطموحاته

الأدبية ، فأخذ منذ سنة سبعة وخمسين

وتسعمئة وألف يسجل بعض صور وكتابات

أدبية فى الإذاعة ، وأخذ ينشر فيما بين عامى

تسعة وخمسين وثلاثة وستين مقالات أدبية

قيمة فى صحيفة (المساء) وقد تحدث فى هذه

المقالات عن بعض الرحالة العرب عارضاً

المشاهد الطريفة التي رأوها في رحلاتهم وخطواتهم في أفريقيا وآسيا ، مثل عبد اللطيف البغدادي ، وعرض بالتفصيل ما كتبه عن مصر ، ومثل ابن جبير الأندلسي الذي ارتحل عن بلده بقصد الحج ، فسمى رحلته باسم (رحلة الغفران) ، كما صور بطولة صلاح الدين في موقعة (حطين) ودقده لأعناق الصليبيين ، وصور بطولة المصريين في معركة المنصورة ، وتمزيقهم لجيش لويس التاسع ملك فرنسا وقبضهم عليه ، وحبسهم له في المنصورة بدار ابن لقمان صاغرا ذليلا ، وتحدث عن عمر المختار بطل ليبيا وكفاحه المرير المستميت ضد الاستعمار الإيطالي الباغي إلى أن حكم عليه حكما ظالما بالإعدام فكان هذا الحكم ، وصمة عار لا تمحى من جبين الاستعمار الطاغى الأثيم وفي مقال بعنوان (أمراء في المزد) تحدث عن الموقف الشجاع الرائع للفقير القاضي العزيز عبد السلام من الظاهر بيبرس في مبايعته سلطانا على مصر ، والماليك من حوله يحقون به ، إذ أعلن استرقاق بعضهم واستحقاقهم للبيع في مزاد علني ، تُردُّ أمواله إلى خزانة الدولة لينتفع بها الشعب ، وصور الأستاذ إبراهيم التريزي بهذا الموقف شجاعة علمائنا الأسلاف وكيف كانوا يقفون في وجوه الحكام حين كانوا

ينحرفون عن الطريق السوي في الحكم ، أو عن العدل الذي لا تصلح حياة الشعوب بدونه ثم تحدث إبراهيم التريزي عن (سلطان العاشقين) ابن الفارض ، وتنسكه في مكة أعواما متصلة ، والحب الصوفي يضيء جوانب نفسه ثم يعود إلى مصر مستغرقا في هذا العشق الصوفي .

كما نشر بحثا أدبيا في الشاعر عبد الرحمن شكري ، وبحثا آخر في بعض آراء ابن خلدون رائد علم الاجتماع ، إلى غير ذلك من مقالات وبحوث أديبة تصوّر قدرته على دراسة الشخصيات الفذة من أسلافنا رحالة أو أبطالاً أو أدباء بارعين دراسة متعمقة شائقة ، وجدير بالذكر أن أذكر له بحثين نشرهما في مجلة (المجلة) عن عبد الرحمن الكواكبي صاحب (طبائع الاستبداد) و (أم القرى) ، وأبي خليل القبانى رائد المسرح العربى .. وفي ستة إحدى وستين آثر على الدخيل المادى من المدرسة الإنجليزية الدخيل المحدود الذى يقوته ، فى بيئة علمية يجد فيها متاعه المعنوى والفكرى ، حين يختار العمل فى المجمع محرراً بالمعجم الكبير ، ويرقى إلى وظيفة محرر أول ، فنائب رئيس التحرير ، فرئيس التحرير وما يزال يرقى بالسلم

الوظيفى حتى أصبح الآن رئيساً لقطاع المجمع .
وللأستاذ إبراهيم الترسى فى مجال الأدب
الدرامى فيض من التمثيليات والمسلسلات
للإذاعتين المسموعة والمرئية يتناول العديد من
أعلام تاريخنا الأدبى والدينى والسياسى ،
وتتجلى فى أدبه الدرامى سعة خياله ، وبراعته
فى تصوير شخصيات أبطاله ، وربطها بعصرها
وبيئتها ومجتمعها ، وما بين ذلك وبين أبطاله
من تأثير وتأثر ، من خلال الأحداث الدرامية ،
وتطور شخصياتها ، وما يعالجه من مشكلات
اجتماعية وقضايا فكرية وسياسية ودينية .

وأكثر هذه التمثيليات والمسلسلات تقع فى
ثلاثين حلقة ومنها على سبيل المثال :

- الإمام أبو حنيفة

- الإمام مالك

- الإمام الشافعى

- الإمام أحمد بن حنبل

* الإمام البخارى

* الإمام الغزالى

* الخليل بن أحمد

* الجاحظ

* قضاة العرب

* شاعرات عربيات

* ظرفاء من مصر

* ليالى أبى حيان التوحيدي

* طوق الحمامة

* عباس بن فرناس

* الشريف الإدريسي

* أبو بكر الرازى

* عبد الرحمن الكواكبي

* الجزار الشاعر

* مجالس هارون الرشيد

* ابن تيمية

والأستاذ إبراهيم الترسى يؤكد بذلك قدرة
لغتنا الفصحى على المعالجة الدرامية فى
تصوير الأحداث ، ورسم الشخص ، وإجراء
الحوار الدرامى بينها وهو حوار يعبر عن
الشخصية والموقف والحدث بلغة يفهمها أوساط
الناس بل عامتهم .

ولنضرب مثلاً لهذا التأليف الدرامى من
خلال مسلسل (ابن تيمية) التلفزيونى فإنه
يصور فيه إجهاداته الفقهية واجتهاداته
الاجتماعية والسياسية وما قاساه فى حياته
العملية من الحكام ومواقفه الثابتة الصلبة فى
آرائه ، ودفع الناس من حوله فى الشام للتنكيل
بالتتار والصليبيين . وابن تيمية لا يدعو فى

المسلسل للجهاد ضد أعداء الدين فحسب ، بل يدعو للجهاد ضد الظلم الاجتماعى ، وضد ما أمنوا به خطأ من بدع وخرافات ، مصوراً فى ذلك كله جوانب من حياة الشعوب العربية المعاصرة .

ونسوق مثلاً ثانياً لنموذج درامى تلفزيونى هو أبو الحسن (الجزار الشاعر) الذى عاش فى عصر الماليك وكان يحترف الجزارة وعانى صراعاً مريراً بين حرفته وشعره ، ويكسب هذا الصراع المسلسل حيوية وحرارة . وقد عالج الأستاذ الترنزى فى هذا المسلسل قضية اجتماعية يعانى منها المجتمع فى أيامنا هذه ، هى قضية ارتفاع الأسعار وجشع التجار جشعاً لا حد له ، بما يريحون من أموال طائلة ، ويتألم أبو الحسين من أمر هؤلاء التجار الجشعين تألماً شديداً الى أن ينتصر عليهم مع صديقه المحتسب مراقب الأسواق نصراً حاسماً .

وكل هذه الأعمال الدرامية التى كتبها الأستاذ إبراهيم الترنزى كتبها بفصحى ميسرة سهلة ، ولا أشك فى أن الأستاذ الترنزى ما استكثر منها إلا ليردّ بها على أعداء الفصحى القائلين بأن الفصحى لاتصلح أداة للحوار بين الشخصوخ فى المسرح والسينما والإذاعة المسموعة والمرئية ، إنما الذى يصلح لذلك العامية لغة الجماهير اليومية ، وما كانت الفصحى الميسرة مستعصية على الجماهير ،

إذ هى لغة دينها وهويتها العربية وشخصيتها القومية ، والدعوة إلى العامية إن هى إلا ضروء يشوش بها أعداء الفصحى ، بل هى حرب دائرة سافرة حتى تنعزل الفصحى عن حياتنا وتصبح لغة أجنبيه غريبة على أبنائها . وقد نبه مجتمعنا لذلك من قديم ، فوضع نصب عينيه العمل على تبسيط قواعد الفصحى النحوية واللغوية وسيظل يعنى بذلك حتى يُمكن الفصحى من أن تصبح فى الغد القريب لغة التخاطب الشائعة وما الغد ببعيد . وجدير بى أن أنوه بالجهد الذى يبذله الأستاذ إبراهيم الترنزى بمساهمته فى تأليف كتب اللغة العربية للمرحلتين الإعدادية والثانوية بوزارة التربية والتعليم ، كما أنه اختير قديماً عضواً فى لجنة تطوير تعليم اللغة العربية بالوزارة ، كما اختاره المركز القومى للبحوث التربوية عضواً فيه . وكان طبيعياً وقد ظل بالمجمع نحو ثلاثين عاماً معنياً بشئون التحرير فيه - أن تتكاثر أعماله الجمعية ، منها مراجعته لمحاضر جلسات المجلس والمؤتمر من عام تسعة وستين إلى ثمانية وثمانين ، ومنها عمله المستمر بالمعجم الكبير وإعداده لكثير من مراده ، ومنها اشتراكه مع الأستاذ الجليل محمد شوقى أمين عضو المجمع فى أخراج مجموعة أعمال

لجنة الألفاظ والأساليب من عام أربعة وثلاثين إلى عام سبعة وثمانين وأيضاً إخراج مجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاماً . ومن ذلك أيضاً كتاب الأستاذ الترنزى (التراث المجمعى فى خمسين عاماً) الذى سجل فيه تسجيلاً دقيقاً عناوين كل ما ألقاه أعضاء المجمع منذ إنشائه ، من بحوث علمية قيمة ، حيث وزعها على الموضوعات اللغوية والأدبية والعلمية والحضارية ومع كل بحث اسم صاحبه وموضعه من مطبوعات المجمع ، بحيث أصبح الاطلاع على تلك البحوث ومعرفة مواضعها من محاضر المجمع ومجله ودورياته أمراً ميسراً للباحثين كل التيسير .

وبقى جانب مهم من أعمال الأستاذ الترنزى جدير بكل شكر وثناء هو أعماله اللغوية الخالصة فى تحقيق التراث وإحياء بعض كنوزه ، منها المشترك ومنها الخاص ، أما المشترك فهو الجزء الرابع من كتاب (سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد) للصالحى ، وهى سيرة نبوية

نفيه ، ومن المشترك أيضاً تحقيق الجزء الخامس عشر من كتاب (تاج العروس فى شرح القاموس) للزبيدى الذى تصدره وزارة الإعلام بالكويت .

وأما الخاص بتحقيقاته القيمة فهو تحقيق الجزء العاشر من معجم تاج العروس ، وتحقيقه الجزء الثانى والثلاثين من هذا المعجم .

وأخيراً أذكر أن المجمع تقديراً منه لخدمات الأستاذ الترنزى اللغوية أسند إليه رئاسة تحرير مجلته منذ سنة اثنتين وسبعين وأنه ليضطلع بذلك راضياً مرضياً .

ولعلى بهذا الحديث أكون قد وفقت فى إبراز الجهود الأدبية واللغوية التى بذلها الأستاذ الترنزى ، وأنفق فيها حياته مخلصاً مثابراً ، وإنى لأهنته تهنئة خالصة صادقة بعضوية المجمع العاملة والتنويه باسمه فى سجل الخالدين ، سائلاً الله له التوفيق والسداد .

للشوقي ضيف

الأمين العام للمجمع

* كلمة الأستاذ إبراهيم التروزي .
عضو المجمع الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

استاذى الجليل رئيس المجمع :

أساتذتى وزملائى الأجلاء :

أيها السادة الأعزاء :

سلامُ الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد

فلم يكن فى حسابى أن أقف اليومَ هذا الموقف

.. ويشهدُ اللهُكم دافعتُ رغبةً أصدقاءٍ من

أساتذتى أعضاء المجمع .. هموا بترشيحى

لعضريته طَوالَ سنوات .. خشيةً أن يكون حبُّهم

لى قد زَيْنَ لهم هذا الترشيح .. وإشفاقاً على

نفسى أن أقعدَ مقعدَ صدقٍ بين الخالدين !

ولكنهم - فى هذه الدورة المجمعية - أخذونى

أخذاً نبيلاً جميلاً ، لا يقبلُ تحويلاً ولا تأجيلاً

.. وتساقطتُ أعذارى المتوسلة أمامَ إصرارهم

الكريم !

ثم فاجأنى نبأ انتخابى بشقتهم الغامرة .. فما

وَجَدْتُ لها كِفَاءً من شكران .. ولا وفاءً بحقِّها

من عرفان .. وأدركنى العجز .. ولعلَّ العجزَ

عذر !

أما أستاذى الجليل .. الدكتور شوقى ضيف

.. فقد أضفى على من تقديره ما جعلنى أشدَّ

عجزاً عن شكره !

ولا يَفُوتُنِي أن أتوه بفضلِ توجيهه لى ..

حين أخذتُ نفسى بالكتابة فى هذا الفن من

الأدب الدرامى .. للإذاعة المسموعة والمرئية ..

فقد كنتُ أخشى أن يَجْتَذِبْنِي ، ويستغرق

طاقتى الأدبية .. ولكن أستاذى قال لى : هذا

فنٌ من الأدب جديد ، قريب من الأدب المسرحى

.. فلمَ لا تَمْضِ فيه .. ثم تنشره على الناس

فى كُتب مطبوعة .. فيكون لك شرفُ الريادة

لهذا الفن بلفتنا الفصحى ، فى الأدب العربى

المعاصر .. وهأنذا قد مضيتُ فى هذا الفن

الدرامى .. أَشْرَقُ وَأُغْرِبُ .. ولا أدري ماذا

حَقَّقْتُ من أمل أستاذى الجليل !

وإنى فى موقف العجز عن شكره .. وشكر

أساتذتى الأعضاء .. لا يَسَعُنِي إلا أن ألبأ إلى

الله تعالى أن يجزيه ويجزيهم عنى أحسنَ

الجزاء ، وأن يجعلنى أهلاً لما أَسْبَغُوا على من

ثقة .. جديراً بما تَوَسَّمُوا فى من ظنٍّ كريم !

أيها السادة :

ليستُ عضوية المجمع شرفاً تَتَشَوَّفُه الآمال ..

وإن بلغت الغاية من الشرف !

وليستُ عضوية المجمع جاهاً علمياً وأدبياً

تَطْمَحُ إليه الصفوة من العلماء والأدباء .. وإن

فاقت كلَّ جاهٍ علميٍّ وأدبيٍّ !

وليستُ عضوية المجمع مكانةً رفيعةً .. تهوى

إليها أفئدةُ أعلام الفكر .. فى مصر .. وغير

مصر .. من عربٍ ومستعربين .. وإن طأولتُ
هذه العضوية في سُمُوها كلَّ مكانةٍ لهؤلاء
الأعلام .. في الشرق والغرب !

ليست عضوية المجمع هذا كله فحسب ..
فهى تبعه ثقيلة جليلة .. تنوء بالعلماء أولى
القوة !

وهى عمل دُؤوب متواصل .. لا يعتريه كلالٌ
ولا ملال !

وهى هجرة من شواغل الحياة إلى محراب
العربية ..

ولكنها هجرة لا تعتزل .. بل تتصل !

ولا تغترب .. بل تقترب !

ولا تنفلق .. بل تنطلق !

فهؤلاء الشيوخ المجمعيون حين يعكفون في
محرابهم على مناسكهم المجمعية .. في
مجلسهم ومؤقرهم .. إنما يعالجون همومنا
اللغوية .. ويتصدون لأشدَّ قضاياها إلحاحا ..
ويمدوننا بعطاء سخى من المعجزمات
والمصطلحات .

وعضوية المجمع بعد هذا كله .. بل قبل هذا
كله .. رسالته من أجل لغة يكفيها شرفاً أن الله
اصطفاها لتكون لغة كتابه الكريم .. وليس بعد
هذا تشريف لهذه اللغة .. ولمن يؤدّون رسالتها

من الخالدين !

أيها السادة :

جرت السنن المجمعية على أن يتحدث الخلف
عن السلف .. فيتحدث العضو الجديد عمن
شغل الكرسي الذي اختير له .

وقد أنعم الله على بأن أشغل كرسيًا .. له
مكانة مرموقة بين الكراسي المجمعية .. وتاريخ
عريق !

فهو من الكراسي العشرين .. المؤسسة
لكراسي المجمع .. حيث أعدت للفوج الأول من
المجمعين المؤسسين !

وقد استوى على هذا الكرسي علامة فذ ..
من جهاذة العربية وسدنتها : هو المحرم
الأستاذ أحمد العوامري .

امتدَّ عمره المجيد .. فظل يشغل هذا الكرسي
أكثر من عشرين عاما .. يُعد المجمع ببحرته
وتحقيقاته اللغوية .. ويرسي قواعد العمل
المجمعي على أساس ثابت مكين !

ثم اعتلى الكرسي شيخ جليل مهيب .. تربطه
بسلفه وشيخة نسب للغة العربية .. والعربية
رحم !

ذلكم هو المحرم الشيخ محمد على النجار .

وقد أسعدنى حظى فأتاح لى أن أرى الشيخ
.. وأسمع منه .. وأخذ عنه !

فهو من أوتاد اللغة الرأسى .. وحماتها
البواسل .. ظل فى رباط العربية طوال حياته ..
يترصد ما يتسلل إلى حماها من كل قول دخيل
.. أو دعى هجين .. أو زائغ مارق .. فيتصدى
له .. ويردّه عن حمى العربية خاسئاً مذخوراً !

ومن يشأ أن يطلع إلى جولاته وصولاته فى
سبيل العربية .. فعليه بكتابه : « أغلاط
شائعة » و « لغويات » .

ولشيخنا النجار فى إحياء التراث اللغوى باع
طويل .. وله فى لجان المجمع اللغوية نشاط
مشهود محمود !

ومن بعد شيخنا النجار .. دلف إلى الكرسى
شيخ ودود سمح نبيل .. من أعلام الاقتصاد
والقانون :

هو المرحوم الدكتور عبد الحكيم الرفاعى .
وهو من الرواد الذين جعلوا العربية تغزو ميداناً
علمياً جديداً .. هو ميدان الاقتصاد السياسى
وعلم المال ، حيث عمل على خلق لغة
اقتصادية ومالية ، تستخدم الألفاظ والأساليب
بحساب .. وتزنّها بميزان ذهبى دقيق !

ويشهد المجمع بجهده العظيم فى إعداد
مصطلحات الاقتصاد .. وإسهامه العلمى فى
لجان المجمع ومجلسه ومؤقره !
كما تشهد مصر والمحافل الدولية ببراعته
الفذة .. فى معالجة الكثير من المشكلات
الاقتصادية .. المحلية والعالمية !

ثم استقبل الكرسى من بعده .. آخر الشيوخ
الذين استووا عليه .. وهو شيخ جليل جسور
.. تتجلى فيه روح المقاتل العنيد :

ذلكم هو المرحوم الأستاذ محمد عبد الله
عنان .

ظل طوال حياته شاهر القلم .. لا يستقر ظله
فى مكان .. ولا تفيء همته إلى راحة ..
لا يتراجع عن قضية يؤمن بها .. ويخوض
الغمرات من أجلها .. حتى يبلغها مأمناً من
العدل والحق !

ولعلّ دراسته القانون كان لها أثرها العميق
فى توجيه طاقاته وملاكاته إلى قضايا عصره ..
وقضايا التاريخ !

بل إنه ولد والحركة الوطنية المصرية فى
مخاضها - حين كان القرن التاسع عشر يوشك
على الرحيل - وقد تولدت منها قضية كبرى

أخذت تُهَيِّمُنْ على أبناء مصر .. هي قضية
الانتماء المصرى .. حيث مضى فريق منهم
يُنَاضِلُ الاحتلالَ الإنجليزى مؤمناً بانتماء مصرَ
إلى الخلافة العثمانية ، والجامعة الإسلامية ..
ومضى فريق آخرُ فى نضاله مؤمناً بانتماء مصرَ
إلى مصر .. التى تَضْرِبُ بجذورها إلى عهد
الفراعنة الأقدمين !

ثم انصهرت الفكرتان فى ثورة التاسع عشر
من القرن العشرين .. حيث استغرقت الثورة
كلَّ طاقات المصريين جميعاً !

وكان الشاب محمد عبد الله عنان وشيك
التخرج فى مدرسة الحقوق .. وقد آثر أن يتحررَ
من قيود العمل الحكومى .. فاتجه إلى العمل
فى المحاماة .. ولكن قضية الاستقلال كانت
تَمُورُ بلهبها فى نفسه .. ونفوس رفاقه من
شباب مصر الثائر !

ثم لانت قنائة المستعمر فى لهيب الثورة ..
وفاءت مصرُ إلى ظلِّ دستور يمنحها حقوقاً على
طريق الاستقلال .. وأخذت جمهرة من المفكرين
المصريين تدعو إلى تأكيد هذا الاستقلال .. بما
سَبَقَ أن نادوا به من تأصيل القومية المصرية ..
وساعد على ذلك سقوط الخلافة العثمانية على
يد أتاتورك !

وكان عنانُ ممن تَحَمَّسَ لهذا الاتجاه .. الذى
دعا إليه الأستاذ أحمد لطفى السيد ، والدكتور
طه حسين ، والدكتور محمد حسين هيكل ..
فرأى أن يُسهم فى تأصيل القومية المصرية
بالكتابة فى تاريخ مصر .. وتَجَلِيَّةِ جوانب
العظمة الكامنة فيها !

ولكنه لم يَمُضِ فى تأصيل القومية المصرية
إلى جذورها الفرعونية .. كما فعل بعض الدعاة
إلى هذا الاتجاه .. فقد آثر أن تكون مصرُ
إسلامية موضع اهتمامه وبحثه .. ومناطق
اعتزازه وفخره .. وأخرج للناس كتابية :

« مصرُ الإسلامية » تاريخ الخطط المصرية .
ولم يكتف بالكتابة فى تاريخ مصر .. فقد
كتب كذلك عن مؤرخى مصر .. كابن عبد
الحكَم ، والكندي ، وابن زولاق .. وتابع
مؤرخيها حتى الجبرتي .. وذلك فى كتابه :
« مؤرخو مصر الإسلامية » مصادرو التاريخ
المصرى .

وفى إطار الكتابة عن التاريخ المصرى ألف
كتابته : « تاريخ الجامع الأزهر » .. وكان أول
من دعا إلى الاحتفال بعيده الألفى .. عام اثنتين
وأربعين وتسعين ألف .. ولكن ظروف الحرب
العالمية - حينذاك - حالت دون الاستجابة لذلك ..

فظلَّ يُتابعُ دعوته بإصراره المعهود .. حتى أقيمَ الاحتفالُ بالعيد الألفى للقاهرة وأزهرها بعد ذلك .. عامَ تسع وستين وتسعمئة وألف !

لم يتوقفَ قلمُ عنانٍ عند الكتابةِ فى تاريخ مصرَ الإسلامية .. فقد اتجه إلى ميدان التراجُم .. وكان أولَ مَنْ تَرَجَّمَ له ابنُ خلدون .. أستاذه الأثيرُ فى فنِّ كتابةِ التاريخ .. وكان قد سبق له لقاءُ أستاذه .. حين عهدَ إليه صديقه الدكتور طه حسين بترجمة رسالته للدكتوراه عن ابن خلدون .. من الفرنسية إلى العربية .. ثم تابعت تراجُمهُ الإسلامية .. التى جمعها بعد ذلك فى كتابه : « تراجُمُ إسلامية .. شرقية وأندلسية » .

وكان عنانٌ يُتقِنُ الإنجليزية والفرنسية والألمانية .. وكان يقرأ ما يصدرُ بها من صحف تُعالج قضايا السياسة الدولية .. التى تشغلُ بالَ رجالِ السياسة والفكرِ فى العشرينيات والثلاثينيات .. فمضى عنانٌ يخوضُ هذا الميدان .. يتناولُ أمورَ السياسة الدولية .. بالدراسة والتقييم .. وقد يأخذُ فى التنبيه إلى ما يَكْمُنُ فيها من مخاطرَ على السلام الدولى ! وكان يُؤثرُ بمقالاته صحيفة " السياسة الأسبوعية " .. ثم مجلتى : الرسالة والهلal .

وعنانٌ فى كل ما يكتبُ يُقبلُ على موضوعاته بعقل رجلِ القانون .. المحقق المدقق .. حيث يَسْتَوْفِي حقائقه ووثائقه .. ثم يأخذُ فى بحثها مُحَلِّلاً مُعَلِّلاً .. واصلًا من ذلك كله إلى حكم يراه عدلاً وحقاً !

ولعلَّ نُزوعه إلى ذلك هو ما جعله يتجهُ إلى دراسة شخصية تاريخية مصرية .. حارَ فيها مُعاصِرُوها وَمَنْ بعدهم .. واستغلقَ أمرُها .. حتى صارتُ فى غموضها أشبهَ بالظلام .. وفى غرابتها أشبهَ بالأساطير .. ولكن عناناً المتحفِّزُ المتوفِّزُ .. دائماً لكلِّ عَصِيٍّ من أمور التاريخ وأبطاله .. اجتذبتُه هذه الشخصية الفريدة الغريبة .. شخصية الحاكم بأمر الله .. فأقبلَ عليها يكشفُ سِتْرَها .. ويُبَيِّنُ سِرَّها .. فى كتابه : « الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية » .

وتجذبُ عناناً كذلك قضايا التاريخ والمحاكمات الكبرى .. فيمضى فى تتبُّعها على نهجه المعهود .. ويختارُ منها ماله تأثيرُ مصيرى فى حياة الأمم والمجتمعات .. فكسان كتابه : « قضايا التاريخ الكبرى » .. الذى ظهر بعد ذلك بصورة أوفى .. بعنوان : « ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى فى التاريخ » .

ومع « ديوان التحقيق » - أو ما عُرف باسم « محاكم التفتيش » - يَجَزَعُ عنانَ لِمَا نَزَلَ بالعرب الباقيين في إسبانيا - بعد انهيار دولتهم في الأندلس - ومحاولة ديوان التحقيق تنصيرهم .. ثم إخراجهم من إسبانيا بعد استشهاد واستعباد .. ويبدو أن هذه القضية الدامية الفاجعة قد جعلت عناناً يتوقَّفُ عندها طويلاً .. يُمعِنُ في النظر إلى أسبابها وعواملها .. ثم يمتدُّ ببصره إلى أبعد من ذلك .. يستشرفُ غروبَ الأندلس .. ثم يُمعِنُ في النظر أكثر فأكثر .. حيث تتراعى أمامه الآفاق .. ويرى على ساحة الأندلس دولة الإسلام فتية زاهرة .. بحضارتها وعزتها وهيبتها .. ثم يراها وهي تتمزقُ بأيدي أبنائها قبل أعدائها .. حتى تصير إلى زوال .. بعد أكثر من ثمانية قرون ! يهولُه ذلك كله .. فسيرهفُ قلمه وعزمه .. ويمضى إلى مسرح الأحداثِ مراتٍ ومرات .. حتى يُخرجَ للناس سبعة مجلداتٍ كبيرة .. في تاريخ الأندلس !

وكأنه يقول للعرب والمسلمين :

هذه أندلسكم .. فردوسكم المفقود .. خذوا منه العبرة .. ولا تأخذنكم العبرة .. اعتبروا .. وانتبهوا .. حتى لا تضيعَ قراديسُ أخرى من بلاد العروبة والإسلام (*) !

أيها السادة :

أولئك أسلافى الذين قُدِّرَ لى أن أشغلَ كرسيهم .. وكلهم ماجدٌ كريم .. حسيبٌ نسيبٌ في علمه وفضله .. وخلافتهم أمانةٌ يتوَّءبى حملها .. وأخشى أن أكونَ بها ظلوماً جهولاً .. ولكنى أحمدُ الله تعالى .. فقد جعلنى على شريعةٍ من أمرِ العملِ بالمجمع .. سنواتٍ طال مداها حتى شارفت الثلاثين .. ومازلتُ - بحمدِ الله - على جادةِ الشريعةِ المجمعية .. أسوسُ جهازها العلمى والإدارى ماوسعنى جهدى .. ليعملَ بكل طاقاته فى لجان المجمع ومجلسه ومؤتمره .. حيث تدورُ كلها فى فلكِ العربية .. مصطلحاتٍ لكل مايجدُ من علومٍ عصرنا وفنونه .. وقراراتٍ فى شئون لغتنا تيسيراً وتصويبا .. وموادٍ معجمية لا تغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً من قديمٍ وجديدٍ إلا أحصتها .. ثم تُقدِّمُ للناسِ معجماتٍ دائيةً قُطُوفُها ، لكلِّ مستوى ثقافى .. مختلفةٌ صنوفُها ، فى كلِّ مجالٍ علمى وفنى !

والله أسألُ أن أكونَ جديراً بالانضمام إلى كوكبةِ الأعضاء العاملين فى مجمع الخالدين ! والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

إبراهيم الترنزى
عضو المجمع

(*) قيل هذا قبل مأساة البرسنة والهرسك بعامين

كلمة الأستاذ الدكتور أمين على السيد عضو المجمع
فى استقبال عضو المجمع الجديد الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن السيد

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى المدرسة الابتدائية بمدينة دكرنس ، واستمر بها حتى السنة الثالثة ، فرأى والده وعمه الذي كان أحد علماء الأزهر أن يحفظ القرآن الكريم ويلتحق بالأزهر الشريف ، ومن الغريب أن الصبي قابل هذه الرغبة برضا وقبول ، لأن عمه كان يحظى بمكانة وتقدير لم ينلها غيره من أقاربه الذين أحقوا بالأزهر معه ، ولكنهم لم يكملوا تعليمهم ، ولا الذين أكملوا تعليمهم في المعاهد العليا المختلفة ، لما كان مستقرا في نفوس الناس وقلوبهم آنذاك من أن علماء الأزهر هم المقبولون الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

حفظ القرآن الكريم في وقت قصير ، والتحق بالأزهر ، وحصل على الشهادة الثانوية منه ، وكان ترتيبه الثانى على دفعته ، ثم تقدم إلى دار العلوم ، فكان من الطلاب الستين الذين قبلوا وكان ترتيبه الأول في الانتقال إلى السنة الثانية ، والثانى في الانتقال إلى السنة الثالثة ، والأول مكررا في الانتقال إلى السنة الرابعة .

وفي السنة الرابعة قاد مسيرة تاريخية خالدة ، فقد رأى الطلاب - وهم على رأسهم - أن بقاء دار العلوم معهدا عاليا لا يحقق لهم ما تحققه كليات الجامعات لطلابها من طموح في الدراسات العليا والحصول على درجات علمية أعلى ، ففكروا في أن ينضخوا

الشيخ الرئيس

السادة الأعضاء

السيدات والسادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإن الحمد لله ذي الفضل العظيم ، وإنه لمن بين الطالع أن يكون هذا الاستقبال في شهر رمضان المعظم ، وأن أحظى بشرف النيابة عن المجمع في استقبال أخ لي لم تلده أمي . عرفني وعرفتني في عام اثنين وأربعين وتسعمئة وألف ميلادية ، يوم أن وطئت أقدامنا أرض دار العلوم طلابا ، وبعد عام واحد من اللقاء عشنا معا تحت سقف واحد بضاحية المعادى زهاء عشر سنين ، ولم تتفرق بنا السبل كثيرا بعد التخرج ، فقد جمعنا العمل في عدة أماكن ، حتى ألقينا عصا التسيار ، واستقر بنا المقام في رحاب دار العلوم ، التي منحتنا أكثر مما منحناها ، وزودتنا بما رفع شأننا وأعلى قدرنا .

وإنه لما يشرفني ويسعدني أنه أقدم لكم الأستاذ الدكتور عبد الرحمن محمد السيد ، عضوا دعويا لا يكل ولا يمل ، ولا يخشى في الحق لومة لائم ، وكأنه الذي عناء الشاعر بقوله :

نزور امرأ أما الإله فيتقى

وأما بفعل الصالحين فيأتمى

لقد ولد في الحادى عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩١٨ م ، ثم ألحق بمدرسة القرية ، وانتقل منها

تحت لواء جامعة كبيرة ، تشد أزرهم ،
وتفتح أمامهم آفاقا جديدة ، وتحقق لهم الأمل
فى متابعة الدراسة ، ليستزيدوا من العلم
والمعرفة ، فشغل مع مجموعة من زملائه بالعمل
على ضم دار العلوم إلى جامعة القاهرة ، حتى
تحقق لهم ما أرادوا ، وصدر القانون رقم ٣٣
لسنة ١٩٤٦ م ، بضم دار العلوم إلى جامعة
فؤاد الأول ، وهنا أتذكر قول المتنبي :

ذرى أنل مالا ينال من العلا

فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
تريدين لقيان المعالى رخيصة

ولا بد دون الشهد من إبر النحل
ذاكم لأن الطريق إلى تحقيق هذا الأمل لم يكن
سهلا ، فقد شغل صاحبنا ومن معه عن متابعة
الدرس والمحاضرة ، وقرروا الاعتصام بدار العلوم ،
فجز بهم فى أقسام الشرطة ، وكان سجن قره
ميدان خاتمة المطاف ، ولم يصطحب أحد من
هؤلاء مذكرة ولا كتابا ، وكان الامتحان النهائى
على الأبواب فلجأنا إلى كبار الأساتذة أن
يرجئوا الامتحان حيننا ، لكى نستعد له ، ولكن
الأمر كان قد أبرم ، وحدد الموعد المعتاد فى كل
عام دون تأجيل ، على الرغم من أن أساتذتنا
قد شاركونا فى سعيينا وزارونا فى معتقلنا ،
وقدموا لنا صادق الود من وراء القضبان .

وقد كان لذلك أثره على صاحبنا ، فكان

ترتيبته الخامس بين الحاصلين على درجة
الليسانس ، ثم التحق بمعهد التربية العالى
للمعلمين وحصل على دبلومه .

عين بعد ذلك مدرسا بالتعليم العام ، واستطاع
خلال عمله أن يعد رسالة الماجستير ونال
درجتها ، وعين بعد ذلك مدرسا بمدرسة الألسن
العليا ، ثم أعد رسالة الدكتوراه ونال درجتها
فى فبراير ١٩٦٢ م ، وعين بعدها مدرسا بكلية
دار العلوم فى فبراير ١٩٦٣ م .

وفى عام ١٩٦٩ م عين أستاذا مساعدا
بالكلية ، وفى عام ١٩٧٤ م عين أستاذا بها
وكان له نشاطه بالكلية ، فقد اشترك فى لجان
عدة ، وأشرف على كثير من الرسائل ، وشارك
فى مناقشاتها وفى تطوير المناهج وتيسيرها
وتنقيتها مما يشوبها من صعوبة أو تعقيد .

وقد أمضى عامين بالجامعة الأردنية من ٦٥ -
١٩٦٧ ، كما أمضى عاما آخر بجامعة البصرة
هو عام ١٩٦٨/٦٧ الجامعى . وفى سبتمبر
سنة ١٩٧١ م أعير إلى كلية الآداب جامعة
الملك عبد العزيز بجدة ، وظل بها إلى فبراير
١٩٧٧ م .

وفى هذه الجامعات شارك فى كل الأنشطة
العلمية والثقافية ، ورأس قسم اللغة العربية فى
بعضها ، كشأنه فى جامعة الأزهر وغيرها من
جامعتنا .

وفى ١٩٧٧ سنة م عين وكيلا للكلية لمدة ثلاث

سنتين ، وفى سنة ١٩٨٢ م عين رئيسا لقسم النحو والصرف والعروض بالكلية ، ثم عين أستاذا متفرغا بها فى سنة ١٩٨٤ م .

وقد اختير عضوا باللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين فى ١٩٧٨ م ، وظل يعمل فيها حتى سنة ١٩٨٩ م ، وكذلك اختير عضوا باللجنة العلمية بقسم اللغويات بجامعة الأزهر .

وقد اتسمت حياته كلها بالحرص على أداء الواجب ، والالتزام بمكارم الأخلاق ، والدقة فى الوفاء بالمواعيد ، والنزاهة فى إصدار الأحكام .
مؤلفاته :

أولا : مدرسة البصرة النحوية : نشأتها وتطورها .

كتاب مطبوع يقع فى اثنين وتسعين صفحة وستمئة من القطع المتوسط ، وقد عرض فيه لنشأة النحو العربى وأصالته ، والأسباب التى دعت إليه ، والعلماء الذين وضعوا أسسه ، والعلماء الذين تابعوهم ، حتى اكتمل علما ناضجا واضح المعالم . وذكر المصادر التى استمد منها هؤلاء العلماء قواعدهم ، والأصول العامة التى حكمت هذه القواعد وما وقع فيها من تناقض وخروج على هذه الأصول . وتحدث عن الخلاف بين علماء البصرة وعلماء الكوفة ، وبين أهمية هذا الخلاف ، والأسباب التى أنتجته ،

ويؤب مسائل الخلاف ووضعها تحت عناوين ، كل عنوان يجمع عددا منها .

ثم أوضح ما يتميز به نحو البصرة من عموم ومرونة . وتحدث عن علل النحو ومالها من قيمة ، وبين ما فى بعضها من ضعف . وتناول العامل النحوى وبين موقف العلماء منه ، وناقش الآراء التى رأت التخلص منه .

وتحدث عن الإعراب وعلاماته ، وموقف المحدثين من هذه العلامات ، وفند كل الحجج التى اعتمدوا عليها ، وأقام الدليل على بطلان الآراء التى اتجهوا إليها .

وعرض للمصطلحات النحوية ، فبين نشأتها ونطورها ، وذكر طائفة كبيرة منها عند كل من البصريين والكوفيين . وفصل الحديث عن طبقات البصريين ، وعرف بأبرز علمائهم ، وقدم دراسة جيدة لعدد من أمهات الكتب التى ألفوها .

وقد زكى هذا الكتاب عالمان جليلان من أعضاء المجمع : أولهما الأستاذ على النجدى ناصف زكاه بقوله : لقد رجع إلى طائفة كبيرة من المراجع المطبوعة والمخطوطة باحثا منتقيا ، يجمع مادة البحث ، ويلاتم بين مسائلها ، ثم يعرضها عرضا منطقيا ، فى عبارة طليّة واضحة وهو فى أثناء ذلك يقدم المقدمات ، ويستنتج منها

النتائج ، و يناقش المسائل ويحللها ، وينقد بعض الآراء ويفندها ، ليفسح بينها مكانا للرأى الذى يراه ، محتجا له ، معددا الأسباب التى أفضت به إليه ، فناقش جمعا من الباحثين السابقين والمعاصرين المستشرقين وغير المستشرقين .

وثانيهما الأستاذ عباس حسن ، زكاه فقال : عرض لبعض الآراء القديمة التى اقتضاها البحث فأبدى فيها رأيا خاصا مستقلا ، أظهر فيه تخطيطا من سبقوه ، وتدارك ما فاتهما ، مسترشدا فى كل ذلك بالحجة القوية والدليل الساطع ، كما عرض لكثير من الآراء المستحدثة التى برزت فى عصرنا ، وكرّ عليها كبر الشجاع الخبير ، المدجج بالمنطق الأقوى والبرهان العلمى الناصع .

ثانيا : نحو ابن مالك بين البصرة والكوفة

بدأ بمقدمة موجزة وافية عن حالة النحو فى الأندلس ، منذ الفتح العربى ، حتى انتهى إلى عصر ابن مالك فى القرن السابع الهجرى ، وذكر أشهر رجال النحو فى هذه الفترة ، وثورة ابن مضاء على نحو المشرق ، وإخفاق هذه الثورة فى عصره والمحاولة التى بذلت فى العصر الحاضر لإحيائها . وقد بين أسس هذه الثورة ، وقبل الصالح منها وفند ما عداه .

ثم تحدث عن حياة ابن مالك وأساتذته وتلاميذه ومؤلفاته ، وعن حملة أبى حيان الأندلسى عليه ، فأثبت خطأه فى بعض ما أخذه

على ابن مالك وتحامله عليه فى كثير مما رماه به .

ثم تناول أدلة ابن مالك ، وبين أنه كان أول من أكثر من الاستشهاد بالحديث الشريف ، وأثبت أن ابن مالك إذا كان قد وفق فى الاستدلال بالحديث فقد جانبه التوفيق فى بعض ما ذكره منه مما لم تثبت صحته ، أو لم يكن بالرواية التى استدل بها ، وأثبت أنه لم يكن بصريا ولا كوفيا ، ولكنه كان يختار - فى فهم وإدراك - ما يتفق مع أساليب العرب ، سواء وافق إحدى المدرستين أو خالفهما معا .

وذكر الأصول التى قال بها ابن مالك ، وناقشه فى بعضها ، مبينا وجه الرأى فيها وتعارضها .

وأثبت أن ابن مالك يرى أن الوظيفة الحقيقية للكلام هى الفهم والإفهام ، فإذا أدى الكلام وظيفته فهو سائغ مقبول ، وإذا لم يؤدها كان جديرا بالطرح وعدم الاعتبار .

كذلك يرى أن من مظاهر تيسير النحو ترك ما لا يدخل فى صميمه من الأبحاث عما هو أساسى فى فروع أخرى .

ثم عرض بعد أن وقاه حقه - لما حفظه التاريخ من مؤلفات ابن مالك ، معرّفا بكل منها ، ذاكرا نماذج تعطى فكرة واضحة عنها .

ثالثا : الكفاية فى النحو

كتاب يقع فى ثلاثة أجزاء ، تناول فيها

أبواب النحر ، وفقاً لترتيبها فى ألفية ابن مالك ،
وقد حرص فيه على تيسير النحر وتقريبه
لِلدّارس المتخصص وغيره من الراغبين ، فى
دراسة العلوم العربية ، متوخياً حسن العرض
وقرب المأخذ والبعد عن الخلافات العقيمة ، ولم
يذكر من الخلاف إلا ما لا غنى عنه مما قد يكون
له أثر فى قبول أسلوب أو توضيح قاعدة ، أو
يكون معيناً على قبول نهج فى تخريج بعض
الأساليب العربية التى أثبتت صحتها عدالة
الرواة وصحة السند ، كما كان حريصاً على أن
يتضمن الكتاب ما يفيد الدارس ويزيل الشبهة
التي قد تعرض له ، أو يجيب عما قد يرد على
ذهنه من أسئلة . كما عنى باختيار الشواهد
التي استدل بها النحاة ، متوخياً فيها قرب
التناول وسهولة الفهم ، كما أكثر من الاستدلال
بالقرآن الكريم والقراءات وبالأحاديث النبوية
الشريفة ، وقد خرّج الشواهد ، وعلق عليها بما
يفى بحاجة الدارس .

وكان فى أثناء عرضه يناقش ويرجح ويختار
ويدلى بالرأى ، ولم يحرم قارئ كتابه من أن
يستمتع بأبيات الألفية ، يضعها إزاء القواعد
التي تتصل بها ، فتأتى بيانا موجزا لما ذكر
مفصلاً فى هذا الكتاب .

رابعاً : العروض والقافية : دراسة ونقد
بدأ بإعطاء فكرة عن العروض والقافية وعن
موسيقى الشعر وعن واضع العروض وعن أثر

دراسة العروض وكيفية وزن الشعر وتفعيلاته
وأجزائه وأجزاء البيت وبحور الشعر ، وحاول أن
يخفف من عبء دراسة العروض والقافية فلم
يذكر المصطلح إلا عندما يعرض فى البحر . وقد
أحصى بحور الشعر فى كتاب الأمالي لأبى
على القالى ، فوصل إلى أنه لم يرد فيه شيء
على وزن المضارع أو المقتضب أو المتدارك . وأن
المجثث ورد على وزنه ثمانية أبيات بنسبة واحد
فى الألف من مجموع الأبيات ، وجاء على وزن
المديد عشرون بيتاً ، وعلى وزن الهزج ثلاثون
بيتاً وهى تساوى نصفاً فى المائة .

ورأى أنه يمكن ضم الأبحر المتشابهة واختصار
عدد بحور الشعر إلى تسعة بدلاً من ستة عشر
بحراً ، كما رأى أنه ليس من الضروري التمسك
بعدد التفاعيل المأثور عن العرب بشرط أن
توجد مقومات الشعر التي يقبلها الذوق .

خامساً : شرح التسهيل لابن مالك : تحقيق
ودراسة

تحدث المحقق عن أثر ابن مالك فى دراسة
النحر ومكانته بين العلماء وما تركه من تراث
ضخم ، وبين أهمية كتابه هذا ، إذ يعد خاتمة
مؤلفاته وأعظمها قيمة ، وأحقها بأن يبذل الجهد
فيه من أجل تحقيقه ونشره .

وبعد هذا عرض للنهج الذى سار عليه ابن
مالك فى هذا الكتاب والأسس التى أقام عليها
شرحه . وأشار إلى ما امتاز به ابن مالك من قوة

الحجة ، وحضور الذهن ، وسعة العلم ، وحسن الاختيار ، ثم انتقده في بعض الآراء .

وقد وثق المخطوطة بذكر طائفة من أقوال العلماء الذين أشاروا إلى شرح التسهيل لابن مالك وموازنة ما قالوه بما جاء في الشرح المنسوب إليه ، ولا شك في أن تعدد النقل لعلماء مختلفين في عصور مختلفة من أقوى الأدلة على إثبات المخطوطات وصحة نسبتها إلى أصحابها .

سادسا : مؤلفات أخرى منها :

أ - بعض مقررات برنامج تأهيل معلمى المرحلة الابتدائية للمستوى الجامعى .

ب - كتب مقررة فى اللغة العربية والدين فى التعليم العام .

ج - مقالات وأبحاث علمية منشورة فى عدد من المجلات .

ولعل مسك الختام أن أنوه بالصلة الوثيقة التى ربطت أخانا بالمجمع منذ اختار طريق التخصص ، فقد كان يتابع قرارات المجمع فى كل ما يتصل بدراسته ، وكان مما درسه قضية الاستشهاد بالحديث النبوى الشريف ، فقد زكى

رأى المجمع ورأى أنه يجب أن يزيد فيما يحتج به :

١ - الأحاديث التى رواها من العرب من يوثق بقصاحتهم وإن اختلفت ألفاظها ، فالثقة بهم تبيح الأخذ عنهم سواء أكان ذلك من إنشائهم ، أم كان منسوبا إلى النبى عليه السلام .

٢ - الأحاديث التى يُطمأن فيها إلى عدالة رواتها .

السيد الرئيس السادة الأعضاء :

إنى إذ أقدم لكم الأستاذ الدكتور عبد الرحمن محمد السيد أقدم لكم علما من الأعلام الذين عرفتهم الجامعات فى الوطن العربى ، ووثقت بهم ، واعتمدت على حسن تقديرهم ، ومنحتهم الرضا والقبول ، وأخذت بأرائهم العلمية فيما تعرض من أمور .

إننا نستقبله فى رحاب مجمع اللغة العربية فخورين بزمالته ، مزهوين بصحبته ، مهتئين له بالعضوية ، ومهتئين بالعضوية به ، سائلين الله جلّت قدرته أن يكتب له التوفيق والسداد وأن يهيبه له من أمره رشدا .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

دكتور أمين على السيد

عضو المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيّد
عضو المجمع الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس

السادة الأعضاء

الأخ الكريم

إنه لشرف عظيم لى أن يقع اختياركم على،
لأكون عضوا عاملا معكم فى هذا المجمع الموقر،
الذى يحظى بما هو أهل له من تقدير واحترام .
فشكرا لكم على ما أوليتمونى من شرف ،
وشكرا للأخ الكريم ، على ما غمرنى به من
مشاعر الود وجميل اليقين . وأرجو أن أكون
بمقدور حسن ظنكم ، وأن يعيننى الله على أن
أضيف لبنة صغيرة إلى صرحكم الشامخ
الرفيع .

كما أنه شرف عظيم أن أقف بينكم ، لأتحدث
عن رجل كان ملء السمع والبصر ، احتل أرفع
المناصب ، وشغل أرقى الدرجات ، فقد كان
رئيسا لعدد كبير من الهيئات ، وعضوا فى
أكثر من عشر جماعات ، فوق أنه كان وزيرا من
خير من شهدتهم وزاره الأوقاف ، وداعية من
أكبر الدعاة ، وثائرا من أنبل الثوار ، ومجددا
من أخلص من حملوا راية التجديد .

هذا العالم الثائر الوزير الداعية ، نشأ كما
ينشأ غيره من عامة الناس ، فقد هاجر جده
الأعلى بأسرته من المغرب الأقصى الى مصر ،
ونزل بقرية صغيرة من قرى مديرية أسيوط ،
هى قرية باقور ، التى نسب إليها وعرفت به ،
وكانت تشبه غيرها من القرى المصرية الصغيرة ،

فى أحوالها الاجتماعية ، وشئونها الاقتصادية ،
وفى هذه القرية حفظ القرآن الكريم ، وتعلم
القراءة والكتابة ، ثم التحق بمعهد أسيوط
الدينى ، وحصل منه على شهادة إتمام الدراسة
الابتدائية والثانوية ، ثم انتقل للدراسة العليا
بالأزهر بالقاهرة ، وهناك فى رواق الصعايدة ،
كان يحصل كغيره من الطلاب على أربعة
أرغفة صباح كل يوم ، كانت كافية لفطوره
وغدائه وعشائه ، وكان الفول المدمس - كما
يقول - أشهى ما يأكله إنسان فى أحد مطعمين
بالأزهر .

ثم أقبل على شيخوخ يعتز بهم فى الأزهر ،
ليستمتع - كما أنقل عنه - بأعذب ما فى
الحياة فى حلقة شيخ وقور ، يشرق نور الإيمان
فى وجهه ، إشراقة يستروح فيها الأمن
والطمأنينة والسكينة والسلام .

ولكنه مع ذلك لم يكن كغيره من الطلاب ، فقد
منحه الله لسانا لافظا ، وقلبا حافظا ، وبديهة
حاضرة ، وعارضة قوية ، وقدرة فائقة على
الإبانة والتعبير ، وجمع له أدوات الخطيب
الناجح ، فى سمته ونبره وقوة تأثيره ، فكان
قادرا على أن يلهب الأكف ويشق الحناجر ،
ويصل إلى أعماق القلوب . وقد فتح له كل ذلك
آفاقا واسعة ، وميادين عديدة ، للإسهام فى
النشاط الدينى والاجتماعى والسياسى ، فى
كثير من الأحيان .

ومن أجل ذلك كان وهو طالب ، يمثل طلاب الأزهر ، فى المؤتمرات والاجتماعات والدجان المختلفة . ومن أجل ذلك أيضا كانت له القيادة فى ثورة الأزهر العارمة ، التى لم يشهد لها مثيلا من قبل ، والتى زلزلت كرسى شيخه فى ذلك الوقت ، عندما ثار طلاب الأزهر على الأوضاع المتردية ، التى وصل إليها حال الطلاب والمخريجين ، ورأوا فى الشيخ المراغى ، الذى عرف بأنه واسع الأفق ، كبير العقل ، قادر على فقد الإسلام على أنه حضارة ، تنظر إلى الدين فى آفاق الدنيا ، بقدر ما تنظر إلى الدنيا فى آفاق الدين ، كما كان يرى ذلك أستاذه الإمام محمد عبده ، والذى عين من قبل رئيسا للأزهر ، فبحث عن علل الضعف وعرف دواءها ، ووضع قانونا للإصلاح ، ولكنه لم يتمكن من تنفيذه ، فلم يجد بدا من أن يستقيل .

وقد امتدت الثورة شهرا حتى آتت أكلها ، وعاد المراغى شيخا للأزهر ، وتحقق للأزهريين بعودته كثير من الخير ، وبدأت خطوات الإصلاح تأخذ طريقها . وقد استرعت الخطبة التى ألقاها زعيم الثورة فى حفل تكريم المراغى الأسماع ، واستمالت القلوب ، ولفتت إليه الأنظار ، وتحدثت عنها وسائل الإعلام ، وتنبأ له الكثير بأن يكون له فى مستقبله شأن ، ورجوا أن يكون على يديه خير عظيم .

وقد حقق الأمل ، وسار من نجاح سريع إلى

نجاح أسرع ، فعين بعد تخرجه مدرسا بمعهد القاهرة الدينى ، ثم وكيلا لمعهد أسسوط ، فوكيلا لمعهد القاهرة ، فشيخا لمعهد المنيا . ثم اختير بعد ثورة ١٩٥٢ وزيرا للأوقاف ، وهو منصب لم يكن من المألوف أن يشغله أزهري فى ذلك الوقت ، فأفسح بهذا طريقا لمن جاء بعده ، ووضع تقاليد لم تكن معروفة من قبل ، فهو وزير يرتقى المنابر ، ويخطب فى الجسج ، ويعطى المثل للخطباء المساجد ، فيما يجب أن تكون عليه خطبة الجمعة ، فى تناولها لشتون الحياة ، وحل مشكلاتها ، وفى الدعوة إلى الدين بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفى الخروج بهذه الخطب عن النهج التقليدى الذى كان سائدا .

ولقد كان بوصفه ووضع ، خير سفير لمصر والأزهر فى العالم العربى ، والعالم الإسلامى ، فزار أقطارهما من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، ومن الشرق إلى الغرب ، وهو فى كل مكان يذهب إليه ، وفى كل بلد يحل فيه ، يدعو للمحبة ، ويؤلف القلوب ، ويعطى الصورة الكريمة لعالم الإسلام المستنير ، ويقابل بالتجلة والاحترام ، والإشادة والتكريم .

وكانت له فى وزارة الأوقاف إصلاحات لا يمكن إغفالها ، لعل من أهمها حل الأوقاف الأهلية ، التى ضاق الناس بها ، وما كان نظارها والمهيمنون عليها يرتكبونه من مخالفات ، وما

كان يعانى منه المستحقون فيها من عنت
وحرمان ، فجاء إلغاؤها نعمة لأصحابها ،
ووضعها للأمور فى نصابها ، فقد أخذ كل ذى
حق حقه ، وطويت بهذا صفحة قائمة فى تاريخ
الإدارة والتنظيم .

وقد أمتدت جهوده إلى الأوقاف الخيرية التى
لامجال لإلغائها ، إذ رأى أن كثيرا من مصارفها
لاتوافق العدل ، ولاتصرف إلى من هم فى حاجة
إليها ، فضلا عما كان يرتكب فيها من
تلاعب ، لإعطاء من لهم حظوة أو نفوذ ،
فاستعان بأهل العلم والفقه فى إعداد بيان
يسوغ لمجلس الأوقاف الأعلى ، تحويل غرض
الواقف من جهة بر ، إلى جهة بر أولى
بالاعتبار ، وأدنى إلى تحقيق رغبة الواقف ، وقد
تم له ما أراد بعد أن وافقت على ذلك المحكمة
الشرعية .

وعندما وجد فى وزارة الأوقاف أموالا
مجمدة لا ينتفع بها ، أنشأ عددا من المؤسسات
الصناعية ، والشركات الإنتاجية ، التى أصبحت
مصدرا للرزق الشريف لكثير من العاملين ،
ووسيلة كريمة لاكتساب المال ، وإعاشة
المحتاجين ، وأغنى كثيرين عن الطلب
والاستجداء . ورأى أنه من الخير ، أن يُقدَّم جزء
من هذه الأموال لبعض البنوك لتستثمرها ،
ولتعود فائدتها إلى الوزارة ، لتستغلها فى
مشروعاتها المختلفة ، وبهذا أفتى فى وقت

مبكر ، بأن فوائد البنوك حلال ، فى وقت
كانت العقول مغلقة دون قبول ذلك ، ومن
العجيب أن يظل الجدل قائما حول هذا الموضوع ،
على الرغم من الفتاوى الواضحة ، والأدلة
القاطعة ، على أن هذه الفوائد ليست من الربا
المحرم ، وأن الأسباب التى من أجلها كان الربا
محراما ، ليس منها سبب يسوغ تحريم هذه
الأموال ، ولعل الأدعى إلى العجب ، أن يطالب
بعض الناس بتغيير اسم هذا المال المكتسب من
الفائدة أو الربح ، إلى اسم آخر يجعله حلالا ،
وكان العبرة ليست بالجواهر والمعنى وإنما بالشكل
والمظهر ، ومعاذ الله أن يكون ديننا دين ظواهر
وشكليات ، دون نظر إلى الدوافع والأهداف .

لقد برهن الأستاذ الباقورى على أنه كان
سابقا لعصره ، متقدما أقرانه ، سالكا مسلك
الصفوة من أساتذته ، الذين أكدوا للعقل
حرمته ، بمقدار ماله من حرية فى البحث
والاستقراء ، وأن الاجتهاد غاية شريفة ، يسعى
للظفر بها كل مشتغل بالعلم ، متفرغ له ،
والذين رأوا أن العلماء فى العصر الأخير ،
استسلموا للراحة ، ظانين أن أبواب الاجتهاد قد
أغلقت دونهم ، فأثروا التقليد ورضوا به ،
وعكفوا على كتب ماتت فيها روح العلم ، ثم
ابتعدوا عن الناس ، فجهلوا الحياة بمقدار ما
جهلتهم الحياة ، وأن الناس قد نظروا إلى القرآن
الكريم على أنه قوائم وتعاويد ، تحفظ من

الجن ، وتصون من الحسد ، فاستبدلوا بالتأديب بأدب القرآن ، والوقوف مع أحكامه وشرائعه ، صورا هي إلى التقاليد الوثنية ، أقرب منها إلى شرائع الإسلام . فهو يرى أن العالم المتخصص ، المقبل على الدراسة ، الملم بما قاله القدماء ، وبالأسباب والعلل التي بنوا عليها أحكامهم ينظر فيما استجد في عصره من قضايا ومشكلات ، وأن ينظر في أسبابها وعللها ، وأن يصدر فيها أحكاما تتفق مع أهداف الشريعة وأغراضها ، فيحل منها ما يرى فيه مصلحة عامتهم وسوادهم ، ولا ينال بالضرر أحدا منهم ، ويحرم ما فيه غبن وظلم لبعضهم ، وبهذا يسعد الناس ، وتستقر أمورهم ، ويقبلون على حياتهم راضين مطمئنين .

وعندما عين مديرا لجامعة الأزهر ، كان قد أنشئ بها ، فوق كلياتها الأصلية ، كليتان جديدتان ، هما كلية المعاملات الإسلامية وكلية البنات ، ولكنه رأى أن يكون تطوير الجامعة أوسع أفقا ، وأعم فائدة ، فأنشأ كلية للطب ، وكلية للزراعة ، وكلية للهندسة ، وكلية للدراسات العربية والإسلامية ، على أن يكون مقر الأخيرة الجامع الأزهر نفسه ، وأن يكون نظام الدراسة فيها ، وفقا للنظام التقليدي للأزهر القديم ، وأن تكون المحاضرات فيها موزعة على ساعات الليل والنهار ، وأن تكون أبوابها مفتوحة لكل الراغبين في هذه

الدراسات ، بعد أن كانت الدراسة فيه قد عطلت ، فاختلفت حلقات الدروس ، وخلت الأروقة من ساكنيها ، ومن حفظة القرآن الذين كانوا يرتلون فيها ، فأعاد لهذا البني العريق المبارك بهاء ونشاطه ، وجعله كما كان موطنا للعلماء والدارسين ، ومصدرا للإشعاع الديني والثقافي ، يقصده الوافدون من كل بقاع الأرض ، ليعمروا عقولهم بالعلم ، وعلتوا قلوبهم بالإيمان ، وليتزودوا من نبعه بخير الزاد .

ولعل الذي دفعه إلى ذلك رغبة صادقة في أن ييسر العلم للراغبين فيه من غير العرب ، فقد وجد أن الدارسين العرب لن يستطيعوا إشباع حاجة الشعوب غير العربية التي تريد معرفة حقيقة الإسلام ، وأسرار التشريع ، وأن من الخير استقدام أعداد من شباب هذه الأمم ، تنشأ لهم مدينة خاصة بهم ، ويعنى فيها بتعليمهم اللغة العربية ، ثم ينتقلون بعد إجادتها إلى حلقات الجامع لأزهر ، ويلحق المتأزنون منهم بعد ذلك بالكليات التي يميلون إليها . وبذلك يستطيعون أن يقدموا لشعوبهم ما ينتفعون به ، في شئون التجارة أو الطب أو القانون ، بعد أن يكونوا قد أفادوا من علوم الدين والشرع .

ولعل من ذلك أيضا ما يكون قد أحسه ، من أن قصر الدراسة بالأزهر على كلياته التقليدية قد جعل أبناء يعيشون بعبيدين أو

مبعديز: عن الاندماج فى الحياة كغيرهم من
بقية المصريين ، فقد كانت فى مصر بعد
تقسيمها إلى طبقة عليا وطبقة دنيا ، طوائف
ثلاث ، العسكريون والمدنيون والدينيون ،
وكانت هذه الطائفة الثالثة ، أقل الطوائف حظا
من كل ما كان مباحا لغيرهم من بقية المصريين ،
حتى إن أحدهم لو رأى يقود سيارة ، أو يدخل
متجرا كبيرا أو يقحم نفسه فى مجتمع من
المجتمعات العليا ، لم يسلم من النظر والهمز
والتعليق ، بل إنه لم يكن يسلم من ذلك ، وهو
سائر فى الشارع ، لا يؤذى أحدا ولا يلتفت إلى
أحد . فرأى رحمه الله بثاقب نظره ، أن إنشاء
هذه الكليات على ما فيها من فائدة لغير
المصريين ، وغير الأزهرين ، فيها فائدة كذلك
لأبناء الأزهر من المصريين ، إذ سيجعلهم - ولم
تعد دراستهم وقفا على فروعها التقليدية -
يندمجون فى غيرهم من أبناء الثقافات الأخرى ،
بل ربما فاقوهم وامتازوا عليهم ، بما حصلوه من
بصر فى شئون اللغة والدين ، وهذا مانراه
ونلمسه فى هذه الأيام .

وكان رحمه الله يرى أن خير الناس أنفعهم
للناس ، وأن فضيلة الإنسان أن يصنع خيرا
وللشر عنده غواية ، وله فى نفسه فتنة ، فليس
الخير ابتعادا عن الشر ، أو عجزا عنه ، أو
مخالفة له وحسب ، بل الخير هو اختيار الحسن
مع القدرة على القبيح ، وليست القداسة أن

تكون نورا وأنت نور ، ولا الفخار أن تكون نارا
وأنت نار ، وإنما القداسة والفخار أن تكون نورا
ونارا وأنت تراب ، وأن تسبح وتقدس وأنت قادر
على الفساد والعدوان . إن الإنسان إنما فضل
غيره من سائر المخلوقات بقدرته على التمييز
بين الخير والشر والنافع والضار ، والخبيث
والطيب ، والناس يتمايزون بما تهديهم إليه
طبائعهم من عمل ما فيه خير لهم ، وصالح
لغيرهم ، ونفع للبشرية ورقى بها ، ومن هنا
كان حرصه على أن يشترك فى كل عمل يرجو
منه الخير للناس ، أو يدفع به الضرر عنهم ،
شارك فى لجنة الطلبة ممثلا طلاب الأزهر ، لأنه
رأى فيها إسهاما فى خدمة بلده ، وتحريرا له من
الاستعمار ، وتخليصا له من أيدي المحتلين
الغاصبين . وشارك فى ثورة الأزهر ، لأنه عانى
كما عانى غيره ، مما كان عليه من جمود
وضعف وانطواء على النفس ، وانعزال عن
المجتمع ، وعجز عن متابعة ركب الحضارة
السائر إلى الأمام . وانضم إلى جماعة الإخوان
المسلمين ، عندما اقتنع بسلامة مبادئها ، وببل
أغراضها ، والتزامها فى دعوتها بمبادئ الدين
وأغراض الشرع الحنيف . واستجاب للشورى
عندما دعت لتولى وزارة الأوقاف ، لأنه وجدها
فرصة سانحة تمكنه من أن يفعل الكثير ، مما لا
يقدر عليه وهو بعيد عن هذا المنصب ، وكان
مسلكه فى الوزارة ، وتصريفه لشئونها خير

شاهد على ذلك ، فقد هز الوزارة هذا عنيقا ،
أخرجها من سباتها ، وبعث فيها حركة ونشاطا ،
بل إنه وهو وزير لها ، امتدت آفاق همته إلى
العالم الإسلامى كله من شرقه إلى غربه ، ومن
شماله إلى جنوبه .

ولعل هذا اليقين الذى ملأ قلبه ، هو الذى
دعاه إلى الاعتذار عن عدم تولي مشيخة
الأزهر عندما عرضت عليه ، وكان رأيه أن
الأزهريين يحتاجون إلى شيخ كبير ، يكون له
عليهم حق المشيخة ، فى جلال السن ، وسعة
العلم ، وشرف الأستاذية ، وأنه يشفق أن
يحتمل عبئا لا قدرة له على النهوض به ، وبهذا
يضرب المثل والقدوة فى التعفف عن احتمال
عبء يخشى ألا يقدر عليه ، والبعد عن
الوقوف فى طريق بعض من أساتذته ، الذين
يكن لهم كل تقدير وإعزاز ، والذين قد يرى
بعضهم أنه أحق بهذا المنصب ، لسابقة السن ،
وطول الخبرة ، والقدرة على الإفتاء . وقد يكون
السبب فى هذا مقاومة النفس ، التى قد يدفعها
هذا السير السريع فى سلم الرقى ، إلى شىء مما
لا يرضاه لأنفسهم أصحاب القلوب التى تشربت
الإيمان ، وعرفت ما قد تدفع إليه النفس ، وما
تأمر به ، ولعلنا نجد فى حياته ، وفى اتجاهه
فيما خلف من مؤلفات ، ما يساعد على ذلك
ويزكيه ، فقد حفظ القرآن وهو صغير ، ثم
درسه بعد ذلك وعاشه ، واختار بعض آياته

وسوره ليشرحها ، ويذكر ما يراه فى تفسيرها ،
وفيما درس واختار ، آيات تجعل من يقرأها ،
يستشعر جلال الله وقدرته ، وضآلة الإنسان
وعجزه ، وأن الملك بيد الله ، وهو خالق الموت
والحياة ، وأن علمه يصل إلى خفايا النفس
ومكنونات الصدور ، فماذا يملك الإنسان
لنفسه ، وعلام يعتمد إن لم يعتمد على ربه .

ولقد كانت حياة الأستاذ الباقورى دليلا حيا
على ذلك ، فقد عرف ، وذاع اسمه ، وتصدر
المجالس ، وشغل كثيرا من المناصب ، ونال من
الأوسمة والنياشين ، ما لو وزع على عصبة من
البارزين لكفاهم ، ولكنه مع ذلك ، ذاق مرارة
السجن ، وألم الاعتقال ، وملل تحديد الإقامة
سنوات طويلا ، لم يحسمه من ذلك شىء من
سوابقه ، ولم يحل دونه ما عرف به من صفاء
فى النفس أو نبيل فى الغرض .

ولكن الذى حماه ومنعه من فقد الأمل ،
والوقوع فى اليأس ، هو إيمانه بالله ، واستظلاله
بالقرآن ، فقد كان يرى أن القرآن - كما يقول
الإمام الشاطبى - كلية الشريعة ، وعمدة الملة ،
وينبوع الحكمة ، وآية الرسالة ، ونور الأبصار
والبصائر ، لا طريق إلى الله سواه ، ولا نجاة إلا
به ، « وأنه للمؤمن ناصح لا يغش ، ورائد لا
يضل ، وأمين لا يخون ، ويذكر قوله تعالى :
واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا
على الخاشعين » ففيها توجيه نافع ، وإرشاد

حكيم للمؤمنين الخاشعين ، يهد لهم سبل الخير ،
ويأخذ بيدهم إلى ظلال وارفة من الأمن
والسكينة ، فليس كالصبر درع نتقى به عوادي
الزمن ، وليس كالصلاة مفزع يجد به المهموم ما
يجده الوليد في حضن أمه من الراحة
والاطمئنان .

ولم يكن تأثيره بالقرآن ، واقفا عند حد
الصبر والخشوع ، ولكنه كان واضحا في ممارسته
لكثير من شئون الحياة ، فقد كان يرى أن
المؤمن الحق هو الذى يدفع السيئة بالحسنة ، ولا
يقابل العنف بعنف مثله ، وأن كل بلاء نزل
بساحة الإسلام والمسلمين ، إنما نشأ باستعمال
العنف الذى بدأ بمقتل أمير المؤمنين عثمان ،
وأن الدعوات المخلصة للإصلاح ، لم يستطع
قاداتها أن يحققوا الغرض المنشود منها ،
لالتجاء بعض المنتمين إليها ، إلى وسائل العنف
من القتل أو التدمير ، وهو الأمر الذى يدفع
الغاصبين والمتسلطين إلى الوقوف ضد هذه
الدعوات ، واستخدام كل الوسائل للقضاء
عليها ، وعلى كل من يدعو إليها ، والله
سبحانه يقول : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن »
ولو تدبر هؤلاء ذلك لأراحوا واستراحوا .

كما كان يؤمن بأن القرآن قد هيا لأمة
العربية الإسلامية سبل النجاح ، ومهد لها طرق
المجادة والسيادة ، ولكنها مع ذلك مسرح

أحقاد وأطماع ، تتحكم فيها النزوات
والعصبيات ، فلم تعد قادرة على أن تكون
مخافة عدو ، ولا هى بالغة أن تكون مأمنا
صديق . وقد وصل الأمر بحكام بعض البلاد
الإسلامية ، نتيجة لمروق بعض المسلمين عما
يدعو إليه دينهم ، إلى أن نادوا بإلغاء الدين
فى دساتير بلادهم ، ظانين أن ذلك هو الطريق
لإصلاح ما فسد من أمورهم ، والسبيل لتحقيق
ما وصل إليه غيرهم من تقدم وارتقاء ، وما
دروا أن فى ذلك إهمال الفضائل التى تقوى
الأواصر بين الناس ، وإغفال الحدود التى تصون
المجتمعات من الانحلال ، وإضعاف الطاقات
التي تحتاج إليها الشعوب فى الدفاع عن أرضها
، وفى بناء نهضتها .

والدين - كما يؤخذ من القرآن ، وكما تدل
أحاديث الرسول - يسر لا عسر فيه ولا إرهاق ،
فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها ، ولا حرج على
بعض ذوى الأعذار ، فى ترك ما يكلف به
غيرهم من الأصحاء ، والله يحب أن تؤتى
رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه ، كما يقول
رسوله الكريم ، ولذلك فقد أبيح الفطر للمسافر
والمريض ، حتى لا يتحمل أحدهما مشقة فوق
ما يطيق ، وعلى كل منهما أن يصوم أياما آخر
بدل التى أفطرها ، ولا حرج عليه فى ذلك ،
ولذلك كان الشيخ يفطر فى بعض أسفاره أخذا
بهذه الرخصة .

وقد كان يعجبه مارآه الإمام محمد عبده فى شأن الصور والآثار والتماثيل ، عندما سئل عن حكم هذه الصور فى الشريعة الإسلامية ، إذا كان القصد منها تصوير هيئات البشر فى حالاتهم النفسية ، أو أوضاعهم الجسمية ، فقال : إن الرسم قد رسم ، والفائدة محققة لانزاع فيها ، ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة قد محى من الأذهان ، ويعقب الأستاذ الباقورى قائلا : وبهذا نرى لونا جديدا من الفكر ، يساير المنطق الصحيح ، ويفتح أمام الإسلام طريقا يكون خير وعاء للحضارة فى عصرنا الحديث .

كما كان له رأى فى الموسيقى والغناء اللذين لم يزالا موضع تساؤل فى عصرنا الحاضر ، فقد أباحهما ، استنادا إلى ما نقل عن عائشة رضى الله عنها ، والجاريتين اللتين كانتا تغنيان عندها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حاضر . وإلى ما روى عن رسول الله من قوله : " ليس منا من لم يتغن بالقرآن " فالمسلمون مأمورون بترتيل القرآن ، ولا يرون فى ترتيله ما ينافى قداسته ، بل يرون ذلك معينا على قوة تأثيره ، ودافعا للإصغاء إليه . وإلى ما روى عن عمر رضى الله عنه ، مع صرامته وشدة على نفسه وعلى غيره ، فى رعاية أحكام دينه ، من أنه كان يبيع الغناء ويدعو إليه . وإنما ينكر الغناء إذا اشتمل على لهو ينفر القلوب ، ولكن حرمة هذا اللون لا تحرم غيره من

ألوان الغناء ، كما يحرم اللباس الخليع دون أن يمتد أثره إلى سائر اللباس ، وكما يحرم الحديث الخليع دون أن يكون ذلك مانعا من سائر الكلام .

وكان يرى أن المراد بالمطهرين فى قوله تعالى : " لا يمسه إلا المطهرون " هم المطهرون من الذنوب ، ومن أضرار الأوزار ، كما قال ذلك كثير من أعلام السابقين ، وأنه لا بأس بحمل القرآن ومسه ، للمسلم وغير المسلم ، طاهرا كان أو محدثا ، إلا أن بعضهم لم يبيح للمشرك حمله . ولم يكن عجبا أن يجد هذا العالم النصح الجليل ، الذى كان داعية من أنجح الدعاة للإسلام ، ووطنيا من أخلص العاملين لجمع شمل الأمة ووحدة عنصرها ، من يأخذ عليه سماحته فى دينه ، بإتيان بعض الرخص ، ويأخذ عليه إشارات بالوحدة التى تمثلت فى الثورة الوطنية ، والتى كانت مضرب الأمثال ، وموضع الإعجاب . لم يكن عجبا أن تتحول ميزات الرجل وأعماله وخدماته ، إلى مساوىء فى رأى فريق من الجامدين المتزمطين ، المتمسكين بالمظاهر والشكليات ، الرافضين لكل تقدم وانطلاق .

فهكذا كان الأمر مع كثير من المجددين المصلحين ، الذين أثار الله بصائرهم فسبقوا عصرهم ، ورأوا بتوفيق الله وعنايته مالم يره غيرهم ، وحاولوا أن يأخذوا بيد شعوبهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم ، ولكن الجامدين

المتخلفين وقفوا فى طريقهم ، ورفضوا دعوتهم ،
وحال عنادهم بينهم وبين كثير من الخير ، الذى
لم يدركوا قيمته إلا بعد أن مضت سنوات ،
أفاقوا بعدها من غفلتهم ، وعرفوا فساد رأيهم ،
وأخذوا يعضون بنان الندم على الفرصة التى
ضاعت ، والبارقة التى أفلتت ، وحاولوا
استرجاعها ، أو استرجاع شىء منها ، ولكن
هيهات . رأينا ذلك فى الماضى ، ونراه فى
الحاضر ، وأعتقد أنه سيكون كذلك فى
المستقبل ، فهذه سنة الله ، ولن تجد لها تبديلا .

لقد عاش الأستاذ الباقورى حياة عريضة
عميقة ، لم يقف فيها عند الحد الذى كان يقف
عنده السابقون ، من إلقاء البيانات ، والاكتفاء
بالتعبير عن أطيب الأمنيات ، ولكنه كان حركة
دائبة ، ونشاطا غير مقطوع ، ينتقل من الشرق
إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، يصلى
فى المسجد ، ويخطب فى الكنيسة ، يزور دولا
عربية أو إسلامية ، ودولا مسيحية أو
شيوعية ، ليقف بنفسه على حال المسلمين ،
وليوثق معهم الروابط والعلاقات ، لم يحل بينه
وبين غايته بحار أو محيطات ، ولم تمنعه جبال
أو صحراوات ، ولكنه كان يستمد من إيمانه
قوة ، ومن نجاحه وتوفيقه حافزا إلى نجاح
أكبر ، وتوفيق أعظم .

وإذا كان فى السنوات التى اعتقل فيها أو
سجن ، قد منع الحركة والانتقال ، فقد ظل

نشاطه العلمى قويا موصولا ، فهو يقرأ
ويفسر ويؤلف ، ويسجل خواطره وأفكاره ،
وربما كانت هذه السنوات أحفل سنوات عمره
بالدراسة والتأليف .

وعندما نزل به المرض ، وأصبحت حركته أبطأ ،
وقدرته على المشاركة فى الحياة العامة أضعف ،
ظلت إرادته القوية تدفعه إلى أن يمارس من
أنواع النشاط ما يستطيع ، فهو يحضر الندوات ،
ويشهد الاجتماعات ، ويلقى بعض الدروس
المذاعة من المساجد ، لينفع الناس بما وعى
صدره ، وما حفظ قلبه . وقد طبعت بعض
مؤلفاته بعد أن اختاره الله إلى جواره ، ولعل
هذه الكتب قد كتبها أو أملاها فى هذه الفترة
الأخيرة من سنوات عمره ، آية قاطعة على
عطائه الموصول ، وعلمه النافع المبدول ، وشاهد
صدق على أنه كان من العلماء العاملين ، المرجو
قبولهم فى درجات الصالحين من جنات النعيم .

ومع هذه الحياة الحافلة التى عاشها ، ومع
المناصب الكثيرة التى شغلها ، عاش عفا اليد ،
عفا اللسان ، وخرج من عالمنا دون أن تغريه
الدنيا ، أو يشغله متاعها .

رحم الله العالم الجليل ، وجعل سيرته نبراسا
يهتدى به العاملون الصابرون ، وهيا لنا جميعا
من أمرنا الرشيد والصواب .
والسلام عليكم ورحمة الله .

دكتور عبد الرحمن السيد
عضو المجمع

فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ٩ من شوال سنة ١٤٠٨ هـ الموافق ٢٥ من مايو
سنة ١٩٨٨ م أقام المجمع حفلا لتوديع عضو المجمع المغفور له الأستاذ عبد السلام محمد هارون الأمين
العام للمجمع ...
وفىما يلى نص الكلمات التى ألقىت فى الحفل :

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف عضو المجمع فى تأبين المغفور له
الأستاذ عبد السلام محمد هارون

السيد الأستاذ رئيس المجمع ، الزملاء
الأجلاء ، أيها السيدات والسادة :

إنه ليحزننى أن أمثل بين أيدي حضراتكم
لأؤبن زميلى وأخى الأستاذ عبد السلام هرون
الذى فاجأنى نبأ وفاته ، فسارعت إليه ، وإذا
المشييعون من ورائه وهو محمول على أعناق
الرجال ذاهب إلى مستقره فى غير صخب
ولاجلبة ، وتولأنى أسى عميق ، وراجعت
نفسى ، إذ هى الدنيا مهما تراخت بنا فيها
الآجال لا بُدَّ أن تنتهى إلى زوال ، ولا بُدَّ فيها من
تجريح الموت الزؤام ، ولا بُدَّ أن تُفجع فيها بالأتراب
والصحاب ، ولا بد أن نرُوع بفراق الأصدقاء
والزملاء ، وكم من زميل عزيز فى مجمعنا كان
ملء السمع والبصر علما وفضلا فقدناه بالأمس
وقبل الأمس ، وأين منا من كُنَّا نرمقهم بإعجاب
وهم يعرضون أفكارهم وآراءهم بحجج دامغة
وأصوات مسجلة ؟ أين منا إبراهيم أنيس
وأحمد عمار ومصطفى مرعى وإبراهيم
الدمرداش وأحمد عبد الستار الجوارى والصفوة
النابهة من أعلام مجمعنا الراحلين مصريين وغير
مصريين ؟

لقد طويت صحف آجالهم بغتة وخلفونا
وراءهم نبيكهم بدموع غزار مرددين :

لقد فارق الناس الأجابة قبلنا

وأعيا دواء الموت كل طبيب
وإنها لحكمة الله الخالدة أن لا ينبج فى الموت

دواء ، وأن لاعاصم لأحد من الفناء ، فإذا
من بقى يوشك أن ينطفىء مصباحه ، فالموت
دائما على الأبواب يُصلصل ، ودائما تنتقل من
لوعة إلى لوعة ، وعبثا تخفف الدموع
ما يستكن فى حنايا الأضلاع من الأوجاع إزاء
غوائل الموت وفواجعه ، وليس من واق ولا قاد
لكأنا الأحياء جميعا أبناء الموت وهو يعيرهم
للحياة ويستردهم منها ، يسترد عوارثه وودائع
جماعات ووجدانا ، ولا يستطيعون أن يعصروا
له أمرا ، إنهم أبناء بررة لا يعرفون العصيان له
ولا العقوق أبدا ، بل إنه القضاء الذى لا مرد له
ولا مفر منه ، فالجميع ميتون ، والجميع من
حياض الموت ناهلون ، والجميع راحلون الرحلة
الأبدية ، اللاحق فيها مثل السابق ، والمتأخر
مثل المتقدم ، ولا تملك إلا الاستسلام واحتساء
الصبر وكثرة الاسترجاع تسليما لله مصرف
الأقدار فيما قضى ، ابتغاء الزلفة عنده والرضا .

ولقد خلف الزميل الأستاذ عبد السلام هرون
بوفاته مكانا علميا فى المجمع سيقطل شاغرا
بعده لخلق السورى وعلمه اللغوى ، أما خلقه
فكان دائما بشوشا طلق الوجه رضى النفس
ودودا لإخوانه ، وأما علمه باللغة فقد كان منهلا
لا ينضب معيته ، إذ أنفق فيها حياته ، وعاش
لها ، وعاش بها ، معيشة من يفرغ لنسكه .
وكأنا تحولت العربية - أماسه - منسكا نثر
على نفسه أن يظل - طوال عمره - يقيم لها

المنذور بجهود علمية متصلة .

وقد ولد الفقيه بالإسكندرية فى ١٨ من يناير سنة ١٩٠٩ ودرج ونشأ فى بيت كريم من بيوتات العلم فى الأزهر الشريف ، كان جده الشيخ هرون بن عبد الرازق عضوا فى جماعة كبار العلماء بالأزهر ، وكان أبوه الشيخ محمد عالما جليلا ، تولى وكالة مشيخة العلماء بالمعهد الدينى فى الإسكندرية ، وبها أنجب ابنه عبد السلام ، ونُقل إلى المعهد الدينى بطنطا فى نفس المنصب ، وسرعان ما أصبح رئيسا للتفتيش الشرعى بوزارة الحقانية (وزارة العدل الآن) وعينه لا تغفل عن تربية ابنه ، آملا أن يصبح مثل آبائه ، شيخا من شيوخ الأزهر المرموقين ، وأخذ بحفظ القرآن الكريم وأتم حفظه فى العاشرة من عمره ، ودخل الأزهر فى سنة ١٩٢١ ومكث به ثلاث سنوات ، وجذبتة إليها دار العلوم العليا ، فالتحق بها سنة ١٩٢٤ ونهل من دروس أساتذته ما استطاع مما صقل به فكره ولسانه ، وأقبل على قراءة الكتب فى نهم شديد ، ونظر فى المخطوطات ، وطمح إلى أن يخرج كتابا إخراجا علميا ، وهو لا يزال فى مدارج الشباب وطلب العلم ، وعكف على خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي يحققها ويحاول إخراجها ، وأخرج الجزء الأول منها سنة ١٩٢٧ وهو بالسنة الثالثة بالدار ، وكان ذلك إرhasا بأنه سيهب حياته لتحقيق نفائس

التراث ، وتخرج فى السنة التالية فعُين - مثل رفاقه - فى التعليم الابتدائى ، وظل مشغورا بالتحقيق فهو أمنيته ومبتغاه فى دنياه ، وفكر فى كنز من كنوز التراث يعيد إليه الحياة ويمكن الباحثين من الانتفاع به ، وهذاه تفكيره إلى تحقيق كتاب الحيوان للجاحظ أكبر أدباء العربية فى العصر العباسى . وكان اختيارا موفقا غاية التوفيق لما كانت تفتلىء به أجزاء الكتاب من تصحيقات وتحريفات لا تحصى ولما حشد الجاحظ فيه من أشعار تفتلىء بالألفاظ الغريبة ، وظل سنوات عاكفا على هذا العمل المجهد يصحح الخطأ ويداوى السقم ويشرح اللفظ الغريب حتى استقام له الكتاب ، وما توافى سنة ١٩٣٨ حتى يهدى الجزء الأول منه إلى العلماء والباحثين وتتوالى أجزاءه السبعة ، وكلما أخرج منه جزءا ازداد إعجابهم به لما بذل فيه من جهد علمى قيم خصب ، وأخذت البيئات العلمية ترمقه معجبة بتحقيقه وصنيعه فيه ، واختاره أستاذنا الدكتور طه حسين عضوا فى لجنة أحياء تراث أبى العلاء سنة ١٩٤٣ وأخرج معها مجلد اضخما دوئت فيه ما كتبه الأسلاف عن فيلسوف المعرفة ، وأتبعت ذلك بشروح ثلاثة لديوانه سقط الزند فى خمسة مجلدات . وتقديرا له اختارته جامعة فاروق (جامعة الإسكندرية الآن) مدرسا بها سنة ١٩٤٥ وظل بها خمس سنوات ، وفى سنة ١٩٥٠ انتقل إلى

كلية دار العلوم أستاذا مساعدا ، وفى سنة ١٩٥٩ أصبح أستاذا ورئيسا لقسم النحو بها وطلابها من حوله يفيدون من علمه ما يتمثلون به تمثلا دقيقا قواعد العربية ، ويشرف على رسائلهم للماجستير والدكتوراه ، ويبصرهم فيها بالنهج السديد ، وفى سنة ١٩٦٦ اختير لتأسيس قسم اللغة العربية بجامعة الكويت ، ومضى ينهض به ، حتى إذا تكاملت سنواته أنشأ فيه الدراسة العليا للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه ، وفى أثناء عمله بتلك الجامعة انتخب عضوا بالمجمع سنة ١٩٦٩ . وعاد إليه فى سنة ١٩٧٥ ومضى يسهم فى بحوثه ولجانه اللغوية حتى إذا كانت سنة ١٩٨١ حظى بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربى ، وفى سنة ١٩٨٤ انتخب أمينا عاما للمجمع ، وظل فى هذا المنصب إلى وفاته . ولم ألتحدث - حتى الآن - عن جهود الأستاذ عبد السلام هرون فى التحقيق والتأليف ، وهى جهود جديرة بكل تقدير ، وقد استنفدت التحقيق الحظ الأوفر منها ، ويمكن توزيع عمله فيه على خمس مدارات ، أولها مدار مكتبة الجاحظ أكبر كتاب العصر العباسى الذى شغل العرب وملاحياتهم بأدبه وفكره ، وقد أحيا له كتابه الحيوان فى سبعة أجزاء ، كما أسلفنا ، وألحق بتلك الأجزاء جزءا ثامنا ، ونال بتحقيقه العلمى المخصب لهذا الكتاب الجائزة الأولى للمجمع سنة

١٩٥٠ . وتتابع تحقيقه لأهم آثار الجاحظ . إذ أحياه كتابه : " البيان والتبيين " فى أربعة مجلدات ، وكتابه : " العثمانية " وكتابه : " البرصان والعرجان " وأحيا أيضا رسائله القيمة فى أربعة مجلدات كبار ، وكل هذه الأعمال للجاحظ ذلها للباحثين وأقام ما فى نصوصها من عوج وأمت . ووضع لها الفهارس التفصيلية التى تعين الدارسين فى الانتفاع بها على خير وجه .

والمدار الثانى فى تحقیقات الأستاذ عبد السلام هرون المعاجم فى اللغة وفى الأنساب ، أما معاجم اللغة فقد حقق منها معجم مقاييس اللغة لابن فارس فى ستة أجزاء ، ومؤلفه يوصل فيه ألفاظ كل مادة لغوية ، فيردها إلى أصل أو أصلين وتنقل عنه لجنة المعجم الكبير هذا التأصيل اللغوى فى فاتحة كل مادة من مراد اللغة مما يدل بصورة واضحة على أهميته اللغوية العلمية . وحقق بجانب هذا المعجم جزأين من معجم تهذيب اللغة للأزهري . ومن أعماله المعجمية إشرافه على طبع معجم المجمع : المعجم الوسيط . أما معاجم الأنساب فحقق منها معجمين : كتاب الاشتقاق لابن دريد ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم . وكان المستشرق المعروف بروفنسال نشره مملوفا بالتصحيفات والتحريفات ، فأصلحه وصححه ورد نصوصه إلى الصواب .

والمدار الثالث فى تحقیقات الأستاذ
عبد السلام هرون كتب نحویة ، بعضها من
الأمهات ، وفى مقدمتها كتاب خزانة الأدب
لعبد القادر البغدادى فى ثلاثة عشر جزءاً ،
عنى بتحقیقه منذ أن كان طالبا فى دار العلوم
العلیاء كما أسلفنا ، وحقق كتاب سيبويه فى
خمسة أجزاء ، وهو الكتاب الأم للنحو والنحاة
منذ القرن الثانى الهجرى إلى اليوم ، وحقق
كتاب مجالس ثعلب أحد أئمة النحو الكوفى ،
وهو إملاءات لمختارات شعرية ونثرية ، تكتظ
بالمسائل النحویة والقراءات القرآنیة والأشعار
المملوءة بالألفاظ الغریبة والأمثال ونال به الجائزة
الأولى للمجمع فى بعض السنین . وحقق أيضا
فى النحو کتابین للزجاجی هما : مجالس العلماء
والأمالی .

والمدار الرابع فى تحقیقات الأستاذ عبد
السلام هرون متنوعات ، منها شرح القصائد
السبع الطوال لابن الأنبارى ، وهو شرح نفیس
للمعلقات ، ومنها المصون لأبى أحمد العسكرى
ومنها وقعة صفین لنصر بن مزاحم ، وهى تكتظ
بأشعار كثيرة ، ومنها نواذر المخطوطات فى
مجلدین وتشتمل على أربعة وعشرين كتيباً
ورسالة ، وتضم كثيراً من الطرف الفريدة مثل
الرسالة المصریة لأبى الصلت أمیة الأندلسی
الذى عاش بمصر فترة غیر قليلة فى أواخر القرن
الخامس الهجرى وأوائل السادس ، وهى الأثر

الوحد الذى یعرض شعراء القاهرة
والإسكندریة فى تلك الفترة ، ومثلها فى
الأهمیة رسالة ابن غرسیة الأندلسی فى
الشعوبیة والردود علیها ، وكذلك رسالة طریفة
فى شراء الرقیق وتقلیب العبد ، وفیها نقف
على كثير من شئون الرقیق فى المجتمع
الإسلامی .

والمدار الخامس فى تحقیقات الأستاذ
عبد السلام هرون مدار مشترك بینہ وبين أعلام
من المحققین ، من ذلك ما حققه مع لجنة إحياء
تراث أبى العلاء من تعريف القدماء بالمعری
وشروح دیوانه سقط الزند ، كما أشرنا إلى ذلك
فیما أسلفنا من حديث ، ومن ذلك تهذیب
صحاح الجوهري فى ثلاثة أجزاء بالاشتراك مع
الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، ومن ذلك
إصلاح المنطق لابن السكيت بالاشتراك مع
الأستاذ الجلیل الشیخ أحمد شاکر ، وهو أصل
مهم من أصول اللغة ، وحقق معه أيضا
المفضليات للمفضل الضبى وبها قصائد مطولة
لسبعة وستین شاعرا جاهلیا ، وبالمثل حقق معه
الأصمعیات وبها مطولات لسبعة وأربعین شاعرا
جاهلیا ، والمجموعتان أوثق نصوص الشعر
الجاهلی ، ولو لم یصلنا سواهما لكانتا كافیتین
فى دراسة الشعر الجاهلی دراسة وافیه . وحقق
كذلك شرح دیوان الحماسة للتبریزی فى
أربعة مجلدات بالاشتراك مع أستاذی الكبير

أحمد أمين .

وبجانب هذه التحقيقات العلمية القيمة المنفردة والمشاركة للأستاذ عبد السلام هرون نلتقى عنده بمؤلفات كلفتته غير قليل من العناء والمشقة ، من ذلك ألفُ حديثِ نبوى مختارة من صحيح البخارى فى عشرة أجزاء ، ومنها تنبيهات وتحقيقات فى معجم لسان العرب ، ومنها الأساليب الإنشائية فى النحو العربى ، ومنها معجم شواهد العربية فى مجلدين ، ومنها كتاب الميسر والأزلام وكتاب تحقيق النصوص ، وقواعدُ الإملاء ، وحول ديوان البحترى ، ومنها تهذيب سيرة ابن هشام وتهذيب إحياء علوم الدين للغزالي فى مجلدين وتهذيب كتاب الحيوان . ووَضَعَ فهرس تحليلية لبعض المعاجم وكتب النحو المهمة ، منها فهرسُ المخصص لابن سيده وفهارس معجم تهذيب اللغة للأزهري وفهارسُ تحليلية لكتاب سيبويه - ونشر أخيرا كتاب مقيدات ابن خلكان أورد فيه ما نصُّ فى كتابه وفيات الأعيان على ضبطه وتفسيره من الألفاظ اللغوية وأسماء الأشخاص والبلدان ، ونشر أيضا كتَّاشة النوادر ، وكان يتحف بها مؤتمرات المجمع فى السنوات الأخيرة آملا أن يرسم البسمة على الشفاه بعد جهود المؤتمرات

المضنية - ومنذ سنة ١٩٤٣ كان ينشر - من حين إلى حين - بمجلات مصر والبلدان العربية بحوثا وتحقيقات لغوية سديدة .

أيها السيدات والسادة :

تلك كلمة مجملة عن جهود الأستاذ عبد السلام هرون المتنوعة طوال ستين عاما ظل فيها عاكفا على التحقيق والتأليف ليل نهار محتملا فيهما عناء شاقا ، وهو عناء كان يجد فيه متعته فى دنياه ، وخاصة حين يحيى عملا قيما من أعمال الجاحظ أهم كتاب العصر العباسى غير منازع ، وكذلك حين يحيى معجما من المعاجم أو أصلا من أصول النحو العربى أو مجموعة شعرية قديمة نفيسة . ومهما تحدثت عن الأستاذ عبد السلام هرون وأعماله فلن أستطيع أن أوفيه حقه من الثناء ، عوض الله ، المجمع عنه خير العوض وألهم نجله الدكتور نبيل وأسرته وتلامذته وزملاءه الصبر على المصاب فيه ، ولقاء - بما أسدى للعربية - الرحمة والرضوان ، وأسكنه فسيح الجنان .

والسلام عليكم ورحمة الله .

شوقى ضيف

مرثية شعرية في وداع الفقيه للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن

عضو المجمع

عَجَزَ اللِّسَانُ . . .

إلى روح طيّب الذكر ، الصديق ، الزميل ، الأستاذ
الجليل عبد السلام هارون ، الأمين العام لمجمع اللغة
العربية ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنّته

وتُذِيبُ أَفْئِدَةَ الْأُحِبَّةِ بِالضُّنَى

ويأدُمُعُ فوق الخدودِ سِرَاعَ

* * *

عبد السلام ، بلغت بالأدب المدى

حيثُ أستاذُ وربِّ يراع

قد كُنْتَ يَاهْرُونُ للفصحى طيبـ

سبَّ تطوُّرٍ ، نطِيساً ، طويلَ الباع

وملكتَ منها السَّرَّ فانقادت ذُلُولاً

في يدك كتابُ مطواع

أحييت مَيِّتَ تراثِها وجلوتَـ

دُرّاً تُنمِّقُها بفنِّ صَناع

وملأتَ منه خزائناً بعجائبُ

حصلتُ على التقدير بالإجماع

عَجَزَ اللِّسَانُ عَنِ الْكَلَامِ الْوَاعِي

لما نعاكَ إلى صوتِ النَّاعِي

وصرختُ : " لستُ مُصَدِّقاً ، غَلِطَ النُّعَاةُ ،

فليس يتركنا بغير وداع ! "

لهفى على هارونَ ، إن فراقه

قد فَتَّ في عضُدِي وفي أضلاعي

قد كان فينا قبل يومٍ واحدٍ

حَبَرَ الْعَيُونِ ، وَمُتَعَةَ الْأَسْمَاعِ

(مرموقَ أسبابِ الشبابِ) وإن تآلـ

سُقَّ شَيْبُهُ فِي الرَّأْسِ مِثْلَ شَعاع

جَمُّ النِّشَاطِ ، وَوَجْهُهُ مُتَهَلِّلُ

وكدأبه سَمْحاً ، رقيقَ طِبَاعِ

يَا لَلْمَنُونِ تنروشنا أبداً مُبَا

غَتَّةً ، وتَفْجُونَا بِشَرِّ خَدَاعِ

قد كُنتَ فيه رائداً منذ الصُّبا

وأَمِيرُهُ شيخاً بغير نزاع

لهنّى على " كُنْاشة " تحوى النوادرَ

كالجواهرِ ، جَمَّةُ الإمتاع

فى كل عامٍ كُنتَ تُتَحَفُّها بِسَمِّ

سَطِّ لآلِىءٍ فى غاية الإبداع

مَنْ بعد هارونٍ يوالى أمرَها ؟

يا ويلتا إذ ينتهى لَضِياع !

* * *

هارونُ ، كيف وفاءُ حَقِّك بالرُّثا ؟

هذا بحقُّ فوق طوقٍ يراعى

كم كُنتَ سَمِحاً ، طيِّباً ، كم كُنتَ فى

مضمارِ حُسْنِ القولِ أدأبَ ساع

زانتك أخلاقُ الشيوخِ وجِدُّهم

ورَقَلتَ فى مَرَحِ الفتى الشَّعْشاع

طلقَ المحيّا ، فاكها ، وملاطفاً

لَكِنِّما لم تُزِرِ بالأوضاع

كم كُنتَ صُلْبَ الرأى لكن هادئاً

تزجيه بالحسنى وبالإقناع

كم كُنتَ مجتهداً ، دؤوباً طامحاً

تهوى العلّا ، لكن بلا أطماع

كم كُنتَ صادقَ هَمّةٍ ، كم كُنتَ جلد

سداً كيُسَ الإمضاء والإزماع

وأثار ذلك شائنين فلم تكن

منهم على ضجرٍ وضيقٍ ذراع

بل كم صفحت وما طويت ضغينةً

ودفعت بالإحسان ، لا الإقذاع

حتى مُحِبُّوك استغلُّوا فيك ما

قد حُزّت من نُبلٍ وطيبٍ سماع

(سكن الأُحبة والعِدا ، وفرغت من

عَنَتِ الخصوم ، ومن هوى الأشياء)

وسكنت فى عليا الجنان منعماً

فى عالمٍ آمِنٍ بغير صراع

دكتور محمد يوسف حسن

كلمة الأسرة

لنجل الفقيه الدكتور نبيل عبد السلام هارون

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين «
وهكذا قد كان شأنه كله فما عهدناه - نحن
أبناءؤه - قد بدل يوما منهجه أو أخلد للراحة
حتى آخر سويكات عمره .

أساتذتى الأجلاء - رواد الجيل :
لئن كان الجاحظ - الذى حقق الوالد أشهر
موسوعات والعديد من رسائله ، حتى اقترن
اسمه به - لئن كان الجاحظ قد قضى نحبه حين
تساقت عليه مجلدات العلم ، فقد مضى
والدى حاملا عبء قرابة الخمسين ألف صفحة من
الأعمال المؤلفة والمحققة ، والتى نسأل الله
الكريم رب العرش العظيم أن يشغل بها ميزان
حسناته ، وأن ينفع بها أجيال الأمة إلى يوم
الدين ، وبين يدي آخر ما خطت يمينه فى دراسة
بعنوان :

" تجربتى فى إحياء التراث " ختمها بعبارة
تجمع فى بلاغتها كل هذه المعانى ، يقول فيها :
" هذه تجربتى فى أثناء نصف قرن من الزمان
بذلت فيه ولم أبخل ، وصبرت ولم أجزع ، لم
أستعن غير الله ولم ألجأ إلى سواه ، بيده الخير

وبعد فأشكر لأساتذتى الأجلاء كلمات الرفاء
نثرا وشعرا ، والتى عبر بها كل من أستاذى
الدكتور شوقى ضيف وأستاذى الدكتور محمد
يوسف حسن ، عبيرا بها عن جميل تقدير
مجلسكم المهيب لحياة أفناها الوالد الراحل فى
خدمة لغة القرآن العظيم ، وإحياء تراث أمة
الإسلام ، وجلال نصوصه ومخطوطاته مما
اعتراها من عوادي الزمن وعبث الأعداء ، حتى
صار بحق : مؤسس علم تحقيق التراث وواضع
منهجيته .

ولقد كان حسن تقدير زملائه فى مجتمعكم
العتيد ومن ورائهم جموع علماء اللغة والتراث
وأتباع السلف الصالح عبر ديار العروبة والإسلام
خير مشجع ومعين للوالد على ذلك العمل
الدءوب الذى كرس له حياته ، وقدم به نموذجا
نادرا فى الإخلاص لرسالة نذر لها نفسه -
إرضاء للمولى جل وعلا القائل : « من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من
قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » ،
وامتثالا لأمره تعالى : « قل إن صلاتى

وهو على كل شيء قدير "

أساتذتى الأجلاء - رواد الجيل :

لقد بشر رسولنا الأمين عباد الله الصالحين
بامتداد برهم وانتشاره بعدهم فى حديثه
الشريف : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا
من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد
صالح يدعوه » . أما الأولى - الصدقة
الجارية - فبينه وبين ربه يعلم جليها وخفيها .
أما الثانية - العلم النافع - فإنها لأمانة فى
رقابنا جميعا أن نتعهد كل ما أحيا من أشجار
التراث الخالد . وأما الثالثة - الولد الصالح -
فكل تلاميذه وعارفى فضله هم ذلك الولد
الصالح ، فمنذ أن رحل راضيا مرضيا من عالم
الشهود إلى عالم الخلود ، لم يعد عبد السلام
هارون ملكا لأسرته

الصغيرة وحدها بل أصبح بأعماله ملكا لأمة
بأكملها اتصل تراثها الخالد بعاضرها المجيد
ومستقبلها المأمول - بفضل جهوده وجهود
زملائه من الرعيل المبارك من العلماء .

وختاماً شكر الله لكم طيب رفقتكم لراحلتنا
الكريم ، وجميل مواساتكم لنا ولأسرة التراث
الخالد ، وأبقاكم الله ذكراً ومصابيح هداية لأمة
حيرى تتلمس الهدى واليقين ، وطوبى لكم يا من
نعمت بالغرباء :

" طوبى للغرباء أولئك مصابيح الهدى
تنجلي بهم كل فتنة عمياء - فى هذا الزمان
وكل زمان " .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د . نبيل عبد السلام هارون

من أنباء المجمع

• تجديد انتخاب رئيس المجمع :

فى جلسة مجلس المجمع المنعقدة بتاريخ ٢٨ من مايو سنة ١٩٩٠ م جدد الأعضاء بالإجماع انتخاب الدكتور إبراهيم بيومى مذكور رئيسا للمجمع للسنوات الأربع القادمة .

أعضاء جدد :

• فاز بعضوية المجمع من المصريين كل من :

- الأستاذ ابراهيم الترسى
رئيس قطاع المجمع ورئيس تحرير مجلة المجمع فى المكان الذى خلا بوفاة الأستاذ محمد عبد الله عنان .
- الدكتور عبد الرحمن السيد
أستاذ النحو بكلية دار العلوم فى المكان الذى خلا بوفاة فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى
- الدكتور أحمد مدحت إسلام
فى المكان الذى خلا بوفاة الدكتور محمد أحمد سليمان .

* * *

• كما فاز بعضوية المجمع من غير المصريين كل من :

- الأستاذ سعيد الأفغانى
فى المكان الذى خلا بوفاة الدكتور حسنى سبىح .
(من سورية)
- الأستاذ منبر البعلبكى
فى المكان الذى خلا بوفاة الدكتور عمر فروخ .
(من لبنان)
- الدكتور إبراهيم السامرائى
فى المكان الذى خلا بوفاة الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى .
(من العراق)
- الأستاذ على رجب المدنى
فى المكان الذى خلا بوفاة الأستاذ على الفقيه حسن .
(من الجماهيرية الليبية)

* * *

• عضو راحل :

- رزنى المجمع بفقد شيخ مجمعى جليل هو المستشار الأستاذ عبد العزيز محمد الذى وافته المنية فى ٢٨ من مايو ١٩٩٠ ، وسيقوم المجمع بتوديعه فى مستهل الدورة القادمة إن شاء الله .

• خير راحل :

- نعى الدكتور سليمان حزين عضو المجمع إلى زملائه الأعضاء الدكتور يوسف أبو الحجاج الخبير بلجنة الجغرافيا بالمجمع رحمة الله رحمة واسعة .

* * *

• خبراء جدد بالمجمع :

وافق مجلس المجمع على اختيار خبراء جدد بالمجمع وهم :

- الدكتور عبد الخالق خطاب أستاذ ورئيس قسم الأطفال بكلية الطب جامعة عين شمس (بلجنة مصطلحات العلوم الطبية) .

* * *

- الدكتور محمود الطناحى
- الدكتور عبد الفتاح الحلوى
- الدكتور السيد السنوسى
- الدكتور أحمد عثمان درويش
- (بلجنة المعجم الكبير و احياء التراث) .
- (بلجنة إحياء التراث) .
- (بلجنة المعجم الكبير) .
- مدرس الحاسبات بكلية الهندسة - جامعة القاهرة
- بلجنة المعالجة الإلكترونية للمعلومات)

* * *

• ضم أعضاء جدد إلى لجان المجمع هم :

- الأستاذ إبراهيم الترسى
- الدكتور عبد الرحمن السيد
- الدكتور أحمد مدحت إسلام
- إلى لجنتى : المعجم الكبير ، والمعجم الوسيط .
- إلى لجنتى : الأصول ، والألفاظ والأساليب .
- إلى لجان : الكيمياء والصيدلة ، والنقط والأحياء والزراعة .

● طبعة جديدة من المعجم الوسيط :

يحرص المجمع دائما على مواكبة كل جديد ومستحدث فى الآداب ، والعلوم ، والفنون ومن ثم قرر تشكيل لجنة لإعداد الطبعة الرابعة من « المعجم الوسيط » من كل من :

- الأستاذ ابراهيم الترسى

عضوا لغويا

عضو المجمع

- الأستاذ عبد الكريم العزباوى

عضوا لغويا

عضو المجمع

- الدكتور محمود على مكى

عضوا لغويا

عضو المجمع

- الدكتور عبد الحليم منتصر

عضوا علميا

عضو المجمع

وقد رأت اللجنة بعد أول اجتماع لها أن تعرض على مجلس المجمع ضم الدكتور محمود حافظ عضو المجمع إلى عضويتها للإفادة من خبرته فى إعداد الطبعة الثالثة من هذا المعجم ، فقد زود هذه الطبعة بكثير من المصطلحات العلمية التى خلت منها الطبعة الثانية .

* * *

● مسابقة المجمع الأدبية :

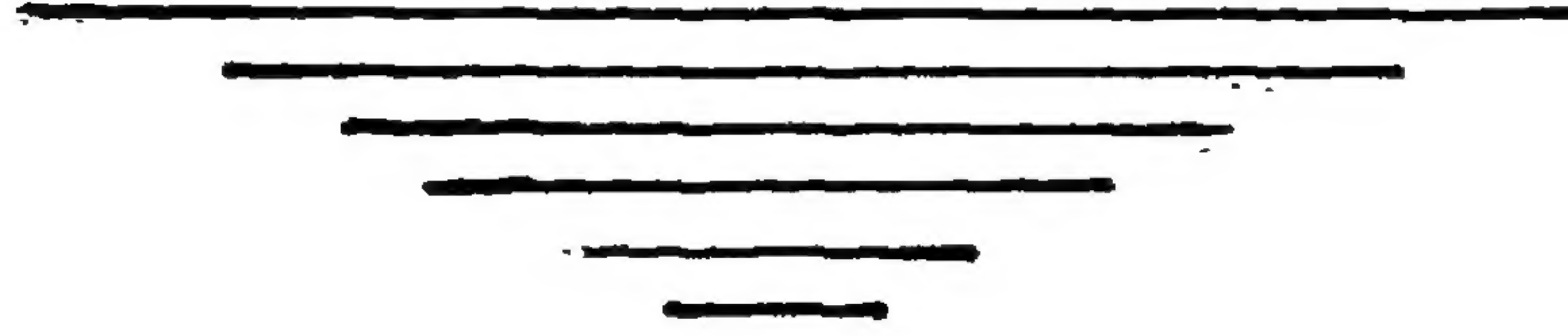
- فاز السيد / ياسر عبد ربه بيومى بجائزة هذه المسابقة لعام ١٩٩٠ عن بحثه الذى قدمه عن (الأستاذ محمد فريد أبو حديد عضو المجمع ، بحوثه وقصصه) .

- كما وافق المجمع على أن يكون موضوع المسابقة الأدبية لعام (١٩٩١) هو : (ديوان من الشعر العمودى المعاصر : دراسة تحليلية نقدية) .

* * *

● صلات المجمع الثقافية :

قام الدكتور مجدى وهبة عضو المجمع بتمثيل المجمع فى الاجتماع الذى عقده الاتحاد الدولى
للأكاديميات بمدينة بروكسل فى المدة من ١٠ إلى ١٦ من يونية سنة ١٩٩٠ م .



شارك فى مراجعة تجارب هذا الجزء من المجله

السيد / سميرة صادق شعلان

رئيس قسم التحرير والشئون الثقافية

رقم الإيداع ٢٠٢

مطابع الدار الهندسية

